عاتق بن غيث البلادي





الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

دار مكّة

للطباعة والنشر والتوزيع

مكة المكرمة - ساحة إسلام

هاتف: ٥٤٤ ٧٤٩٤ ص. ب ٢٩٩٢

برقياً: دام


بين مكة واليمن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة

الحمد لله حمد الشاكر المنيب والصلاة والسلام على النبي الكريم ، سيدنا محمد وعلى آله ومن تبع هداه واقتفى خطاه .

أما بعد ، فإن المنطقة الواقعة بين مكة واليمن لم تحظَ بالدراسة الوافية منذ القدم ، فمعالمها لم يصل إلينا من ذكرها إلاّ ما لا يعتمد عليه ، وجلّ قبائلها قد جهل من قبل التدوين ؛ فنجد المتقدمين حين يذكرون سوق حُبَاشة لا يحددونه التحديد الوافي الشافي كما سنرى في بابه ، ويختلفون في أسماء معالم كبار مثل : الأحسبة ، وحلي وحلية ، وغير ذلك .

ونشأت مدن لم نعلم متى نشأت ، مثل : القنفذة والليث ومحايل والمضيلف والمخواة ، وغيرها ، ناهيك عن عشرات القرى بل مئاتها ، وعشرات الأودية الكبار التي لم تذكر إلا لماماً أو لم تذكر ، مثل : شري والخيطان ، وخيم ، وغيرها كثير .

أما القبائل في تلك الديار فالأخبار عنها أندر من الماء في الربع الخالي ؛ فكنانة التي كانت تمتد جنوباً إلى وادي بيض ما كنا نعرف من بطونها إلاّ النذر اليسير ، كبني حرام ، وبني شعبة ، في حوادث بعضها يعد من خبايا التاريخ .

وبنو أَسَد لم يحدثنا أحد عن وجودها في قنونى ، حتى جاء كُثيّر يرثي خِنْدِقاً فذكر أن لبني أسد بقية مع أختها كنانة قد تيامنت فسكنت قنونى .

والأزد التي تجاور كنانة مما يلي الشرق وتزحف عليها منحدرة مع تلك الأودية الخصيبة ، لم يذكر لنا أحد تفاصيل بطونها ولا حدود ديارها ، حتى أنهم عندما حددوا سوق حباشة قالوا : في ديار الأوصام من بارق ، ولم يذكروا في بارق غير الأوصام التي اختفت اليوم ، ولو ذكروا بعض بطون الأوصام لآهتدينا اليوم إلى شيء مهم .

وفي فصل (الطرق) في آخر الكتاب ذكرنا بعض ما ذكره المتقدمون عن هذه المنطقة وكذلك في ثنايا الكتاب ، وهو في مجموعه غير شاف .

أما منطقة جازان خاصة فقد خرّجت علماء أفذاذاً من زمن متقدم ، وفي هذا العهد حُظِيَتْ بدراسة جادة .

هذا الكتاب :

كانت هناك معلومات جمعتها باسم (الحجاز اليماني) وعند إعدادها شعرت بنقص شديد في المصادر ، بل ندرة المصادر التي يمكن الاعتماد عليها ، ووجدتني أجهل الكثير عما يقع جنوب مكة ، والعرب ـ من قديم ـ تطلق على كل ما يقع جنوباً يمناً ، وكل ما يقع شمالاً شاماً ، لذا درج أهل مكة على تسمية هذه المناطق باليمن وتسمية المدينة المنورة وما حولها بالشام ، فسميت تلك المعلومات (الحجاز اليماني) ، من هنا كان لا بد من بحث أعمق ومعرفة أوفى ، فقمت بهذه الرحلة التي تجاوزت حدود الحجاز فاقتضى تغيير الاسم لما أضيف إليه .

وأنت راءٍ ـ إن شاء الله ـ في هذا الكتاب بحوثاً عميقة ومركزة عن هذه المنطقة ، تتلخص فيما يلي :

١ ـ المشاهدة والوصف الحي لما يرى صاحب الرحلة .
٢ ـ روايات الناس ومقابلاتهم وعاداتهم .
٣ ـ إحصاء تفريعي للقبائل الواقعة في دائرة البحث ، لم يُسبق إليه .
٤ ـ دراسة ميدانية جغرافية مركزة .

ولا أدعي الإحاطة والشمول فهذا أمر لم يتيسّر لأحد قبلي فيتيسّر لي ، ولا أدعي الصواب كل الصواب فكل كتاب غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، لا يخلو من نقص .

وحسبي أن أقدم مشاهداتي عن منطقة عزيزة من بلادنا يجهلها حتى علماؤنا .

والله أسأل أن ينفع به ، ويثيبني على ما بذلت فيه .

وفي الختام أتقدم باسمى آيات الشكر والعرفان لأولئك الأخوة الذين أمدوني بكثير من المعلومات ولولاهم - بعد الله - ما خرج هذا الكتاب في هذه الصيغة وبهذه المعلومات .

وأخص منهم حسب ترتيب المقابلة : الشريف شاكر بن هزّاع العبدلي ، قائم مقام العاصمة ، والشيخ محمد بن عبد العزيز بن الشيخ ، أمير الليث ، والشيخ بنية بن كلاب اليزيدي ، والشيخ سالم بن صالح الجبيري الكناني ، والشاب ردّة بن عبد الله الجبيري ، وكيل إمارة غُميقة ، والشيخ أحمد بن علي ابن إبراهيم الشيخي ، من أهل دوقة ، والشيخ محمد بن مرزوق شيخ شمل زبيد بالمضيلف ، والشريف ابراهيم بن يحيى بن مبارك العجلاني شيخ الأشراف العجالين بناوان ، والاستاذ الباحث حسن بن إبراهيم الفقيه بالقنفذة ، والشيخ محمد أبو لبدة القحطاني أمير القحمة ، والأستاذ محمد بن أحمد العقيلي مؤرخ المخلاف السليماني ، والشيخ مهدي بن هادي بن أحمد بن هادي إمام مسجد الخليف بوادي خيم ، والشيخ محمد بن هادي أبو عطرة شيخ شمل ولد أسلم ، والشيخ بيه بن حسن الحربي ، أمير العرضية الشمالية ببلدة نمرة .



توطئة

شملت هذه الرحلة منطقة من المملكة العربية السعودية ، تمتد من مكة شمالاً إلى حدودنا مع اليمن الشقيق، ويبلغ طول هذه المنطقة (٧٦٠) كيلاً تقريباً وعرض يتراوح بين مائة الى مائة وعشرين كيلاً ، بين السراة شرقاً والبحر الأحمر غرباً .

وتشمل ثلاث إمارات ، هي إمارة الليث ، وإمارة القنفذة ، وإمارة جازان . كما تعتبر البرك إمارة صغيرة تتبع مكة رأساً . وشملت الرحلة قسماً من إمارتي أبها والباحة .

١ ـ إمارة الليث :

وتمتد من جنوب مكة على قرابة (١٥٠) كيلاً[١] الى مكان يسمى العسيلة بين الشواق ودوقة ، ومن السراة الى البحر ، وقاعدتها بلدة **الليث** .

٢ ـ إمارة القنفذة

وتمتد من حدودها مع الليث جنوباً إلى ما وراء حلي بقليل ، وتقصر عن السراة شرقاً حيث بعض تهامة ـ هناك ـ يتبع مدينة أبها ، وقاعدة هذه الإمارة بلدة القنفذة ، الآتي بحثها .

---

(١) الحد بين إمارة الليث وقائمقامية مكة : وادي مرخ ، بين مركوب والغالّة .

٣ ـ إمارة جازان :

وهذه أكبرها وأخطرها ، لخصوبة أرضها وعدد مدنها وكثافة سكانها ، وتمتد من وادي ذهبان شمالاً إلى بلدة الموسم جنوب جازان على (٦٣) كيلاً ، بل تتجاوزه بمسافة يسيرة، حيث حدودنا مع اليمن الشقيق .

ويبلغ طول هذه الإمارة على الساحل قرابة (٢٧٠) كيلًا ، وتقصر عن السراة في الشرق ، حيث تقع بعض السراة في حدود اليمن (انظر خريطة جازان فيما يلحق) .

أهم المدن والأودية على طريق الرحلة :

مع أن هذا سيأتي فيما بعد بالتفصيل ، غير أني رأيت أن أعطي القارىء صورة تقريبية لذلك ليتابع الرحلة وكأنه على علم بما يقرأ .

أهم المدن :

مدينة الليث ، جنوب مكة على (٨٥) كيلًا . ثم المضيلف : قرب القنفذة . ثم القنفذة على قرابة (٣٧٥) كيلاً .

ثم (حلي بن يعقوب) جنوب القنفذة ، ثم البرك ، ثم القحمة ، ثم الشُّقَيْق ، ثم درب بني شعبة ، ثم أُمُّ الخشب في بَيْش ، ثم صبيا ، ثم جازان .

الأودية :

واعترض خط سير الرحلة عدد من الأودية تتفاوت في المساحة والطول والقصر ، منها : وادِي عُرَنة ، ووادي ملكان ، ووادي الأبيار ، ووادي إدام ، ووادي يلملم ووادي مركوب ، ووادي الغالّة ، ووادي الليث ، وكلها بين الليث ومكة .ثم وادي عِيَرِي ، (أعيار قديماً) ، ووادي حَلْية ، ثم وادي عِلْيَب ، ثم وادي دوقة ، ثم وادي قرما ووادي ناوان ، ثم وادي الأحسبة ، ثم وادي لومة ، ثم وادي قنونا : يصب على بلدة القنفذة ، ويفترق سيله عنها يميناً وشمالاً .

ثم وادي يبة ، ثم وادي حلي ، ثم وادي الشفقة ، ثم وادي عمق ، ثم وادي دبسا ، ثم وادي ذهبان : بين البرك والقحمة على ١٥ كيلاً من كل منهما .

ثم وادي حمضة ، ثم وادي نَهْب ، ثم وادي عَرَمْرَم ، ثم وادي ريم : يصب عند الشقيق .

ثم وادي عتود : يصب على درب بني شعبة ، ثم وادي رملان ، ثم وادي بَيْض ، ثم وادي الردحة ، ثم وادي بَيْش ، ثم وادي قُرَى ، ثم وادي غَوَّان ، ثم وادي شهدان ، ثم وادي وساع ، ثم وادي نخلان ، ثم وادي صبيا ، ثم وادي ضمد ، ثم وادي جازان بفروعه المتعددة : يصب عند مدينة جازان .

ثم أودية خبت المسرحي ، ثم وادي خُلب ، ثم وادي لِيَة ، ثم وادي تعشر ، ثم وادي حرض : جلّه في حدود اليمن .

وكل هذه الأودية تسيل من السراة أو جبال تهامة الملاصقة للسراة من الغرب ، ثم تصب في البحر ، معترضة طريق المتجه جنوباً بشكل تقاطع .

سكان المنطقة القدماء

كان يسكن ساحل البحر الأحمر الشرقي ـ عند ظهور الإسلام ـ عدد من القبائل العدنانية والقحطانية ، وهي :

١ ـ الأشعرين : كانوا يسكنون آخر الساحل الجنوبي قرب لحج إلى زَبِيد .
٢ ـ عَكّ : كانت تسكن ما بين الأشعرين إلى مشارف حرض .
٣ ـ خولان : كانت تسكن التهائم المطلة على بلاد عَكّ إلى شرقي جازان .
٤ ـ بنو الحكم بن سعد العشيرة من مذحج : وكانت تسكن بين حرض إلى بيش ، وتهامتها الشمالية الشرقية متصلة بالقبيلة الأم إلى نجران وتثليث .
٥ ـ كنانة : كانت أكبر سكان هذا الساحل وجل تهامته ، وتمتد ديارهم من وادي بَيْض ـ قرب بَيْش ـ إلى ينبع غرب المدينة . وسيأتي لها ذكر مفصل .
٦ ـ الأزد : كانت ولا زالت تسكن معظم تهائم بلاد كنانة بين وادي عتود جنوباً إلى الليث شمالاً .

هذه لمحة عن ماضي المنطقة مدار رحلتنا لتهيئة ذهن القارىء لتقبّل النصوص والمشاهدات التي أتوقع أن يكون فيها شيء من الإبهام لعدم وجود خلفية لدى كثيرٍ من القراء عن هذه الرقعة من الأرض .

بَدْءُ الرِّحْلَة

عندما تم العزم على هذه الرحلة ـ المباركة إن شاء الله ـ لم نبت ليلة الإثنين الموافق ١٤ صفر سنة ١٤٠٣ هـ=٨ القوس ١٣٦١ هـ ش=٢٩ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٨٢ م ، إلّا وكل شيء قد أعد وحمل في سيارة الجيب (تويوتا) .

وفي الصباح الباكر خرجت من منزلي في الساعة السادسة والنصف صباحاً .

فسرت ميمّناً على طول شارع المنصور حتى أفضى بي إلى آخر مسفلة مكة مما يلي اليمن ،ثم عدل الطريق إلى الجنوب الغربي ، وهو اتجاه درب اليمن بعد أن زُفّت ، وكان يتجه جنوباً عدلاً إلى بئر البيضاء ثم إدام ثم السعدية .

أما الآن فقد تركها بيسار وأخذ في الخبت حيث يمر بأسافل تلك الأودية كما سيمر معك .

وعلى (٧) أكيال مررت بطرف العكيشية بعد $\frac{1}{4}$ ساعة من تحركي ، وكان الوقت لا زال معتماً ، وعلى (١٥) كيلاً مررت بمكان تحتجز فيه سيارات الحجاج الآتية من جهة اليمن ، وهو مكان فسيح بُرِّح وزفّت لحفظ هذه السيارات حتى يعود أهلها من الحج .

وعلى (١٦) كيلاً مررت في تقاطع درب اليمن بطريق الأجانب ، وهو

طريق يفترق عن طريق مكة عند الشميسي قبل حدود الحرم ثم يطيف بمكة من الجنوب ثم يعود إلى طريقها إلى الطائف في وادي نعمان .

وعلى (٣٠) كيلاً طالعتني محطة ما كنت أعهدها قامت على هذا الطريق بعد تزفيته .

وعلى (٤٠) كيلاً مر الطريق بفرشة وادي عرنة ، التقيت وإياها في أول الساحل مما يلي مكة ، وهذا الوادي لا يبعد عن مكة على درب اليمن القديم سوى (١١) كيلاً ، ولكن هذا الطريق المزفت خرج من مكة باتجاه الجنوب الغربي ، وما زال يغرب حتى كانت هذه المسافة بما فيها من فرق .

وادي عُرَنَة

هو وادٍ فحل متعدد الروافد ، تسيل أعلى نواشغه من سراة زُلَيفة قرب الطائف ، ثم ينحدر مغرباً ، فيكون منه حُنين ، وذو المجاز[1] ، ثم يأخذ مياه كبكب والصِّفاح فيمر بين عرفة والحرم ، وبعد ذلك يلتقي به وادي نعمان ، فيسمى الواديان باسم واحد ، هوعُرنة ، ثم يستمر إلى أن يضيع في هذا الساحل أو يصب في البحر ، إن كان سيله كبيراً . ونعمان هذا هو الذي كان يسمى نعمان الأراك .

وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة :

تخيّـرت من نعمـان عـودأراكـةٍ ... لـهنـدٍ ولـكـن مِـن يـبـلّغـه هندا

وقال الأبيوردي[2] :

نـزلنـا بنعمـان الأراك ولـلنَّـدى ... سَقِيطٌ بـه ابتلّت علينـا المـطارفُ

فَبِتُّ أعـاني الوجـد ، والركبُ نُـوَّمٌ ... وقـد أخذتْ منِّي السُّرى والتَّنـائفُ

وقد أكثر الشعراء من ذكره ، وله تأريخ حافل .

---

(١) انظر هذه المواضع في (معجم معالم الحجاز) .

(٢) وفيات الأعيان : ٤/٢٢٢ .

سكان الواديين

يسكن صدور هذين الواديين ـ قديماً وحديثاً ـ قبائل من هُذَيل، ويشركهم اليوم بعض الأشراف ، أما سكان أسفل عرنة بعد التقائهما فقبيلة خزاعة قديماً وحديثاً أيضاً[١] . أما ساحلهما فأوله مما يلي الجبل فللأشراف العرامطة ، ومما يلي البحر تسكنه فخوذ من حرب .

---

(١) أوفيت الحديث عن هذه القبائل في (معجم قبائل الحجاز) وفي كتابي (الرحلة النجدية) .

وادي ملكان

واستمر بي السير جازعاً فرشـة عرنة ، ثم في سهل أمق أفيح ، والطريق جنوب عدل ، وجبال تهامة إلى اليسار ، وتظهر في الصباح صافية جميلـة ، أما إلى اليمين فيمتد الساحل ثم بامكانك أن ترى السواعي في البحر .

ومما لاحظته عن قرب من جبال تهامة ، جبلي عَمرَ وعُمير ، وهما جبلان يمر بينهما وادي عرنة ، وليس بعدهما إلّا الساحل ، وهما الحدّ بين خزاعة إلى الشرق والأشراف العرامطة إلى الغرب .

أما في الغرب إلى الوراء فقد ظهرت جبال العِدِّ ، وعلى جانبي الطريق ينمو في هذا الساحل شجر السرح فيكبر حتى تظلل الشجرة عدداً من الناس .

ثم ظهر إلى الأمام جبل سطاع ، وهنا أشرقت الشمس شروقاً جميلاً في يوم من أيام الشتاء الدافىء في تهامة ، فزادت جبال تهامة جمالاً لا يشك من رآه أنه سبب إكثار العرب من ذكر هذه الديار في أشعارهم ، حتى لا يكادون ينسون فيها وادياً أو جبلاً .

وعلى (٦٠) كيلاً مررت في فرشـة وادي ملكان ، حيث يفضي إلى الخبت جاعلاً جبل سطاع عن يساره ، ووادي عرنة عن يمينه .

وملكان: وادٍ فحل أيضاً ولكنه أقل مدى من سابقه عرنة، وأعظم ما فيه

رافدان : ضِيم ، ودُفَاق[1] ، واديان يصبان من السراة مما كان يعرف بطود بني صاهلة ، وسكانهما وسكان ملكان قبائل من هذيل، ثم أسفله لخزاعة كعُرنة .

والخبت الذي تصب فيه مياه عرنة وملكان يسمى (جَيِّرة) .

ولأحد الشعراء الشعبيين في ملكان :

هاضني بين عَمْر وبين شِقّ الضلوع   في طـرف برقهـا من يم ملكانيـهْ[2]
ديـرةٍ يـا عُبيـد اللهْ خـلاهـا يـروع   ما شرب رودها من غير صملانيهْ[3]

ثم واصلت السير ، وما زال جبل سطاع يقترب بينما أخذت حُريرةنمرة تظهر بيني وبينه ، وعلى (٦٧) كيلاً تقريباً فرق إلى اليمين باتجاه البحر طريق الشعيبة .

---

(١) أوفيت الحديث عنهما وعن ملكان في كتابي (معالم مكة التأريخية والأثرية) .

(٢) يم : جهة .

(٣) يروع : يفجع ، رودها : زائرها ، صملانية : الصملان : القرب ، والهاء ، لغة لهم وردت في القرآن .

الشُّعَيْبة

شبه جزيرة على الشاطىء الشرقي لهذا البحر ، تقع إلى الغرب من شامة وطفيل ، تبعد عن طريقنا هذا بثلاثة وأربعين كيلاً ، وعن مكة (١١٠) أكيال . ولهذا الموضع ذكر في التأريخ كما سيأتي ، غير أنه ظل مهجوراً مجهولاً ، إلى أن أطلق عليه أحد الصحفيين ـ قبل سنوات ـ اسم بحر مكة ، وثارت حوله عجاجة ، فنادى البعض باتخاذه ميناء لمكة بدل جُدّة ، ونادى زميل له بأن تشق قناة منه إلى مكة ! لتلطف جوها بزعمه ويتنزه الناس حولها !

وما درى هؤلاء أن مكة ترتفع عن سطح البحر قرابة (٣٥٠) متراً ، وأن حفر هذه القناة يجعل ماءها تحت جرف ارتفاعه أكثر من ٣٠٠ متر ! فأية فائدة من هذه القناة ؟! أم أنها العبقرية ! . .

ثم إن الشعيبة تبعد عن مكة (١١٠) أكيال كما قدمنا ، فأيهما أصلح لمكة هي أم جُدّة التي تبعد (٧٣) كيلاً ؟!

المهم في الأمر الذي ليس غريباً على عامة الناس : إن الناس انطلقت في هذه الصحراء وركبت الصعب والذلول تبحث عن بحر مكة هذا ! ولم تكن هناك طرق واضحة ولا أحد يعرف المذكور ، فضلَّ كثيرٌ منهم طريقه وكاد بعضهم يموت عطشاً ، وكان الناس يسارعون إلى من قال أنه وجد بحر مكة ، فكان يعد بطلاً مغواراً ثم يؤخذ دليلاً في القَيْلات والسهرات على هذا البحر !

ولما رأت السلطات إصرار الناس على هذا وما لحق كثيراً منهم من أذى ، سارعت بمد طريق مزفت بلغ طوله (٤٣) كيلاً كما قدمنا ، وابتنى البعض بذلك الموضع خياماً ، وبُني مخفر أمني ، ورأيت بناء يبنى قبل مدة قيل : إنه متنزّه ، وصارت هذه الجزيرة شبه مأهولة .

وهم يقسمونها إلى : الشعيبة المغلقة ، والشعيبة المفتوحة ، الأولى إلى الشمال ، والأخرى إلى الجنوب .

ويظن البعض إن هذه هي الشعيبة المذكورة في عمارة الحرم ، وقد يكون جزءاً منها كذلك ، إلَّا أن كونها ميناء يقتضي أن يكون الميناء خارج شبه هذه الجزيرة لأن مدخل هذه الجزيرة كان قبل التزفيت موحلاً لا يمكن أن تسير فيه الجمال ، من هنا قلت : إن الميناء لا بد أن يكون على الشاطىء الشرقي لذلك الخليج الذي يطيف بها حتى جعلها شبه جزيرة ، ولعل الاسم أصلاً لهذا الخليج الذي يظهر وكأنه شعبة من البحر تلتف حول الجزيرة من الجنوب والشرق .

الشُّعَيْبة القديمة

جاء في أخبار مكة للأزرقي[١] : حدثني أبو الوليد قال : حدثني جدي عن داود بن عبد الرحمن العطار قال : حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم القَارِي[٢] عن أبي الطفيل قال : قلت : يا خال حدثني عن بنيان الكعبة قبل أن بنتها قريش . قال : كانت برضم يابس ليس بمدر ، تنزوه العناق[٣] ، وتوضع الكسوة على الجدر ثم تدلى ، ثم إنّ سفينة للروم أقبلت حتى إذا كانت بالشُّعَيْبة وهي يومئذ ساحلِ مكة ، قبل جدة ، فانكسرت فسمعت بها قريش فركبوا إليها وأخذوا خشبها ورومياً كان فيها يقال له : (باقُوم) نجاراً بنّاء ، فلما قدموا به مكة ، قالوا : لو بنينا بيت ربنا . إلخ .

ففي هذا النص أمران :

أولهما : إنها كانت ساحل مكة في الجاهلية .

وثانيهما : إن ذلك قبل جُدّة .

ويُروى أن هجر الشعيبة كان في عهد عثمان ، حيث صرف وارد البحر إلى

---

(١) : ١٥٧/١ .

(٢) القاري : نسبة إلى قبيلة القارة .

(٣) العناق : أنثى المعز الصغيرة سناً .

جدة . ولعل هذا الصرف لم يكن شاملاً ، حيث نرى كثيِّر عزة بعد ذلك يقول[1] .

كـأنّ حمـولهـا بمـلا تَـرِيم سَفينٌ بـالشُّعَيْبـةِ مـا تسيـر

أي أن السفن كانت ترسو أعداداً كثيرةً في ميناء الشُّعيبة في عهد كثير . ومهما يكن فإني لم أجد آثاراً هناك ، ولست خبيراً في الآثار .

(١) ديوانه : ٤٧٧ .

جبال سطاع وشامة وطَفِيل

تركت طريق الشعيبة يميناً وواصلت سيري جنوباً ، وعلى (٦٨) كيلاً مررت بنصف حريرة تأتي من الشرق حتى تكنع على الطريق ، هذه حُريرة نمرة، وخلفها جبل سطاع رأي العين ، وهو جبل بارز أصفر ، في جوفه ماء يسمى الأطوى[١] ، وهو الذي يقول فيه صخر الغي الهذلي ، يصف سحاباً[٢] :

أســال مـن الـليــل أجـفــانــه	كــأن ظــواهــره كُــنَّ جُــوفــا
وذاك السِّــطاع خـلاف النجـاءِ	تُـحـسِّــبُــهُ ذا طــلاءٍ نَـتِـيـفـا

وليس هو من ديار هذيل لا قديماً ولا حديثاً ، بل من ديار كنانة ولا زال ، ولكن هذيل جيران كنانة وأصهارهم ، فإذا أغيثت أرض كنانة تربعها من يليهم من هذيل ، ولا زال هذا ديدنهم إلى يومنا هذا .

وإلى اليمين أكيمة بارزة يمر طريق الشعيبة بجانبها ، هذه الأكيمة تسمى (أبو شدادين) وهو شداد واحد ولكن هكذا تقول العرب اليوم ، فكل جبل يفترق رأسه إلى رأسين كغزاليّ الشداد يسمونه أبو شدادين ، وهي كثيرة في بلادهم ، وكلها تسمى كذلك .

---

(١) انظره في (معالم مكة التأريخية والأثرية) .

(٢) معجم معالم الحجاز (سطاع) .

ثم لم ألبث أن تركت تلك الحريرة ورائي ، فظهر جبل سطاع بارزاً يساري ، مشرفاً على وادي الأبيار من الشمال .

ووراء سطاع بعيداً عليها العسام ظهرت جبال راية الجميلة ، وهي من ديار هذيل ، وأدناها إلينا ، ويمكن أن يُرى جبل عروان بجوارها .

ثم مررت بفرشة وادي الأبيار على قرابة (٩٠) كيلاً من مكة ، والأودية تفرش هنا في الخبت حتى يصعب تحديدها ، ولكن هذه محاذاة فوهة الوادي حين يخرج من بين الجبال .

ومن هنا أرى إلى اليمين حريرة لاطيئة قريبة من الطريق ، تسمى السويداء ، وإلى اليسار بعيداً بين وادي الأبيار ووادي إدام ظهرت حرّة العِلْيان من الجحادلة من بني شعبة من كِنَانة[1] .

ثم مررت بمدفع وادي إدام على قرابة (١٠٠) كيل من مكة .

وهنا يظهر إلى اليمين جبل شامة ، وإلى الأمام واليمين حَرَّة طَفِيل ، وهما لا يذكران إلّا معاً قديماً وحديثاً ، وفيهما أنشد بلال بن رباح رضي الله عنه :

ألا ليت شِعْري هل أبيتَنَّ ليلةً بفخٍّ وحولي أذخرٌ وجَليلُ
وهل أردن يوماً مياه مَجنَّةٍ وهل يبدُوَنْ لي شامةٍ وطَفِيلُ

وهي كانت ولا زالت من ديار كنانة .

---

(١) فيما يلحق بحث عن قبيلة كنانة قديماً وحديثاً .

وادي الأبيار

وادي الأبيار الذي تجاوزناه تواً ، وادٍ فحل يسيل من جبال هذيل عند راية وعروان ، ويسمى أعلاه : البيضاء ، وفيه بئر كانت المرحلة الأولى على درب اليمن القديم ، ووسطه يسمى (رَخَمَة) وأسفله : وادي الأبيار ، وهي بئار فيه للاستقاء منها الخرقاء والخريقاء ، ولهذا الوادي ذكر غير خامل في تأريخ الأشراف ، ويختلط في سكناه الجحادلة من بني شعبة ، والأشراف العبادلة .

وقد تحدثت عن كل مسمياته في (معالم مكة) وذكرت هناك أنني أعتقد أن الجزء المسمى وادي الأبيار هو (الغُمَيصاء) التي أوقع خالد فيها ببني كنانة ، ويذهب سيل هذا الوادي فيفرش في جنبات شامة وطفيل ، فيزرع عليه الحبحب هناك ، ثم يذهب فائضه إلى البحر .

وادي إدام

تحدثت عنه في المعجم وفي معالم مكة ، وهو وادٍ دون سابقه ، ولكنه أشهر منه ، وهو للجحادلة كله ، يأخذ من جبال راية (لهذيل) ثم يدفع غرباً ، فإذا فج الجبال ودَفع في الخبت سُمِّيَ (الفاتح) ، وسيله يمر بالجانب الجنوبي لحرة طفيل فيزدرع عليه هناك، ولبئر فيه شهرة قديمة وحديثة ، وهي لا زالت تورد .

واصلت سيري فظهرت جبال يلملم وعروان بارزة جميلة إلى اليسار ، ولا زال الطريق يسير في الساحل، وعلى (١٢١) كيلاً عبرت على جسر كبير، هوجسر وادي يلملم ، وأمامه على ضفة الوادي الجنوبية قام مسجد ومبانٍ هي الميقات الجديد ، فإذا عرفت أن الميقات القديم (السَّعْدية) كان يبعد عن مكة مسافة (١٠٠) كيل فقط عرفت أن هذا الطريق المزفت زاد عن سابقه ما يزيد على عشرين كيلاً .

وادي يَلَمْلم

كتبنا ـ في معجم معالم الحجاز ـ : وادٍ فحل من أودية الحجاز التهامية ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من شفا بني سفيان على قرابة (٣٠) كيلاً جنوب غربي الطائف ، ثم يندفع غرباً في انحدار عميق بين صلاهيج جبال ، فيمر بالسَّعْدِيَّة ، ميقات أهل اليمن على الطريق التهامي ، ثم يصب في البحر جنوب جدة ، على مسافة مرحلتين ، وهو وادٍ متعدد الروافد ، منها أودية : حُثُن ، ووَدْيان ، وتصيل، ونمار ، وشَكِيل ، وغيرها كثير ، مما يجعل سيله جارفاً ، وبه بعض الأراضي الصالحة للزراعة ولكن لم تستصلح بعد ، ويكثر فيه نبات الأراك .

سكانه :

في صدوره بنو فهم ، وبقية بني صاهلة من هذيل[١] ، وأسفله الجحادلة من بني شعبة من كنانة ، وروافده الشمالية من ديار هذيل ، وفيه مركز حكومي تابع لإمارة الليث ، وهذا المركز خاص ببني فهم ، أما هذيل وكنانة فتابعون لقائم مقام العاصمة[٢] ، ويتبعه الميقات وكل الساحل في هذه النواحي ، إلى وادي مَرَخ ، بين الغالّة ومركوب .

وفيه يقول أبو دهبل الجُمَحِي :

---

(١) تحدثنا عن هذه القبائل في (معجم قبائل الحجاز) .

(٢) هو اليوم صديقنا الشريف شاكر بن هَزّاع أبابطين العبدلي .

سريت بها من بطن مكة بعدما أصات المنادي للصلاة وأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتد سامرٌ من الحي حتى جاوزت بي يلملما

وقال طُفَيل :

وسِهْلبةٌ تنضو الجيادَ كأنها رَدَاةٌ تدلّت من فروع يلملم

ثم واصلت سيري ، وبعد قليل جاءني من اليسار وادي سَعْيا : وادٍ صغير يسيل من الجبال التي تراها من هنا ، وكان درب اليمن يمر فيه بعد السعدية ، وفيه هناك قُريّة للأشراف الشنابرة ، وبئر للاستقاء ، ومركز تابع لقائم مقام العاصمة . أما بعد أن جنب عنها درب اليمن حيث نسير اليوم فأعتقد أنها اندثرت ، وقد تحدثت عنها في (معالم مكة) ، بأوفى من هذا ، وكذلك في المعجم .

وسكانه الأشراف الشنابرة ، وقريتهم المشار إليها تبعد جنوب مكة (١٢١) كيلاً . ثم واصلت سيري ، فأخذ الطريق المزفت يقترب من جبال تهامة حتى كاد يلائم درب اليمن القديم ، وفي إمكاني من هنا أن أرى الناحية التي فيها بئر سعيا ، وقرية الشنابرة ، ثم ظهرت أماماً وإلى اليسار جبال الفرع التي يسيل منها وادي مركوب ، ودونها معالم مما حول خضراء أرى منها (أبو صادع) ذا الشهرة في هذه الناحية . ثم مررت بوادي مركوب ، وهو وادٍ خضر نضر وبه زراعة عثرية ، وبإمكاني من هنا أن أميز موضع بئر خضراء الشهيرة التي كانت محطة للجمال على ثلاث مراحل من مكة ، وهي أشهر ما في وادي مركوب .

ووادي مركوب وادٍ صغير ، ولكنه يسيل من جبال شواهق ، ولذا يأتي بسيول طيبة ، ويبعد على هذا الطريق عن مكة قرابة (١٤٥) كيلاً ، وخضراء البئر ، والوادي مركوب ، وسكانه بنو شعبة من كنانة ، وقد ورد هذه البئر الحسين بن علي سنة **١٣٢٩** هـ عند قيامه لفك حصار أبها من جيش الإدريسي ، وكان معه الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي فكتب رحلته (الرحلة

اليمانية) وذكر أن بجوار خضراء آثاراً بها سراديب تحت الأرض . ووقفت عليها سنة ١٣٩٣ هـ ، فلم أجد كل ما ذكر ، ولكن وجدت جداراً مدفوناً ، بُنِيَ بحجر غير مشذب وبلا مؤنة ، وكومة من الأرض تدل على حفر .

وتكثر في وادي خضراء أشجار الأراك والمرخ ونحوهما مما يجعل المنطقة خضراء على اسمها ، وواديها يسمى (مركوب) وهو يسيل من جبال الفُرَع بين يلملم شمالاً والليث جنوباً ، ومن روافد مركوب : الجوف ، والأخمص ، وحُمَيم .

وخرجت من خضراء فسار الطريق في بحور من الرمال ، وقد اقترب الطريق من سفوح جبال تهامة ، ويقترب البحر هنا حتى ترى كل من الجبل والبحر رأي العين ، وهذا الطريق يفتقر إلى اللوحات الارشادية ، ثم هبطت وادي مَرَخ ، وهو حدود قائم مقامية مكة ثم ظهر البحر صافياً رقراقاً حتى صرت تستطيع أن ترى ما يسير فيه ، ثم لم ألبث أن جاءني وادي الغالّة من اليسار ، وهو وادٍ صغير أيضاً ، وبأسفله قرية صغيرة بها مسجد ، كانت هذه القرية تقوم على بئر العبدلية ، وقد ذكرها الشريف شرف في رحلته ، وسكان القرية الأشراف الثعالبة ، وبها مدرسة ابتدائية .

ومن هنا ظهر جبل عَفَف شامخاً من وراء وادي الليث ، وهذا الجبل أبرز علم هنا ، وأشهر جبال الليث ، ويقع جنوب شرق بلدة الليث .

وإلى اليسار جبال السراة التي بدت تتضح من هنا ، ومنها يسيل وادي الليث .

وقبيل الوصول إلى بلدة اللِّيث جاءني من اليسار وادٍ صغير ، هو وادي الخُرْقَان ، وسكانه الزنابحة من بني شعبة من كنانة .

اللِّيث

ثم هبطت وادي اللِّيث ، وهو وادٍ خضر نضر ذو مجرىً كبير وأشجاره كثيفة ، ومن أهمها أشجار العصلاء ، وبه كثيرٌ من المزارع والآبار والنخيل .

والليث ليثان : وادٍ وبلدة .

اللِّيث البلدة :

وعلى مسافة مائة وخمسة وثمانين كيلًا (١٨٥) من مكة وصلت إلى بلدة الليث ، بعد أن عبرت على جسر كبير يمر تحته سيل وادي الليث ، ثم دخلت البلدة ، وهي ذات مبانٍ من طبقة واحدة وتتخلل المباني حدائق النخيل ، وطرقها مزفت بعضها ، وهي على البحر ، ولها ميناء يستقبل السفن ، وترد إليه البضائع من جدة واليمن والسودان ، وبه حركة لصيادي الأسماك .

كان دخولي بلدة الليث في الساعة التاسعة ، فتوجهت إلى الإمارة ، وقابلت أمير الليث : الشيخ محمد بن عبد العزيز بن الشيخ ، من أهل القَرِينة بإقليم الشّعيب من نجد ، وله في هذه الإمارة عشرون سنة .

ورحب الشيخ ودعاني إلى البقاء لطعام الغداء ، ولكني اعتذرت ، وطلبت منه مساعدتي في زيارة قرية غُمَيقَة ، فوافق مشكوراً .

الإمارات التابعة لإمارة الليث :

ويتبع هذه الإمارة عدد من الإمارات الصغيرة ، منها : (١) إمارة الشَّوَاق ، وهي إمارة أسافل واديي حَلْية وعليب ، (٢) وإمارة الجائزة : بين الحجرة وأُضَم من أعالي وادي حلية ، (٣) وإمارة أضم ؛ أحد روافد حلية ، ويقع شرق بلدة الليث بحوالي (١٢٠) كيلاً ، وسكانه بنو مالك من بجيلة ، (٤) وإمارة سوق العين في وادي العَرْج : من روافد حلية أيضاً ، (٥) إمارة بني يزيد ، بأعلى الليث ، (٦) إمارة جَذَم : لبني فهم ، وهو أحد فروع وادي الليث ، (٧) إمارة يلملم : وهي في صدر يلملم لبني فهم أيضاً ، (٨) إمارة غُمَيقة ؛ وتتبعها قبائل منها : الجبرة من بني شعبة من كنانة ، والخواوير من حرب ، وسيأتي الحديث عن غميقة ، (٩) إمارة الغالّة ، ويتبعها الأشراف الثعالبة وبعض بني مهدي من الأشراف ذوي حسن بن عجلان ، والزنابحة والحسنان من كنانة .

متى تأسست بلدة اللِّيث ؟

من الطبيعي أن وادياً كوادي الليث يخرّ سيله في البحر خليجاً ، ويسكنه الناس ويبعد عن المدن مسافة كهذه ، أقول من الطبيعي أن تكون فيه حركة تجارية ، وأن يتخذه صيادو الأسماك مرسىً لهم ومنطلقاً ، فإذا كان هذا كثر حوله طالبو الرزق ، ثم صار منهلاً تحكم الظروف بنموه وانحساره ، ولكن إلى الجنوب من هذه البلدة وعلى مسافة (٤٣) كيلاً كانت مدينة السرين ـ ستأتي ـ فحدّت من ظهور هذا المرسى وتطوره .

وإذا ذكر المتقدمون الليث فإنما يعنون الوادي ، ولم يذكر أحد منهم البلد ، وحتى الذين يصفون لك طريق الحاج اليمني يقولون (ثم الليث) فلا يميزون البلدة عن الوادي ، على أنه لو كان قد تطور إلى قرية عامرة حتى القرن الحادي عشر لذكره مؤرخو مكة ، الذين أخذوا يذكرون الواديين ، وأول من ذكره ذكراً بارزاً الشريف شرف في الرحلة اليمانية ، حيث قال : ونزلنا على بئرٍ

يقال لها الكلابية في الجهة الشرقية من بندر الليث ، وهو مركز لقائم مقامية تابعة لولاية مكة ، وباللِّيث قائم مقام من طرف الحكومة ، ومأمور من أشراف مكة من طرف دولة أميرها لحفظ الأمن وجباية الأموال . ثم يقول : . . . بندر الليث ، وهي مرفأ على البحر الأحمر وفيها تجار من الحضارمة ، وأهل الوطن ، وحركة البيع والشراء فيها جيدة ، وأكثر واردات تلك الجهة الحبوب من : دخن ، وذرة بيضاء ، والسمن والغنم ، ومنها تصدر إلى جدة .

وأبنية منازل بندر الليث باللِّبْن ، وبه بعض أبنية حجرية ، وبالبندر المذكور حدائق نخيل .

فترى أن الشريف شرف ذكر أنه بندر ، والبندر في تلك العهود يطلق على كل مدينة بحرية ، فكانوا يقولون : بندر جدة ، ولا يقولون : بندر رابغ .

فالليث ـ إذاً ـ كان قد لحق بدرجة البنادر ، وصار قائم مقامية ، وهذا يعني أنه مرت عليه مئات السنين من التطور التدرجي ، وإذا ألقينا نظرة على تأريخ مدينة السِّرّين حكمنا بأنها قد اندثرت في القرن (السابع تقريباً)[1] .

ومن طبيعة البشر حب الوطن ، فما كان من أهل السِّرين إلاَّ أن اتجهوا إلى أقرب قرية تصلح للسكن والحياة وتقرب شبهاً من بلدتهم ومسافة ، فإذا الليث بكل مياهه وخيراته وبحره فاتجه أكثرهم إليه فعمروه ، ولكن نظراً لأن هذه القرية تحمل اسم الوادي ظلت شبه مجهولة .

أما بلدة اللِّيث اليوم فقد لحقت بمدن الدرجة الثانية ، فيها : مديرية تعليم تضم عدداً من المدارس الثانوية والمتوسطة والابتدائية ، وبها فرع لإدارة تعليم البنات ، وإدارة شرطة ومحكمة شرعية وفرع للبنك الأهلي ، وإدارة مرور ، وكل ما تحتاجه المدن مثل : البلدية وهيئة الأمر بالمعروف وغيرهما .

---

(١) سيأتي ذكرها فيما يتبع .

وادي الليث :

وادٍ فحل من كبار أودية الحجاز التهامية ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من السراة الواقعة جنوب الطائف ، فيقاسم وادي بسل الماء ويأخذ سيل سراة بجيلة كجبل إبراهيم وجبل بني يزيد وحداب بلحارث وسراة بني سعد ، ثم يتجه غرباً فترفده في مسيره أودية كبار عن يمينه ويساره ، فإذا نزل السهل اتسع مجراه وصار نهياً كثير البُلُد المعدّة للزراعة ، وإن كان لا زال يعتمد على الزراعة العثرية ، ثم يصبّ في البحر عند بلدة الليث ، وهو كثير النبات ، وكل أرضه صالحة للزراعة ، وقد رأيت هناك آباراً ارتوازية تحفر بقصد الازدراع ، وهذا عصر الآبار الارتوازية بالنسبة للزراعة .

وأمام مصب الليث إلى الجنوب الغربي يظهر جبل بارز في البحر ، هذا الجبل يسمى جبل اللِّيث ، ويبعد عن البلدة قرابة (١٢) كيلاً إلى الجنوب الغربي ، وهو على جزيرة مستطيلة أرضها صالحة للزراعة وفيها آثار سكن قديم[١] .

روافد وادي الليث :

ترفد وادي الليث ـ كما قدمنا ـ أودية كبار ، بعضها له روافد متعددة وتسكنه قبيلة بكامل قراها ومزارعها ، وفيه عدد من المدارس ، وقد تكون له إمارة ، من هذه الروافد :

١ ـ وادي سَلِبة : وادٍ كبير يأتي بسيل جارف ، يصب في الليث في أعلاه مما يلي السراة ، ومن ضفته الجنوبية .

وسكانه : في أعلاه قبيلة متعان ، وأسفله بنو يزيد . وسيلحق تفصيل القبائل .

ومن روافد وادي سَلِبة : وادي قُطْنا : يصب فيه من اليسار ، ووادي ثَرْب ،

---

(١) ذكر هذا الشيخ محمد بن عبد العزيز أمير الليث .

وهما ثُرْبان : الأعلى والأسفل ، وكلاهما يصب في قُطنا من اليسار ، وفيه من القرى : الخُرَيص ، والهيّلة ، والرَّخمة ، وجمسان ، ونَشَمَة ، والمرخة ، والجُرْفَين . وكل قرية يصب عليها وادٍ صغير .

ووادي أمول : من السراة الواقعة جنوب رأس وادي الليث ، وتسمى الجبال التي يسيل منها (جبال أمول) وكان أمول هذا من منازل زُبيد ـ ولا نعرف أي زبيد هؤلاء ـ فغزاهم سَلْمى بن المُقْعَد الهذلي فأوقع بهم ، فقال[1] :

رجـال بـني زُبـيـد غيبتـهـم جبـال أمـول لا سقيت أمـولُ

وقال ياقوت في تعريفه : هو مخلاف باليمن ، والعرب من قديم تقول لكل جنوب يمن ، وفي أمول من القرى : قَرَظة ، والخيمة ، والمُقَدَّم .

وادي نصوى : من يسار سلبة ، وفيه قرى ومزارع .

ووادي القاع ووادي الرخام : وهما رأسا الوادي حيث يفترق إلى شعبتين في ديار متعان ، ووادي المثيبة ، في أعلى وادي سلبة للرياحين من متعان ، ووادي قرية عن يمين سلبة ، وفيه مدرسة ، ووادي بَيْطة : فيه قرى ومزارع ، ووادي تيشان : وادٍ وقرى لبني يزيد .

وتحيط بسلبة جبال شواهق ، من أهمها : الناطف ، في أعلى الطود ، أنقاح : شمال الناطف تسيل منه قُطْنا ، جبال أمول : يسيل منها وادي أمول ، الحبل : بالحاء المهملة ، بين وادي العرج ووادي أمول .

٢ ـ تانة : الوادي الثاني الرئيسي في روافد وادي الليث ، سكانه بَجَالة ، وبعض بني يزيد ، وفيه قرية وسوق بنفس الاسم ، وفيه مدرسة تانة الابتدائية .

٣ ـ وادي فِرْضام : لبجالة ، وفيه قرى ومزارع .

٤ ـ مستنقع : وادٍ لبجالة أيضاً ، وبني يزيد ، فيه مدرسة وقرية بنفس الاسم .

٥ ـ وادي ذهب : لبجالة أيضاً ، وفيه قرى ومزارع .

---

(١) معجم البلدان ، أمول .

٦ ـ وادي تثيل : وادٍ صغير قريب من جبل قرحة قرب قرية غُمَيقة ، يُرى منها جنوباً .

وهذه الروافد كلها تصب في وادي الليث من اليسار ، أي من الجنوب .

أما روافده من اليمين وتسمى الشمالية ، فهي :

١ ـ وادي فِلْح : سكانه بنيوس (بنو الأوس) من بلحارث[١] ، وفيه قرى كثيرة ومزارع .

٢ ـ مَقْسا : يسيل في اللّيث من رأسه ، مثله مثل فِلْح ، وسكان الواديين بنيوس ، وفيه قرى كثيرة ومزارع .

٣ ـ رَقْية : يصب في أعلى اللّيث من اليمين ، وسكانه رُبَيْع من بني سعد من عتيبة .

٤ ـ عَظْمان : يصب في أعلى وادي الليث من يمينه ، وسكانه فهم .

٥ ـ المَطْرق : كسابقه تماماً .

٦ ـ قِرْضام : لفهم أيضاً ، بعد سابقيه .

٧ ـ وادي السادة : يصب في الجهة المقابلة لوادي سلبة .

وفي كل وادٍ من هذه الأودية قرى عديدة ، ومزارع ، وهي مأهولة بالسكان .

٨ ـ وادي ذرا : يصب في الليث من اليمين ، كثير القرى والمزارع ، ومنه جزع يسمى (جَدَم) فيه هجرة ومركز إمارة ومدارس ومستوصف ، كلها في جَدَم .

كذا تكرر على لسان راويتنا في غميقة[٢] (جَدَم) بالدال المهملة ، ولكنه في معجم البلدان : جَذَم : بالذال المعجمة والتحريك ، وقال : أرض في بلاد فهم بن عمرو بن قيس عيلان ، قال قيس بن العيزارة الهذلي يخاطب تأبط شراً :

أثابت أم خلفت أختك عـاتقاً، تجمع عند الـمومسات أُيـورها

---

(١) اتيت على ذكر بلحارث ومعظم قبائل الأزد في كتابي (بين مكة وحضرموت) .

(٢)همابنيّة بن كلاب اليزيدي وساعده صالح بن سالم الجبري الكناني .

وأخبـرني أبـو المضلَّل أنهـا قفا جَذَم ، يهدي السباعَ زفيرُها

ولا زال جذم من بلاد بني فهم ، ولهم فيه إمارة كما تقدم .

ومن روافد ذَرَا :

١ ـ تَبْشُع : وادٍ يأتي من جهات يلملم ، فيه قرى ومزارع لبني فهم .

وقد ذكره أيضاً صاحب معجم البلدان في ديار فهم ، وأورد لقيس بن العيزارة :

أبـا عامـرٍ! إنـا بغينـا ديـاركم وأوطـانكم بين السَّفيـر وتَبْشعِ

٢ ـ وادي الصدرة : صدر ذرا ، فيه قرى ومزارع لفهم .

٣ ـ وادي أظلمة : فيه قرى ومزارع أيضاً لفهم .

٤ ـ وادي غَرْزَة ، ووادي الخَضْر : وجميعها لفهم وفي كل من هذه الأودية مياه وفيرة .

وفي أسفل وادي تبشع عين حارة يكاد ماؤها يغلي ، يزورها الناس للاستشفاء ، ورأسه ثنية شِرْيان تطلع من جَذَم على الأزحاف في يلملم ، قالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب[1] ترثيه :

أبـلغ بنـي كـاهـل عني مُغَـلْغَـلةً والقـوم من دونهم سعيا ومـركـوبُ
والقَـوْم من دونـهم أيـنٌ ومسـغبـةٌ وذات رَيْـدٍ بـهـا رِضْـع وأسلوبُ
أبـلغ هـذيـلاً وأبلغ مـن يبـلِّغهـا عني حـديثاً وبعض القـول تكـذيبُ
بـأنّ ذا الكلب عمراً خيـرهم حسبـاً ببـطن شريـان يعوي حـولـه الـذيبُ

---

(١) هو عمرو بن العجلان بن عامر الكاهلي ، من هذيل ، وأخته ، قيل اسمها : رَيْطة .

وادي الغالّة

مر معك ذكر هذا الوادي الصغير قبل وصولنا إلى الليث ، وهو وادٍ صغير بالقياس إلى أودية كالليث ويلملم ، ويسمى أعلاه (لِحْيَين) وأسفله الغالّة ، في الساحل ، وأعلاه لبني عَضَل ، وأسفله للزنابحة من بني شعبة من كنانة .

وهو يسيل من الفُرع : جبال تقع شمال شرق بلدة الليث ، وشمال غميقة وله روافد منها :

١ ـ وادي المَرْوة : سكانه عَضَل ، فيه مدرسة المروة ، ابتدائية .
٢ ـ بَشَمى : تصب في لحيين فواق المروة ، لعضل أيضاً .
٣ ـ الكُرَّة : رأس الوادي (لحيين) .
٤ ـ عيثان : وادٍ صغير به زراعة لعضل ، ونزله بادية .

وعند مصب الغالّة في الخبت تلك القرية التي وصفناها قبل الليث .

قبائل منطقة الليث

إذا كان سكان بلدة الليث كسكان أية بلدة تكون خليطاً من أفناء الناس ، فإن سكان القرى والأودية المحيطة بها هم قبائل يعودون إلى جذور موغلة في التأريخ ، كفهم وكنانة وبجيلة وغيرها .

وتقطن اليوم حول الليث قبائل عديدة ، منها :

١ ـ الأشراف ذوي حسن : هم أبناء حسن بن عجلان بن رُميثة بن أبي نمي الأول ، وهو محمد بن أبي سعيد بن حسن بن قتادة .

وكان لحسن من الولد : بركات ، وإبراهيم ، وأبو القاسم ، وعلي . وهؤلاء هم جدود الأشراف ذوي حسن ، ومن فروعهم[1] .

١ ـ آل إبراهيم أو أولاد إبراهيم ، ومنهم :

أ ـ ذوو عياف، والصعوب، والصمدان ، وآل محيي الدين .

٢ ـ أولاد بلقاسم ، ومنهم : الحواتمة ، والقواسمة ،وآل مهـدي، وآل سنبوك ، والمرايسة ، وآل رميثة ، والنعرة ، وآل عساف ، والخمجان ، وآل علي .

٣ ـ ذوو بركات بن حسن : ولم تصلنا معلومات عن فروعهم .

---

(١) معجم قبائل الحجاز (حسن) .

٤ ـ آل حسن بن **أحمد** : ولعلهم من ذرية علي بن حسن .

٥ ـ آل هاشم : ولعلهم كذلك من ذرية علي .

وديارهم : من الليث إلى قرب دوقة ، ولهم أسفل وادبي حَلْية وعُلْيب عندما يقضيان إلى الساحل ، ويسمونهما الشواق : الشاقة الشامية والشاقة اليمانية ؛ وهم أهل كرم وشجاعة وخصال حميدة ، ومن وصفهم بغير ذلك فقد ظلم نفسه ، ولهم إمارة سيأتي ذكرها .

٢ ـ بنو فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر ، وسيبحث نسب وتأريخ قيس بن عيلان فيما يلحق .

وتنقسم قبيلة فهم اليوم إلى[1] :

أ ـ بلحارث ، وهم غير بلحارث الأزد ، ومن فروعهم : آل إبراهيم ، والفُتَنة ، والحسنة ، وآل مخضور ، والخلوان ، وبنو معاوية ، والرعود ، والشُّمَلة ، والحُمدة .

ب ـ أهل القُرنة ، ومن فروعهم : الكُشَّر ، والبراهمة ، والحزمان .

وكانت ديار عدوان وفهم شرق الطائف وشماله ، فحدثت بينهم حروب أجلت فهم إلى هذه الديار فنزلوا على بني صاهلة من هذيل ، في ضيم ويلملم ، ثم غلبت فهم بني صاهلة على أرضهم ، فأصبحت صاهلة بويتات قليلة جوف فهم .

وديارهم اليوم : صدور وادي يلملم ، وخاصة الجانب اليماني منه ، وبعض فروع وادي الليث الشامية ، مثل : ذرا وجَدَم ، وما سال فيهما ، ويجاورهم من القبائل : شمالاً هُذَيل ، في عروان وما صاقبه ، وغرباً بنو شعبة من كنانة ، وفي الشمال الشرقي ثقيف ، ومن الجنوب الشرقي بنو سعد ، على أعلى نواشغ الليث .

---

(١) نفس المرجع السابق .

أما من الجنوب فوادي الليث بقبائله المتعددة ، مثل بجالة ، وبني يزيد ، وذبيان ، وغيرها .

٣ ـ عَضَل[١] : هم بنو عضل بن الهُوْن بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر[٢] . كانوا ممن أوقع يوم الرجيع بالنفر السبعة الذين ،بعثهم رسول الله ﷺ ، إلى لحيان ، وشاركتهم في ذلك القَارَة ، وخبرهم مبسوط في أمهات الكتب العربية[٣] . ويبدو أن الذين كانوا عند الرجيع شمال مكة قسمٌ من عضل لا عَضَل كلها ، إذ أن ديارها الأصلية كانت جنوب مكة ، ثم يبدو أنها انضمت إلى كنانة ، فهي اليوم فرع من بني شعبة من كنانة ، ولهم وادي مركوب ، ووادٍ صغير بين مركوب والغالّة يسمى مَرَخ ، ولهم أعالي وادي الغالّة ، كل ذلك بين مكة والليث .

ومن فروعهم : الحلقة ، وبنو عباد ـ بالتخفيف ـ والجنون ، ومنهم العيضة ، أي من الجنون .

٤ ـ الأشراف الثعالبة : نسبهم إلى ثعلبة بن مطاعن بن عبد الكريم[٤] بن موسى بن عيسى بن سليمان بن عبد الله بن أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن أبي طالب ويسكنون الخبت بين جدة والليث ، ومن فروعهم[١] : ذوو مسعود ، والطواحرة ، وذوو لفّاي ، والمسافرة ، والد هالكة ، وذوو أحمد ، وهذه الفروع تسكن حول مجيرمة والغصن ، من الخبت الذي تصب فيه أودية ما بين مكة ويلملم ، والعسوم ، والقراريص ، وذوو مكمّل ، والحجارية ، والضبسة ، والفواضلة .

وهذه الفروع تسكن حول قرية الغالّة ، شمال الليث .

---

(١) معجم قبائل الحجاز (عضل) .

(٢) سيأتي نسب مضر مع ابن عمه قيس عيلان فيما يتبع .

(٣) سيرة ابن هشام : ١٦٩ ، ١٧٠ ، معجمي ياقوت والبكري (الرجيع) ، نهاية الأرب للقلقشندي ، عضل الاشتقاق لابن دريد : ١٧٨ ، ١٧٩ ، ومعجم معالم الحجاز (الرجيع) .

(٤) قبائل الطائف .

٥ ـ بطون من كنانة : ويسكن قرب وادي الليث من الشمال وفي غُمَيقة بطون من كنانة ، منهم : الجبرة حول غميقة ، والزنابحة في وادي الخرقان والغالّة ، ورحمان كذلك . ولكنانة بحث مستقل ليس هذا مكانه .

٦ ـ بطون من حرب[1] ، ويسكن حول الليث بطون من حرب ، منهم مُزَينة ، والخواوير قرب غُميقة ، وقد أوفيت الحديث عن قبائل حرب في كتابي (نسب حرب) .

٧ ـ بنو هلال : قبيلة صغيرة تسكن جبل عَفَف ، جنوب شرق بلداة الليث ، وتنتسب إلى بني مالك من بجيلة ، ومن فروعها :

آل الشيخ[2] ، والحنشة ، والمُطَرة ، والمسافرة ، والشُّنَتة ، والعُكَسة ، وأهل إنحو ، وآل خَمِيسة ، والغَبَرة ، والجنادية . ولكن قيل لي : إنهم كانوا مع بني شهاب ، ثم انفصلوا ؛ وهذا مُرجّح لبعدهم عن ديار بني مالك ، فإذا كان الأمر كذلك فهم من كنانة ، وهذا أرجح .

٨ ـ الحضاريت : فرع صغير يسكن الشاقة اليمانية ، ولاسمهم قصة ذكرتها (في معجم قبائل الحجاز) ط ٢ ، وتأتي في السِّرَّين ، بعد هذا . .

٩ ـ بنو يزيد : قبيلة صغيرة تسكن وادي سَلِبة من روافد الليث العُلى وما جاوره ، وهم فرع من عُمَرين من ثقيف ، وليست هذه ديار ثقيف ، إنما هذه جالية من جاليات ثقيف ، ولا زالوا يحتفظون بنسبهم ، ثم يلمون إلى ثقيف ترعة في الصيحة .

ومن فروع بني يَزِيد :

أ ـ الطرفاء ، ومنهم آل بُنيّان ، والعمشان ، وآل صبحي ، والرواشدة ، وآل عاشة ، (أي عائشة) .

---

(١) انظر نسب حرب .

(٢) معجم قبائل الحجاز .

ب ـ آل حسن ، ومنهم : الهُتَمة ، والطُّوَرة ، وآل خُرَيج ، والزُّرَقة ، وآل عجلان .

١٠ ـ بَجَالة : قبيلة صغيرة تسكن أعالي وادي الليث[1] ، ولها تانة وذهب ، في الليث ، ووادي تُسْبح ، في عيار .

ويظهر أنها قديمة عريقة ، حيث جاء في كثير من المصادر : بجالة بن ذُهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد .

وهذه ديار مضر ، ومنها تفرقت إلى بقية أقطار الإسلام .

والنسبة إليهم بجالي ـ بالتخفيف ـ ومن فروعهم :

أ ـ بنو جابر ، وفيه من البطون الصغيرة : آل مفلح ، وآل عيسى ، وآل عابد ، والحُمَرة .

ب ـ البارقية ، وفيه من البطون : الشّيقة ، وبنو سهم ، وبنو مالك ، وآل مروان .

١١ ـ ذُبْيان : وهذه تنتسب إلى ثقيف ، فقد تكون من ثقيف أصلاً أو حلفاً ، وفي ثقيف ترعة ذبيان أخرى فلعل تطابق الأسماء شجع هذه القبيلة على الإدعاء بالنسبة إلى تلك ، وهو داء قديم في القبائل ، وخاصة محاولة الالتصاق بالقبائل القوية أو العريقة ، وقد تكون هذه فرع من تلك ، كلا الأمرين جائز .

وقال شيخ : بل ذبيان هذه من عفيف من بني مالك ، فانفصلت عنها، والله أعلم. وتسكن هذه القبيلة بين العرج وأضم، وكلاهما من روافد حلية ، ومن فروعها :

أ ـ بكر ، ومنهم : آل عنادة ، والبساس ، والهواملة .

ب ـ آل جابر ، ومنهم : الهملان ، والسبعة ، وأهل صبح ، وآل معلّى ، والأحلاف .

---

(١) معجم قبائل الحجاز .

وكلمة الأحلاف تكثر في قبائل اليمن ، ذلك أنهم يعتزّون بأصولهم أيما اعتزاز ، فإذا حالفتهم فروع من القبائل الأخرى ضموا الأحلاف بعضها إلى بعض وعدوها فرعاً مبارياً للفروع الأصل له ما لها وعليه ما عليها ويميزه اسمه عنها .

١٢ ـ عَفيف : فرع من بني مالك من بجيلة ، ومن فروعه[١] : آل جاملة ، وآل صفية والمحاميد . ويسكنون أضماً ، وهو وادٍ من روافد حلية .

١٣ ـ مَتْعان : قبيلة تسكن أعلى وادي حَلْية ، وأعالي وادي العرج وبعض نواشغ الليث الجنوبية ، ويسمى صدر حلية (حلية متعان) لغلبتهم عليه ، ولهم فيه سوق الربوع في العين من حلية .

ومن فروعهم[١] :

أ ـ الغمايات ، ومنهم : آل خليفة ، وآل إبراهيم ، والمعاصبة ، والحجرة ، وآل ردة ، والحُنشا ، والجوابرة .

ب ـ الرَّيَاحين ، ومنهم : آل سعيد ، والجرداء ، وآل فاضل ، والجحادلة .

جـ ـ السُّلَّم ، ومنهم : آل حَمْدة ، والردحة ، وآل مسعود ، والررزقة .

د ـ الثُّوَبَة ، ومنهم العبادلة ، والهماهمة .

١٤ ـ بعض بني الحارث : ويسكن بعض فروع وادي الليث من أعاليها فروع من بلحارث الأزدية[٢] وأهمها هنا بينوس ، حيث تسكن وادي فلح ، ومقسا ، من روافد الليث .

١٥ ـ بعض فروع بني سعد بن بكر ، ومنهم هنا : رُبيع ، يسكنون رقية من روافد الليث أيضاً .

١٦ ـ ويسكن صدور عُليب بطون من زهران[١] ، ومنهم : آل يحمد ،

---

(١) معجم قبائل الحجاز .

(٢) سبق الحديث عنها في كتابي (بين مكة وحضرموت) .

يسكنون وادي مَدَع من روافد عُليب ، وبني علي ، سكان الجرداء (جرداء بني علي) وآل سعيد ، والقَريع من روافد عليب ، تسكنه بطون من زهران منها آل سهلة ، وآل سويدي .

١٧ ـ هَتَّان : قبيلة صغيرة تسكن عليب ، ويقولون لهم (الفقهاء) وهم سادة حُسَينيون ، ومن فروعهم : آل حسين ، آل حوت ، آل خضر ، آل أبو الرمش .

قيس بن عَيْلان

وعدنا القارىء ، ببحث عن تأريخ قيس بن عيلان عند الحديث عن فهم ابن عمرو بن قيس .

نسب قيس

قال النسابون : هو قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

وقال آخرون : قيس بن عَيْلان ، وعيلان هذا هو (النَّاسّ) بن مضر ، إلى آخر النسب .

وقال بعضهم : بل قيس بن النَّاسّ ، وعَيْـلا : مولى للناسّ حضن قيساً فنسب إليه .

ومن هذه الأقوال ترى أن الخلاف في نسب قيس بسيط وأنه في كلا الحالات مُضَري معدي .

ديار قيس

تشعبت قبائل قيس بن عيلان فامتدت ديارها من تهامة ـ حيث تسكن بنو فهم ـ إلى ما وراء القصيم إلى المدينة المنورة إلى خيبر .

فكانت المنطقة الممتدة من جنوب غربي الطائف إلى شمال المدينة إلى القصيم إلى جنوب نجد ـ وادي الدواسر وما جاوره ـ وغرب نجد ـ الدوادمي

وعفيف وما جاورهما ، كل هذه المنطقة قيسية .

فكانت أكبر الشعوب العدنانية على الإطلاق ، حتى شمل اسمها اسم العدنانيين في العهد الأموي ، فكانوا يقسمون العرب الى : قيسية ويمنية .

أي أن كل قبائل ربيعة ومضر الأخرى انضوت تحت هذا الاسم .

فروع قيس بن عيلان

تفرعت قيس إلى ثلاث قبائل كبار هي :

١ ـ خَصَفة بن قيس ، وهذا تفرع الى فروع كبار هامة ، فكان منه :
أ ـ سليم بن منصور بن خصفة : وكانت ديارهم حرة الحجاز وما شرقها .
ب ـ هوازن بن منصور بن خصفة : وهذه ملأت السهل والجبل ، فكان منها بنو عامر بن صَعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .
وسعد بن بكر بن هوازن ، فكانت ديارها تمتد من نواحي الطائف إلى الأفلاج بنجد . وكان من خصفة بنو محارب بن خصفة ، ومازن بن منصور .

٢ ـ الفرع الثاني سعد بن قيس ، ومنه كانت غَطَفان بفروعها المتعددة ، وانقسمت غطفان إلى قبائل كان من أهمها : عبس وذبيان واشجع .
وكان من سعد بن قيس (أعصر) بعالية نجد .

٣ ـ الفرع الثالث عمرو بن قيس ، وتفرع من عمرو هذا فرعان : عدوان : وديارهم ضواحي الطائف ، ولا زالوا ، وفهم : وديارها جنوب مكة ، وقد مر بحثها .

تاريخها

يطول بنا البحث لو استقصينا تأريخ القيسية ، غير أنه لا بد من إعطاء لمحة سريعة في نقاط تجعل القارىء ، يلم بأحوال هذه القبائل :

● ناصبت غطفانُ الإسلامَ العداء من أول وصول رسول الله ﷺ المدينة ، فهاجمت المدينة ثم ارتدت عنها .

وتحالفت مع الأحزاب في غزوة الأحزاب .
وواطأ بعضها اليهود عند فتح خيبر .
وارتدت غطفان بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم .

● اشتركت هوازن في يوم حنين ضد المسلمين ، وأوقع بها ﷺ في أوطاس ، وهاجمت بنو هلال بن عامر بن صعصعة مكة بعد الفتح ، ثم هاجرت الى الغرب في القرن الرابع أو أول الخامس الهجري .

● كان الغالب على بني سليم بن منصور مناصرة الدعوة من أولها واشتركت في غزوة الفتح مع النبي .

أما في الجاهلية فكانت لهم أيام دامية ، كان من أهمها حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان من غطفان ، وأيام الفجار بين هوازن وكنانة ، وأيام أخر .

بقايا قيس اليوم

تتكون معظم قبائل عتيبة اليوم من هوازن القيسية ، وخاصة سعد بن بكر التي لا زالت تحتفظ باسمها وتكوينها .

يقول الباحثون : إن جل قبيلة مطير اليوم هي من غطفان[1] ، وخاصة بني عبد الله ، وتوجد في القصيم بقايا من باهلة بن سعد بن مالك[2] .

وفهم قد تقدمت من بقايا قيس ، وفي ضواحي الطائف بقايا من عدوان[1]
أما سليم بن منصور فلا زالت تحتفظ باسمها وقسم كبير من ديارها .
وبالتالي فإن هذه القبيلة تجزأت ، أما من يقول عن قبيلة ما : اندثرت ، فهذا ضد ناموس الحياة ، فالقبيلة تتكاثر ولا تندثر ، إنما قد يتغير الاسم كما حدث في هوازن عندما كبرت قبائلها ، وقد تنزح القبيلة فتتفرق شيعاً ، ومع هذا لا تندثر ، إنما تنمو لها فروع لا تحمل اسم القبيلة ، وهكذا .

---

(١) انظر كتابي (معجم قبائل الحجاز) .
(٢) في هذا خلاف ، واجمع النسابون أن باهلة أمّهم نُسبوا إليها .

رحلة إلى غُميقة

طلبت من الشيخ محمد بن عبد العزيز أمير الليث ، مرافقاً لزيارة غميقة ؛ وغميقة تعتبر مركزاً قبلياً هنا ، فوافق وأرسل معي بعض (خوياه) .

خرجنا من بلدة الليث مشرقين ، فأخذ الطريق على طول مجرى وادي الليث في شواق وبطاح ميثاء لا تسير فيها إلاّ سيارات خاصة ، وكانت هناك شركة تعمل على مدّ طريق مزفّت إلى جَذَم ماراً بغميقة ، ولكن عملها لا زال تمهيداً .

وكان من أبرز الجبال أمامنا إلى اليمين جبل عَفَف الشامخ ، وكذلك الجبال السروية ، وأشار مرافقي إلى قممٍ لا تكاد ترى من البعد حتى ليخيل إليك أنها في السماء ، وقال تلك جبال الليث ، وعرفت فيما بعد من بني يزيد أن تلك الجبال هي جبال (أمول) ثم رأيت على يسارنا حرة سوداء بيننا وبين وادي الغالّة ، قال مرافقي إنها حرة (رحمان) .

ثم مررنا بجبلٍ ليس كبيراً يسمى (رِدَاعة) ينقسم ماء وادي الليث عنه ثم يجتمع بعده وكأن اسمه أخذ من الردع أي أنه يردع سيْل وادي الليث .

ثم ظهر أمامنا جبل اسمه قُرحة : بين وادي الليث ووادي عيري ، وتراه وكأنه يقابل جبل عفف من الشمال ، ثم جبل نسيـان ، الى الشرق من جبل عفف ، وهو لبني هلال . ثم مررنا بقُريّة تدعى بُرَيدة ، على قرابة عشرين كيلاً من الليث ، وهو اسم بئر قديمة ، ثم قامت هذه القرية على تلك البئر ، وسكان

بريدة من الأشراف المهادية (ذوي مهدي) والأشراف الحرازين ، وفرع يدعى الخوالدة .

وشمال بريدة ظهرت عدة جبال زرق في ديار رحمان ، بها قرى لهم ومزارع .

وقبل غُمَيقة بقليل ، كان إلى يسارنا قرية الصواملة الأشراف ، وتسمى القَدْمة ، والقدمة : مقدمة الجبل أو الحرة إذا أكنع في السهل .

ثم مررنا ببويتات يدعى موضعها (القرينات) والقرينات : أكيمات بوارز هنا فسمي النزل بالموضع .

والطريق من الليث إلى غميقة يمهد الآن ، وهذه آلات الشركة تعمل ، وأحياناً نخرج في تلك الأجزاء الممهدة فيسهل سيرنا ، وهذا الطريق سيذهب إلى غميقة ، وجدم ، وسلبة ، ويتفرع منه فرع إلى أعالي يلملم .

في غُمَيقة :

وعلى ثلاثين كيلاً من السير شرقاً مع ميل قليل إلى الشمال ، وصلنا إلى قرية غُميقة ، وهي قرية كثيرة الانتشار في الوادي ، وبناء مساكنها بسيط من الإسمنت المسقف بالخشب والصنادق .

فوجدنا وكيل إمارة غُميقة : الشاب الكريم رَدَّة بن عبد الله الجبيري ، من الجبرة من بني شعبة من كنانة .

ولكرمه أصرّ على أن نتناول طعام الغداء معه ، فذبح ذبيحة كعادة العرب ، وكان في الإمارة مجتمعٌ حاشد ذلك اليوم ، فاستفدنا من شيخين من شيوخ القبائل : أحدهما بنيّة بن كلاب اليزيدي ، والآخر صالح بن سالم بن سليم الجبيري .

وصف غُميقة :

هي قرية كبيرة ـ كما قدمنا ـ بيوتها منتشرة على طول الوادي ـ (وادي

الليث) ويقرب طولها من (٦) أكيال ، وتتخللها بروث ، منها : أبو قُفَيف ، وقرن الحويّة ، والمرزوز ، والقصيم .

وإلى جانب القرية من الشمال غابة من النخيل ، تُسقى عند غرسها فقط ، ثم تتعـرى ، يتصل بهذه الغابة غابة من شجر الأراك ، مما يجعل المكان ذا خضرة دائمة جميلة ، ومن غميقة ترى جبل عَفَفَ ـ أبرز أعلام الليث ـ جنوباً عن بعد ، وجبل قُرَحة ، شرقاً عن قرب ، وكأنه يشرف عليها .

وفي غميقة : مركز إمارة ، ومدرستان : للبنين ، ابتدائية ومتوسطة ، ومدرسة ابتدائية للبنات ، ومستوصف ، وشرطة ، ومحكمة .

بين الليث والقنفذة

عدنا إلى بلدة الليث ، فودعت رفيقي ، وواصلت سيري على درب اليمن ، وكان الوقت عصراً ففرقت قليلاً فأدّيت صلاة العصر ، ثم واصلت سيري ، وعلى (٥) أكيال مررت بقرية لآل مهدي من الأشراف ذوي حسن ، وبجوار القرية الى جانب الطريق مدرسة حديثة .

وإذا خرجت من اللّيث جنوباً ظل جبل عَـفَف يسايرك ، لا يختفي عن نظرك حتى تصل إلى دوقة أو قربها .

وإذا خرجت على هذا الطريق من الليث ترى البحر أيضاً يسايرك إلى مسافة طويلة ، فتراه وترى من عليه .

وعلى (١٤) كيلاً من الليث اعترضنا سيل وادي عيَار حين يدفع في البحر .

وادي عيار ، ويسميه المتقدمون أعيار

وادٍ صغير ـ بالقياس إلى وادي الليث ـ يأتي من الجبال الواقعة على السفوح الغربية للسراة ، فيأخذ مياه جبال ذَهَب ، ثم ينحدر بين الليث شمالاً وجبل عفف جنوباً ، ومعظم مياهه تأتيه من جبل عفف .

وأهم روافده :

١ ـ وادي تسبح : يسيل من ديار بجالة : فيصب في وادي عيار من رأسه .

٢ ـ ضهياة : يسيل من العرف من بلاد عُمرين ، ثم يصب في عيار من اليسار .

٣ ـ شال : يأتي عياراً من اليسار ، بين جبل عفف وضهياة .

٤ ـ الحارّة : تسيل من جبال عُمرين ، وتصب في مُراج .

٥ ـ وادي مَنْسا : يأتي عياراً من اليمين من جبل قُرَحة ، ومن روافد منسا : الصَّدْية .

٦ ـ وادي مُراج : وادٍ ذو روافد يسيل من عفف فيصب في عيار من اليسار .

وفي كل وادٍ قرى ومزارع وجل سكان عيار وروافده قبيلة بني هلال المقدم ذكرهم ، وهم فرع من بني مالك ، كما تقدم هذا القول ومناقشته .

جبل عَفَف

هو جبلٌ ضخمٌ من جبال تهامة الحجاز ، تراه وأنت في أي مكان من اللّيث ، وتراه من دوقة ، ومن أماكن بعيدة ، وهو جبل جميل كثير القرى والمزارع ، وبه فُرَع في رأسه بها نخيل ومياه ، وبه معاسل ، وكل ذلك لبني هلال .

ومعظم روافد عيار من جبل عفف من وجهه الشمالي .

أما وجهه الجنوبي فمياهه في وادي حَلْية ، أي أن حَلْية وعياراً تكتنفان جبل عفف من الجنوب والشمال ، وتقتسمان مياهه .

وعلى (٢٢) كيلاً مررت بقرية لقبيلة مزينة فيها مدرسة ابتدائية .

وعلى (٢٦) كيلاً من الليث ظهر الطريق في مكان يسمى الوسقة .

البَزْواء

وهذه هي البزواء التي ذكرها أبو دهبل في قصيدته الميمية ، حين قال :

وجازت على البَزْواءِ ، والليلُ كاسرٌ جناحَيْهِ بالبزواء وَرْداً وأدهما

وتُسمى اليوم الوسقة ، لأنه حزم مرتفع بين عيار وحلية ، له وسقة مستوية . والبزواء في اللغة ذات الصدر البارز ، ثم أطلق على أماكن من الأرض على سبيل التشبيه ، والوسقة كل ظهر مستوٍ ، فإذاً المعنيان متقاربان ، ولكل زمن لهجة تلائم فهم أهله ؛ وهي صحراء واسعة ، تمتد غرباً إلى البحر ، وشرقاً إلى سفوح جبل عفف . واسم الوسقة يطلق على ظهر هذه الصحراء والقرية التي قامت فيها . أمّا ما بين الطريق المزفّت إلى سفوح جبل عفف فيسمّى (حبْوَة) وهي صحراء تشبه صحراء رُكْبَة ، فيها مزارع عثرية وفيها أشجار الأراك .

ثم أخذ جبل عفف يتأخر ببطء إلى اليسار والخلف ، ثم أخذ علم آخر يبرز أمامي إلى اليسار ، ذلك هو جبل (نَخْرة) تسيل مياهه في عليب ، وهو جبل ململوم له رأس كسنام الجمل ، وسكانه بنو سُلَيم من زهران ، وهذه ـ أي نَخْرة وما حولها ـ من تهامة زهران .

وقامت على ظهر الوسقة مقاهٍ ومحطات وسوق ، فصارت مأهولة فسمي هذا المكان الوسقة أيضاً ، من قبيل تسمية الجزء باسم الكل .

وقبيل أن نهبط الطريق الشاقة الشامية ، رأيت إلى يساري قرية جميلة

حديثة قامت على يسار الطريق مبنية بناء مزخرفاً للأشراف ذوي حسن .

وعلى (٤٦) كيلاً مرّ الطريق على جسر ضخم على وادي حلية ، ويسمى في الخبت الشاقة الشامية ، وهو وادٍ خضر نضر تكسو جنباته غابات من الأراك يتغذى عليها نوع من الإبل يسمى الإبل الآركية ، وبلهجة عامة أهل الحجاز (اليرك) واحدتها (ياركية) وهي التي تكاد تجتزىء برعي الأراك عن غيره ، ويعطيها لوناً وشكلاً مميزاً عن غيرها . ويكثر هنا من النبات : السمر والمرخ ، ويزرع في الوادي الدخن والذرة على مياه المطر ، ورأيت قرب الطريق آباراً على الضخ الآلي عليها زراعة طيبة ، وهذه ما كانت تحدث قبل عهد الآبار الأرتوازية (قصب الأعماق) .

وادي حَلية

وادٍ فحل يأخذ مياه سراة بني مالك الغربية ، وقسم من مياه سراة زهران الشمالية الغربية ثم ينحدر مغرباً ، فيسمى أعلاه حلية ، وتسمّيه الأشراف إذا مرّ في ديارهم في الساحل : الشاقة الشامية .

وخير وصف وجدته لهذا الوادي في كتب المتقدمين ، قولهم[1] : حَلْية وادٍ بين أعيار وعليب يفرغ في السِّرَّيْن . وقولهم : حلية : وادٍ بتهامة ، أعلاه لهذيل ،وأسفله لكنانة . وحلية هذه فعلاً تصب على السرين ، وهي أثار سنتحدث عنها فيما يتبع بعد أن تمر بين عليب جنوباً وأعيار شمالاً .

أهم روافد وادي حلية :

١ ـ وادي العرج : يأتي من سراة بني مالك ، وهو كثير القرى والمزارع والسكان ، ثم يصب في حلية من الشمال ، وهو من أهم روافدها ، حتى أن بعضهم يسميه حلية ، وفيه سوق العين لقبيلة متعان ، ويسمى هنا (حلية متعان) وهذا هو امتداد وادي حلية .

٢ ـ وادي أَضَم : من أعمر هذه الجهات ، وأكثرها حصوناً وأثاراً ، فيه مركز أمارة ، وقد تقدم ، ثم يدفع في وادي العرج من اليمين ، سكانه بنو عفيف

---

(١) معجم البلدان (حلية) .

من بني مالك (بجيلة) .

٣ ـ مَلِحَة : وادٍ أصغر من سابقيه ، يأتي من الجنوب الشرقي ، فيه زراعة على الآبار ، وسكانه : بنو هَتّان الفقهاء ، وبطون من زهران .

٤ ـ شُعْب : وادٍ يسيل من جبال حضا ، وهي جبال عالية ، وبه أيضاً زراعة وسكان .

٥ ـ الجائزة : وادٍ كبير يأتي حلية من الشرق الجنوبي ، كثير القرى والزرع ، وفيه إمارة تابعة لإمارة اللّيث .

وإذا نزل وادي حلية الخبت يُسمى الشاقة الشامية ، وسكانه الأشراف ذوو حسن بن عجلان .

تجاوزت الشاقة الشامية بينما أخذ جبل نَخْرة يبرز شامخاً ، أما جبل عفف فقد صار خلفي .

وعلى مرأى من الشاقة الشامية مررت بمسيل صغير أطلق عليه أمير بلدة الشواق اسم الشاقة الوسطى ، وهو بين حلية وعليب على تقاربهما ، ثم علوت حزماً فهطبت منه إلى قرية كبيرة تدعى الشَّواقّ ـ جمع شاقة ـ وهي حلية والشاقّة الوسطى وعليب ، وذلك على (٥٤) كيلاً من الليث ، على الضفة الشمالية من وادي عليب .

حلية في الشعر العربي

جاء في معجم البلدان : وقيل : حلية موضع بنواحي الطائف ، وقال الزمخشري : حَلْية وادٍ بتهامة ، أعلاه لهذيل ، وأسفله لكنانة . وقال أبو المنذر : ظعنت بجيلة وخثعم إلى جبال السراة فنزلوها وسكنوا فيها ، فنزلت قَسْر ابن‌عبقر بن أنمار بن أراش جبال حلية ، وأسالم وما صاقبها ، وأهلها يومئذ من العاربة الأولى ، يقال لهم : بنو ثابر[1] ، فأجلوهم عنها وحلّوا مساكنهم ، ثم

---

(١) هم اليوم في بني شهر ، جنوب حلية ، بعيداً .

قاتلوهم فغلبوهم على السراة ونفوهم ، وقاتلوا بعد ذلك خَثْعم ونفوهم عن بلادهم ، فقال سويد بن جدعة أحد بني أفْصَى بن نذير بن عبقر :

ونحن أزحنـا ثـابـراً عن بـلادهم   بحليـة أغنـامـاً ونحن أسـودهـا
إذا سنـة طـالت وطـال طـوالهـا   وأقحط عنهـا القطر وابيضّ عـودهـا
وجـدنـا سـراة لا يحـوّل ضيفنـا ،   إذ خـطة تعيـا بقـوم نكيـدهـا
ونحن نفينـا خثعمـاً عن بـلادهم   تُقتّـل حتى عـاد مـولىً سنيـدهـا
فـريقين : فـرق بـاليمـامـة منهم ،   وفرق بخيف الخيل تترى حدودها

ويقول أبو عُبَيْد البكري :

حلية : باليمن معروفة ، وهي مأسدة .

ويقول كثير عزّة :(١)

إذا عـرضت شهباءُ خـطّارةُ القنـا   تـريك السيـوفَ هزُّهـا واستلالَهَـا
رميت بـأبناء العُقَيميّـةِ الـوغى   يؤمون مشي المشبلات ، ظلالها
كـأنّهمُ آسـاد حَـلْيَـةَ أصبـحت   خوادر تحمي الخيل ممّنْ دنا لها

وقال الهُذَليّ :

كـأنّمـا أُبـطنت أحشـاؤهـا قصبـاً   من بطن حَلية لا رطبـاً ولا نَقِـداً

---

(١) ديوانه : ٨٣ تحقيق إحسان عباس .

السِّرَّيْن

اثار بلدة قديمة تقع على مصب وادي حلية ، وترتكز على رأس في البحر الأحمر على ٤٩ كيلاً جنوب اللّيث ، وقال بعضهم بل ٤٣ كيلاً ، ذلك أن الطريق غير مُعبّد ، يفرق طريقها من بلدة الوسقة ـ تقدمت ـ وتبعد عنها ٢٣ كيلاً ، فيها بقايا بنيان ومصانع ومقابر مما يدل على عمران قديم اندثر ، وتعرف عند أهل الديار بأسم (المصنع) وهم يطلقون هذه التسمية عادة على بعض الآثار .

ويروي السكان المجاورون عن اندثار السرين أسطورة[١] .

وذكر الفاسي (العقد الثمين) السرين عند ترجمة الشريف راجح بن قتادة ، وقال : تعرف اليوم بالواديين[٢] .

والواديان هما : حلية وعليب ـ تقدما ـ وقوله هذا ينطبق على بلدة الصهوة المندثرة أيضاً والتي قامت بمكانها بلدة الشواقّ ، وهذا يدل على أن السرين قد اندثرت من زمن ثم قامت الصهوة عوضاً عنها في الواديين كما قامت مدينة اللّيث عوضاً عنها لأهل اللّيث .

والمتقدمون عرفوا السرين بأنها بليدة ، قال ياقوت : سِرَّيْن : بلفظ تثنية

---

(١) ذكرتها في معجم قبائل الحجاز ، مادة الحضاريت .

(٢) مادة راجح .

السر الذي هو الكتمان : بُلَيد قريب من مكة على ساحل البحر ، بينها وبين مكة أربعة أيام أو خمسة ، قرب جدة .

وتحديد ياقوت لها بالنسبة إلى مكة جيد ، غير أنها تبعد عن جدة نفس المسافة ، وعند حديثنا عن اللّيث ذكرنا طرفاً من خيرها .

ولأخينا حسن بن إبراهيم الفقيه عناية بآثارها وكل تهامة ، وهو يرى أن اندثار السرين كان في القرن السابع الهجري .

وهذا ليس بعيداً .

وادي عُلْيَب

وادٍ فحل من أودية الحجاز التهامية ، غير أنه أصغر من سابقه (حلية) أعلاه عليب ، ويطلق على أسفلهُ الشاقة اليمانية في الساحل .

يأخذ أعلى مساقط مياهه من سراة زهران ، ثم ينحدر غرباً بين وادي حلية شمالاً ، ووادي دوقة جنوباً ، حتى يصب في البحر جنوب آثار السرين على مرأى منها ، وهو كثير المياه قبل أن يصل إلى الساحل ، وله غيل يسح على وجه الأرض وفيه نخل وقرى كثيرة ، وله روافد عديدة منها :

١ ـ المضحاة : وادٍ يصب في عليب من الجنوب ، فيه قرى ومزارع لزهران .

٢ ـ وادي جدامة : يسيل من جبال الصعاليك فيصب في عليب من الجنوب ، وفيه قرى ومزارع لزهران .

٣ ـ وادي مَدَع : يأتي أيضاً من الجنوب ، وفيه قرى ومزارع لبني يحمد من زهران ، وفيه مدرسة بنين ابتدائية .

٤ ـ الشعراء : وادٍ يسيل من حجاز زهران ، فيصب في عليب من الجنوب ، وهي أعلى مما تقدم ، وفيها قرى ومزارع لزهران .

٥ ـ القَرِيع : يصب في أعلى وادي عليب من الجنوب ، وهو لزهران أيضاً .

٦ ـ النُجَيل : يصب من الجنوب ، وفيه قرى ومزارع لزهران .

٧ ـ الجَرْداء ، وتُسمى جرداء بني علي : تصب في عليب من الجنوب ، وهي لبني علي خاصة من زهران .

وهذه روافد وادي عليب الجنوبية ، أما روافده الشمالية فهي :

١ ـ ظَلَافة : تصب من جبال حضا، وفيه قرى وسكان ، وهو لزهران .

٢ ـ الأمريين (الأمريان) : واديان يقال لأحدهما الأعلى وللآخر الأسفل، يصبان في عليب من الشمال ، وهما متجاوران .

٣ ـ مَلْحتين ـ مثنى مَلْحة ـ وادٍ يصب من جبال حضا أيضاً ، وسكانه ، بنو هَتّان ، وزهران .

٤ ـ كَرْش : وادٍ يسيل من جبال حضا ، فيصب في عليب من الشمال .

٥ ـ الأوجام : أقرب الروافد إلى بلدة الشواق ، ويبعد عنها قرابة (٤٠) كيلاً .

اهم القرى في وادي عليب

١ ـ الحَريقة : قرية كبيرة ، فوق الشواق بحوالي (٣٥) كيلاً ، فيها مدرسة ومسجد .

٢ ـ الجَرَين : فوق الحريقة بحوالي ثلاثة أكيال .

٣ ـ الحَجْرة : وهي بلدة بوادٍ يُسمى الحجرة أيضاً يصب في عليب من الشمال الشرقي ، ولها سوق يوم الأحد ، وهي بلدة عامرة .

وعليب عارضته لزهران ، تخلطهم قبيلة صغيرة تدعى هتان ، وساحله للأشراف ذوي حسن ، ولهم فيه ـ كما تقدم ـ قرية كبيرة ، هي : بلدة الشواق المتقدم ذكرها .

وفي عليب جبال شوامخ كثيرة المياه والقرى ، من أهمها :

١ ـ جبل نَخرْة : أشهر الأعلام في هذا الساحل بعد عفف وشدوين ، وسكانه زهران ، ومياهه : الشمالية في عليب ، والجنوبية في دوقة .

٢ ـ جبل حَضَا : جبل ، بل جبال شوامخ ، مياهها الشمالية في حلية ، والجنوبية في عُليب ، وهي داخلة في العرضية[1] .

---

(١) العرضية والأعراض : جبال تهامة ، والساحل : سهل تهامة ، فتهامة تقسم إلى ساحل وعروض .

والمنطقة التي تسكنها زهران من عليب تتبع الباحة إدارياً ، ولا تتبع الليث ، وكذلك في كل من دوقة والأحسبة وحلي وما والاها ، معظم عروضها تتبع سراتها .

عُلْيَب في كتب المتقدمين

قال الهمداني[1] : وعليب : وادٍ بين الخبتين ، خبت البزواء وخبت أذن ، وهو في مساقط بلاد بارق من غور السراة ، وهي : بقرة والملصة ويسران . إلخ .

قلت : قوله ، وهو من مساقط بلاد بارق وهم ، إذ كان جلّ عليب لكنانة وسراته لدَوْس ، ودوس لا زالت ساكنته ، وهم اليوم من زهران ، وفي عليب - في الحجرة - كان يوم بين كنانة ودوس ، وسنذكره في بحث قبيلة كنانة .

وذكر أبو دهبل عليب في قصيدته الميمية ، فقال :

ألا عَلِق القلبُ المتيَّمُ كُلْثُما ... لَجُوجاً ولم يلزم من الحُبّ ملزما
خرجتُ بها من بطن مكة بعدما ... أصاتَ المنادي للصلاة وأَعْتما
فما نام من راعٍ ولا ارتد سامرٌ ... من الحيِّ حتى جاوزتْ بي يَلَمْلَما
ومَرّت ببطن الليث تهوي كأنّما ... تبادر بالأصباح نهباً مقسَّما
وجازت على البزواءِ والليل كاسر ... جناحيه بالبزواء ورداً وأدهما
فما ذَرّ قرنُ الشمس حتى تبيَّنَتْ ... بعُليب نخلاً مشرِفاً ومخيّما
ومرّتْ على أشطان دَوْقةَ[2] بالضُّحَى ... فما جرّرت بالماء عيناً ولا فما
فما شربت حتى ثنيتُ زمامها ... وخِفتُ عليها أن تجنّ وتكلما
فقلت لها قد بُعْتِ غير ذَميمةٍ، ... وأصبح وادي البِرك غيثاً مُديَّما[3]

وقال ساعدة بن جؤيّة الهذلي :

---

(١) صفة جزيرة العرب : ٣٣٣ .

(٢) في الأصل (روقة) وهو تحريف .

(٣) معجم البلدان (عليب) .

والأَثْـلُ من سعيـا وحَلْيــة منـزلٌ   والـدَّوْم جاء بـه الشجـون فعُليبُ

وللمتقدمين أقوال في اشتقاق اسم عليب ، غير أن من لهجة أهل الحجاز - وأظنها قديمة - تسمية الغابات في الأودية بالعلوب ، واحدها (عِلْب) وهذا القول ينطبق على عليب هذا فلعله سُمي عليب لكثرة علوبه .

قرية الشواق

كانت بلدة أو قرية تُعرف بالصَّهْوة ، سكنها الأشراف ذوو حسن ، في القرن التاسع وهم بنو حسن بن عجلان بن رُميثة بن أبي نمي الأول ، كان سلطان الحجاز ، وكان شجاعاً كريماً عالماً ،عاش (٧٧٥ ـ ٨٢٩ هـ)[١] ووجدت فيها آثار مبانٍ حجرية ، منها مسجد وسوق ، وكان سوقها الخميس .

ثم حُرِّف اسمها ، حيث نجد الفاسي في العقد الثمين يكرر ذكرها باسم (الواديين) وهو يقصد الشاقتين الشامية واليمانية ، لأن الوسطى لا تذكر .

وهي تبعد عن الليث كما قدمنا (٥٤) كيلاً ، أي مرحلة على طريق الجمال القديم ، وعن مكة (٢٧٩) كيلاً جنوباً على الساحل .

فلما تكوّنت إمارة الأشراف ذوي حسن سميت إمارة الشواق فأُطلق الاسم على الموضع فقيل : بلدة الشواق ، وهي على الضفة الشمالية لوادي عليب (الشاقة اليمانية) . وقد تأسست هذه الإمارة سنة ١٣٥١ هـ .

وفي القرية : مدرسة متوسطة للبنين وأخرى ابتدائية ، وابتدائية للبنات ، ومحكمة شرعية ومستوصف ومركز بريد ، بالإضافة إلى الإمارة .

---

(١) العقد الثمين : مادة حسن بن عجلان ، وخلاصة الكلام ص ١٢٣ ، والأعلام حسن بن عجلان .

وصلت إلى هذه البلدة قبيل الغروب ، وبعد صلاة المغرب سألت عن مقر الإمارة فهديت إليه ، ولكن أميرها الشريف : محمد أبو الزور العيافي كان غائباً في إجازة ، ولكن الأخوة هنا قاموا بالواجب خير قيام ، فشكرتهم وسريت بعد العشاء .

وعلى (٥٣) كيلاً مررت على جسر ضخم هو جسر عليب ، ثم صعدت حزماً يتكون منه خبت واسع بين عُليب ودوقة ، وتبعد دوقة من هنا (٣٨) كيلاً .

وعلى (٨٣) كيلاً من الليث وصلت إلى قرية حُفَار ، وحُفار أصلاً اسم للخبت الذي يفصل بين عليب ودوقة ، ثم قامت فيه هذه القرية على الطريق المزفت فسميت به ، وهي قرية صغيرة مكونة من مقاهٍ وحوانيت وبعض مساكن العاملين عليها ، وهي تابعة لإمارة الشواق .

وبعد ما يقرب من (٤) أكيال من قرية حفار ، مررت بعُسيلة ، وبها الحدود بين إمارتي الليث والقنفذة ، وإلى اليسار بين حفار والجبال يقع خبت أُذن : الذي مر معنا في تحديد عُليب ، وبه أكيمات حمر تُسمّى (حُمُر أذن)[1] .

وعلى (٩٨) كيلاً من الليث ، و (٣٨) كيلاً من الشواق وصلت إلى دوقة ، أي على (٢٨٣) كيلاً من مكة .

وعلى الضفة الجنوبية لوادي دوقة تقوم قرية متسعة إلى يسار الطريق ، تسمى (المُسَيْليم) وفي مقهىً بجنب الطريق وجدت شيخاً يدعى (أحمد بن علي بن ابراهيم الشيخي أو المشيخي) وعنه أخذت جل ما كتبته عن دوقة .

---

(١) كذا ذكر صديقنا ، حسن بن إبراهيم الفقيه .

دَوْقَة

الأصل اسم لوادٍ فحل من الأودية التهامية ، ثم قامت على مصب هذا الوادي قرية ، لا نعرف بالتحديد تأريخ قيامها ، غير أنه لا شك موغلٌ في القدم ، فسميت القرية باسم الوادي كما هي الحال في الليث ، فصار عند السماع ينصرف الذهن إلى القرية لا إلى الوادي .

وكانت هذه البلدة المرحلة السابِعَة من مكة[1] ، غير أن درب اليمن لا يمر بها لانحرافها عنه إلى البحر .

وهذا الوادي يقطعه درب اليمن على (٢٨٣) كيلاً من مكة ، كما قدمنا .

يأخذ وادي دوقة أعلى مساقط مياهه من سراة زهران ، شمال غربي الباحة . ثم ينحدر غرباً فترفده أودية تجعل سيله جارفاً وأرضه ريانة كثيرة المزارع والخيرات .

وقال الشيخ أحمد الشيخي : تقسم دوقة إلى قسمين : دَوْقة بن خير ، وهو الوادي إذا نزل الساحل ، ومنه البلدة القديمة (دوقة) وقرية المسيليم ، وقُدِيح ، وستأتي هذه القرى فيما بعد ، وكذلك سبب هذه التسمية .

---

(١) الرحلة اليمانية : ١٩ .

ودوقة الأحلاف : وهي وادي دوقة الداخلي من شعوف السراة ، إلى أن يتسهل إلى الساحل ، وقاعدته (قُلوة) بلدة عامرة بها إمارة تابعة للباحة ، وإدارة تعليم وجميع مرافق الدولة .

روافد وادي دوقة :

١ ـ وادي مَحْلى : وادٍ فيه قرى وزرع ، يصب عند الرميضة من جبل نِيْس .

٢ ـ وادي سبَّة : من الشفا ومن جبل نِيْس ، وهو مأهول بالقرى والزراعة .

٣ ـ وادي يَحَر : يصب عند بلدة قلوة ، ويأتي من جبل شدا الشامي ، وجبل المنقض .

٤ ـ وادي ريم : يسيل من جبل نِيْس فيصب في دوقة عند الهجافة (منطقة من الوادي) .

٥ ـ وادي سَمَعَة : يسيل من جبل رَبَا وجبال الحلق والشغار والرصاصة ، كلها جبال .

٦ ـ وادي نِيَرىَ : يصب من الشغار ، والرصاصة ورَبَا فيصب في الملقى .

٧ ـ وادي راية : يصب من الشغار والرصاصة في الرميضة ، ومن جبال الصَحَن أيضاً .

٨ ـ كروان السويدي وكروان العبادي (ولعلهما مثنى كرا) يصبان من جبال الأمساك ويجتمعان عند الرُّمَيْضة في دوقة .

٩ ـ وادي ذي غِلِف : يجتمع بوادي ريم ـ المتقدم ـ ثم يصب في الهجافة ، من جبل رَبَا .

١٠ ـ وادي الصعاليك : يسيل من جنوب جذامة ثم يصب عند الرميضة .

١١ ـ وادي الحَضَن : يسيل من جبل نَخْرة ومن الفاتح ، ثم يصب في دوقة عند الضرس ، أسفل من الرميضة .

١٢ ـ وادي عُشَرة : يصب في مكان يُسمّى مَسدَّة ، أسفل من الرمضة ، يأتي من جبال بالأسود من زهران .

١٣ ـ وادي شعثان : يأتي من جبال غرب شدا بالأسود ، وهي آخر الجبال مما يلي الساحل .

١٤ ـ واديان يسمى أحدهما الشعب الشامي والآخر الشعب اليماني : يصبان في حلقة الوادي قبل مفيضـة إلى الساحل ، أسفل من مخطط السد .

أهم القرى في وادي دوقة :

١ ـ في دوقة ابن خير ، وهي دوقة في الساحل :

أ ـ قرية دوقة ، وهي التي كان اسمها مرادف لاسم الوادي ، وقد أُطلق اليوم عليها اسم (دوقة قديم) وتقع على الساحل ، وتبعد عن البحر بحوالي (١٢) كيلاً ، وغرب هذا الطريق المزَفَّت بحوالي خمسة أكيال ، ولها على البحر مرسى كانت ترسو فيه السفن ببضائع تنقل إلى السراة ، وفي البلدة سوق عامر مليء بالبضائع .

وبها مدرسة ابتدائية ومتوسطة للبنين ، وابتدائية للبنات . وسكانها قبيلة ابن خير وستأتي في السكان .

ب ـ قرية الدُّلَيْمي : على الضفة اليمنى لوادي دوقة ، ممتدة إلى الميناء ، وتتبع دوقة القديمة ، وبها مدرستان ابتدائيتان : إحداهما للبنين والأخرى للبنات .

جـ ـ قرية مشرف : قرية للمشاييخ ، قرب دوقة القديمة .

د ـ قرية أبو الضُّرْم :للمشاييخ أيضاً أيضاً قرب مشرف .

هـ ـ قرية المُسَيْليم : التي مر معنا ذكرها على حافة الطريق المزفت من يساره على عدوة ، وادي دوقة الجنوبية ، وسكانها الأشراف : الشنابرة وذوو حراز . وبها مدرسة ابتدائية للبنين ، ومدرستان للبنات : ابتدائية ، ومتوسطة .

و ـ قرية قُدَيْح : تجاور المُسَيْليم من مطلع شمس ، وبها إمارة دوقة ابن خير ، والمراكز الحكومية .

ز ـ قرية الشعيرة أو الحرف ـ اسمان لمسمى واحد ـ : قرية لبني شهاب على الجانب الشامي من دوقة ، وتمتد من العُسيلة ـ قرب الطريق إلى حَذَبة بني شهاب شرقاً . وكل ما تقدم من قرى يتبع القنفذة إدارياً .

٢ ـ دوقة الأحلاف ، أي دوقة الداخل : وبها قرى كثيرة في كل وادٍ وكل

جزع ، وأهمها :

أ ـ قُلْوة : قاعدة دوقة زهران (الأحلاف) وهي بلدة عامرة بها مركز إمارة يتبع الباحة في السراة ، وبها سوق يوم الثلاثاء ، ومدارس ومحكمة وغيرها .

ب ـ الهجافة : منطقة من وادي دوقة بين الجبال ، وبه قرى ومدارس .

جـ ـ الرُّمَضَة : منطقة من الوادي بها قرى ومزارع . وكل هذه لزهران .

ولدوقة سد مخطط له في الحلق ، فإذا تم سيكون أثره طيباً .

ويقول صالح السلوك : يبلغ طول وادي دوقة (١٣٠) كيلاً[١] .

دوقة في كتب المتقدمين .

١ ـ ذكرها أبو دهبل في ميميته المتقدمة في عُلَيب ، فقال :

وَمَـرَّت على الشطان دوقـة بالضحى ... فَمَـا جَـرَّرت بـالمـاء عينـاً ولا فمـا

٢ ـ وقال المستسقي التهامي أبو الحياش[١] الحِجْري ، من الحجر بن الهِنْو ، وهذا بعض قوله[٢] :

وعـلى سُـرْدُدِ مـسفّ مـن الـجـو ... د بُسُـقيـاه أحـيـيـت الـكـدراء
ولِلِغـسـانِهـا فـارضٍ طـمـام ... فـلعـيـان ديـمـةٌ هـطلاء
سُقَى الـطَّوْد من حـراز فمـن هَـوْ ... زَن[٢] غيثـاً لِهيْـدبَيْـةِ الـطَّخـاءُ
فقُـرى مَـوْر فـالقـريضـة فـالشَّـرْ ... جَـةُ فـالـواديـان فـالـسلعـاءُ
وادلهمَّت على قُـرى حَـرَضٍ يـو ... مـيـن بـالـسَّـحّ مـزنـةٌ سـوداءُ
سُقِيتْ بُـرهـةً قُـرى خُلبٍ منـز ... لـهـا فجـازان تـلك فـالصبـيـاءُ
فقُـرى بَيْش ، فـالدُّوَيْمـاتُ فـالبر ... كُ فَـحَـلـيٌّ مـمـطورة غـيـنـاءُ
ومن الـطَّودِ فـالـزقَـاقـات خُضـرٌ ... رُوْيـت فـالتَّـنُـومـةُ الـزهـراءُ
فقـرى الحجر جَهْـوةُ الزرع والضـر ... ع فـأشْجـانهـا الحنـا فـالجبـاءُ

---

(١) بلاد غامد وزهران (دوقة) .

(٢) صفة جزيرة العرب ص ٣٨١

فجبـال السـراةِ فـالفُـرَع الـو سـطى حكينَ الجنان فـالحيفـاءُ
فـالشَّـدَوان من سقـامـة فـالمـر حـلة الـمـرجـحـنـة الـنـجـلاءُ
فـقـرى مَغْـسـلٍ فـأوديـة الـنـهـ بين فـالـوادي ذي النجـول العـذاء
فـالـذُّرَى من سـراة غـامـد فـالنِّمـ ـر فـأجـبـالُ دَوْسِـهـا طَـخـيـاءُ
فـالشبابـات فـالمعـادن فـالـطا ئف ، فـالـويـلُ(١) أرضهن سماءُ
فـقـنـونـا فـأرض دوقـةَ فـالـلِّيـ ـثُ فَعشـمُ السِّـريْـن فـالسـراءُ

وإنما أوردنا هذا المقطع بطوله لكثرة ما حواه من المواضع بين مكة واليمن ، وكلها لا زالت معروفة ومعظمها سيمر بك في هذا الكتاب .

٣ ـ ثم ذكر الهمداني أنها على محجة أهل اليمن(٢) ، وأن قوماً يقال لهم (العَبْديين) من جرهم يسكنونها ، ولم أجد لهم اليوم ذكراً ، ولربما بعض سكانها الذين قدمناهم يعود بنسبه إلى العَبْديين أولئك .

وعلق الأكوع قائلاً : بلدة قائمة يسكنها قوم من أزد السراة .

ولا أدري علام عوّل العلامة الأكوع في ذلك ؟ وقد قدمنا سكانها ، وليس فيهم من أزد السراة أحد ، أقصد بلدة دووقة .

٤ ـ وتصحفت دوقة في معجم البلدان ، فجاءت(رَوْقَة)(٣)، على أنه أثبتها في مادتها صحيحة ، فقال : على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا تهامة ، بينه وبين يلملم ثلاثة أيام .

وأورد ياقوت لزهير الغامدي :

أعـاذل ! من المصلتُون خـلالـهم كـأنّـا ، وإيَّـاهم ، بِـدَوْقَـةَ لاعب
أتينـاهُمُ من أرضنـا وسمـائنـا ، وأنَّى أَتَى للحِجـر أهل الأخـاشب ؟

يقصد : الحِجر بن الهِنْو بن الأزد .

---

(١) كذا ، بالمثناة ، ولم أتبينها .
(٢) صفة جزيرة العرب : ٣٤١ .
(٣) مادة : روقة .

٥ ـ ومر بدوقة جيش الحسين بن علي سنة ١٣٢٩ هـ عند حملته لفك حصار أبها ، وقال الشريف شرف البركاتي[١] : هي المرحلة السابعة من مكة .

وقال : وهو وادٍ خصب التربة ، يزرع فيه : الذُّرَة ، والدُّخْن ، والسِّمْسِم ، والقطن الهندي ، وجميع محصولاته تُرسل إلى مدينة دوقة ، ومنها ترسل إلى مرافىء الحرمين الشريفين بواسطة سفن شراعية .

وإلى يومنا هذا يستقبل ميناء دوقة السفن ، غير أن تزفيت الخط ومرونة الشاحنات البرية في النقل والتوزيع قضى على تجارة الموانىء الصغيرة .

وأصبح أهم عملها استقبال قوارب الصيادين وتصدير السمك .

سكان دوقة :

تنقسم ـ أيضاً ـ دوقة من حيث السكان إلى قسمين :

١ ـ دوقة ابن خير ، وسكانها خليط من قبائل متعددة لا تمت إلى بعضها إلّا بصلة الجوار أو التحالف ، ومن سكان هذا الجزء .

أ ـ الخيرة : وهم منسوبون إلى (ابن خير) وبه سُمِّيت دوقة الساحل (دوقة ابن خير) وهذه القبيلة رأس لا تتبع أحداً من القبائل ، وهي ـ لا شك ـ من بقايا كنانة[٢] .

وينضم إلى الخيرة قبيلتان صغيرتان ، ولعلها أيضاً من كنانة ، وهي : بلهيثم ، والمساعيد .

وشيخ الجميع : محمد بن إبراهيم بن شامان الخيري .

ب ـ المشاييخ : وتسكن قرى دوقة القديمة ، وقرية مشرف وأبو الضرم ، وقد تقدمت .

---

(١) الرحلة اليمانية . ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) انظر بحثاً عن كنانة قيّماً يتبع من هذا الكتاب .

ومن فروع المشاييخ :

(١) البرادية : وهي أكبر الفخوذ ، وشيخها عبد الواحد بن محمد بن عمودي .

(٢) آل براهيم .

(٣) الكجمان . وشيخهما حامد بن محمد بن عطية .

(٤) الحوسان .

(٥) آل ذيبان .

(٦) آل عبد الله .

(٧) آل خماش .

وشيخ هذه الفخوذ الأربعة علي بن حسن بن علوة .

٨ ـ القُصرة : وينضم إليهم فرع صغير يدعى الروايقة[1] ، والروايقة هؤلاء ، من بقايا كنانة ، منهم فرع في خليص منضم إلى زبيد ، وفرع قرب رابغ .

جـ ـ بنو شهاب: وهم فرع من الجحادلة من بني شعبة من كنانة .

وتسكن وسط الوادي ، وكانوا بادية رُحّلاً ، ثم أسسوا لهم قرية تسمى الشّعِيرة أو الحرف ـ اسمان لمسمى واحد ـ ولا زال بعضهم رُحّلاً .

ومن فروع بني شهاب :

(١) الشُّطَرة .

(٢) الحُنَشة .

(٣) آل عوادة .

(٤) الحجرة .

(٥) آل حمدة : من زهران منضمة إلى آل عوادة .

---

(١) انظر عنهم نسب حرب .

(٦) آل خليفة : من زهران منضمة إلى الشُّطرة .

٢ ـ سكان دوقة الأحلاف : ويطلق هذا الأسم على دوقة من منشغها في السراة إلى أن تؤخر أخر جبال تهامة ، وأهم سكانها ، الأحلاف من بنيوس من زهران بن كعب ، الأزدية النسب ، ولذا سميت دوقة الأحلاف ، وأهم فروع الأحْلاَف[1] : بالأسود ، وآل ظهير ، وآل فلاح ، وبنو زرعة ، وآل سلطانة ، وبنو زهير .

وإلى جوارهم في جبل نَخْرة وأعالي عُليب وبعض جنبات دوقة ، قبيلة بني سليم من زهران أيضاً[1] . وقبائل أخرى عديدة من زهران .

أهم الجبال في دوقة ، وقد مرّت معنا :

نَخْرة : بين دوقة وعليب ، وقد تقدم . جبل نيْس : من أشهر جبال دوقة . شدا الشامي : وسيأتي بعد هذا بحث عن شدوين. المَنْقَض : جبل يجاور شدا الشامي وتصب مياهه عند قُلوة . جبل رَبَا : تصب مياهه عند الرميضة . الشغار ، وجبال الحلق ، والرصاصة : كلها يصب ماؤ ها بقرب الرميضة . جبال الصحن ، وجبال الأمساك : تصب أيضاً قرب الرميضة ، ذلك أن الرميضة وسعة أرض وهي بمثابة اجتماع أودية دوقة .

---

(١) انظر معجم قبائل الحجاز .

شَدَوان

جبلان من أشهر جبال هذه الناحية ، وهما :

١ ـ شدا الشامي : جبل أبيض ضخم جميل ، ويقال له أيضاً شدا الأعلى أو الأكبر ، وهو أكبر من اليماني ، مياهه الشامية في دوقة ، والغربية والشمالية الغربية في وادي قَرْماء ، والجنوبية الغربية في وادي ناوان ، وهو أكبر جبال تهامة في هذه الناحية ، وسكانه زهران ، وفيه مياه وفيرة وزروع جيدة ، ويزرع فيه البن والموز وجميع الفواكه ، وللبن الشدوي شهرة في مكة ، وهو نوع جيد لا يدانيه نوع آخر ، ويقرب منه البيحاني ، ولكن الشدوي أحسن قهوة وأجمل منظراً . والبن الشدوي لا يباع إلاّ نادراً ـ أي في مكة ـ غير أن كبار رجال زهران يهدونه لأصدقائهم في مكة .

وقد كنت عند أحد المشايخ ذات مرة وعنده شيخ من بالأسود من زهران ، فدارت القهوة ، فإذا الشيخ يقول لي (أحزر ، هذا البن مِنْيَن) ؟! .

فتذوقت القهوة فإذا طعم عجيب ! فقلت : بيحاني . قال : لا ، البيحان أقل جودة من هذا .

فسكتُّ . فقال : هذا البن الشَّدَوي .

٢ ـ شدا اليماني ، أو الأسفل : هو يشبه الأول لوناً وجمالاً ، غير أنه أصغر منه قليلاً ، وأهبط منه إلى السهل من ناحية الجنوب .

ويقع جنوب الشامي ، وجبالهما متصلة ، ويقف بينهما وادي ناوان ، ومياه شدا اليماني في بلاد عمر الأشاعيب ، وغامد الزناد[1] ، ثم تجتمع كلها في وادي الأحسبة جنوب ناوان .

وإذا وقفت في بلدة (المخواة) رأيت شدا اليماني يشرف عليك من الشمال الغربي رأسه صفا أبيض أزلج .

ويجب التفريق بينهما وبين شدا اليمن ، وهو جبل شرق جازان . وسيأتي عند الحديث على وادي خلب .

وذكر شدوان في الأدب القديم ، ومن ذلك :

١ ـ بيت مرّ بك آنفاً عند الحديث عن دوقة :

فـالشَّـدَوان من سقـامـةَ فـالمـر   حـلة المـرجـحنـة النـجـلاء

فهو قال : (الشدوان) وهذه ضرورة شعرية ، والا فالألف واللام لا تدخل عليهما .

وجاء في معجم البلدان :[2] قال نصر ، الشَّدَوانِ جبلان باليمن ، وقيل بتهامة ، أحمران ، وقيل : بضم النون وأنه جبل واحد ؛ قال بعضهم : « مُبرّدة باتت على شدوان » .

وقال يعلىٰ الأحول الأزدي :

أَرِقْـتُ لـبـرْقٍ دونَـهُ شَـدَوانِ   يمـانٍ ، وأهـو البـرق كـل يمـانِ
إذ قلت شيمـاه ! يقـولان والهـوى   يصـادف منـا بعض مـا يـريـانِ
فبتُّ أرى البيـت العـتيـق أشيـمُـهُ   ومـطواي مـن شـوقٍ لـه أرقـانِ

---

(١) بلاد غامد وزهران ، شدوان .

(٢) مادة شدا .

ويقول صالِح السلوك الزهراني[1] :

وقد وقعت بشدا زهران (الشامي) في ١٥ شعبان سنة ١٢٨٨ هـ وقعة بين أبناء زهران والجيش التركي بقيادة مصطفى خيري ، عندما هرب إليها جمعان بن راشد بالرقوش ، وفي هذه الواقعة أحرق الجيش التركي بعض قرى شدا .

جبل دوقة

جبل على شكل جزيرة في البحر ، مقابل بلدة دوقة القديمة من الغرب ، بارز ظاهر للعيان ، ويذهب إليه بعض الناس للنزهة ، فيجدون فيه مياهاً وأماكن للظل ، وأشجاراً ونحوه ، إلّا أن مياهه تحدث من الأمطار .

الصِّلّ

جبلٌ بعضه في الماء ، وبعضه في اليابسة ، على الشط ، يحف به سيل دوقة من الجنوب ، فيه نبات ، وممالح .

بين دوقة وناوان

ودّعت الشيخ أحمد بن علي الشيخي ، وواصلت رحلتي على طريق الجنوب ، فسرت في خبت يسمى (الدوايا) بين وادي دوقة وقرماء .

وفي أول خروجي من المسيليم فرق إلى اليمين طريق مزفّت ، هو طريق مدينة دوقة ، وتبعد من هنا خمسة أكيال فقط .

وعلى (١١٣) كيلاً من الليث ، و(٢٠) كيلاً من دوقة وصلت إلى بلدة المُضَيْلِف قاعدة قبيلة زُبَيد في هذه الناحية ، وهي تبعد عن مكة (٢٩٨) كيلاً على طريق مزفّتة . وعلى طرف المضيلف من الشمال عبرت على جسر وادي قرماء (وادي زُبَيد) . وهذه أول ليلة لرحلتي ، وقريب من البلد تنحيت بسيارتي ونمت فيها إلى الصباح .

وفي الصباح توجهت إلى داخل البلد ، فوجدت مطعماً نظيفاً فتناولت فيه طعام الإفطار ، ثم توجهت إلى مقر إمارة المضيلف ، وعندها قيل لي إن عليَّ الانتظار طويلاً حتى يحضر المسؤولون ، وكنت في حاجة إلى الوقت فانصرفت . وهذه البلدة عامرة ، متسعة ، وهي أعمر ما صادفته حتى الآن بعد الليث ، وسنعود إلى وصفها فيما يلحق .

وكان في برنامج الرحلة زيارة الشيخ ابن مرزوق شيخ مشايخ زبيد ، فسألت عنه فقيل هو في قصره الجديد بالشُّعِيرَة ، وهي تقع على الضفة الجنوبية لوادي ناوان .

الشيخ ابن مرزوق

توجهت إلى الشعيرة ، بالوصف ، وعلى أربعة أكيال من البلد مررت فوق وادي ناوان ، وكانت مزارع الذرة تحف بجانبي الطريق مما يظهر الوادي وكأنه جنة خضراء ، ويخيل إليك أن المضيلف بداية تغير جغرافي بين الجنوب والشمال ، فالأرض الواقعة شماله أكثر صحراوية ، والواقعة جنوبه أكثر خصوبة ، أو لعل الأمطار قد سقطت هنا ولم تسقط هناك .

في نهاية وادي ناوان من الجنوب فرق إلى اليسار طريق ترابي ، كنت أنظر من بدايته إلى قصر الشيخ محمد بن مرزوق رأي العين .

وعندما وصلت إليه وجدت أن هذا القصر لا زال بنيانه لم يكتمل ، وكان الشيخ جالساً ، وحوله جمع من المراجعين ، وكان يكتب ويوقع بوضع الورق على فخذه ، وكتابته حسنة ، أما أبوه وهو الشيخ علي الذي ينوب عنه هذا الأبن فكان في قرماء ، وهو شيخ قد كبر وطلب التنازل لأبنه ورفعت أوراق طلبه إلى وزارة الداخلية ، وهو الشيخ علي بن عبد الله بن حسن بن علي بن مرزوق ، الذي به شهرة هذه المشيخة (ابن مرزوق) وكان ابن مرزوق يكف حرب اليمن هذه جمعاء إلى عهد عبد الله بن حسن والد الشيخ علي الحالي وجَدّ مضيّفنا محمد .

وعندما مرّ الشريف الحسين في حملته لفك حصار أبها كان رأس حرب هنا عبد الله بن حسن المذكور .

قال الشريف شرف البركاتي[1] : وبعد أن استرحنا في هذا الوادي (يقصد وادي دوقة) حضر بين يديّ دولة سيدنا أمير مكة ، الشيخ محمد بن مرزوق ، شيخ مشايخ قبائل زبيد التابعين لقائم مقام القنفذة التابعة للواء عسير ، وهذه القبائل فرع من قبائل حرب القاطنين بين مكة والمدينة[2] ، خاضعاً نادماً على موالاة الإدريسي حتى أنه قال للأمير : لولا إسراع دولتكم بالتوجه إلى ديارنا لفسدت أخلاقنا . . إلخ .

واستدرك الشيخ محمد بن مرزوق على الشريف أمرين :

١ ـ إن الشيخ الذي قابل الحسين هو عبد الله بن حسن وليس محمداً ، وإن محدثنا أول من سمي محمداً في أسرة ابن مرزوق .

٢ ـ إن الشيخ عبد الله لم يقابل الشريف خاضعاً ، إنما جرى الصلح بينهما بعد مفاوضة ، وبعد إصرار عبد الله الّا يمر الجيش في ديار زُبَيد ، ثم اشترط عليه الّا يفسد الجيش زرعاً ولا يذبح دابة ولا يتعرض لراعٍ .

ويبدو لي أن لقول الشيخ محمد نصيب من الحقيقة ، إذ نرى الشريف الحسين يأمر بالرحيل من دوقة فلا يتوقف في قرماء ولا ناوان ، فإذا جزع ناوان نزل بديار العجالين لا في ديار زبيد .

وكنت أرغب مواصلة الرحلة ، ولكن الشيخ محمداً أصر علي أن نتناول طعام الغداء عنده، وعنه أخذت معظم معلومات هذا الكتاب عن أودية قرماء وناوان . وبعد أن صلينا الظهر عدنا إلى المُضَيلف لتناول طعام الغداء في بيت ابن مرزوق ، حيث سكنه هناك ، وهذا القصر الجديد يريده للنزهة وبجانبه أرض جرداء واسعة يريدها مراحاً للأبل .

---

(١) الرحلة اليمانية : ٢٠ .

(٢) دأب بعض الكتاب على هذا القول ، والواقع أن ديار حرب تصل إلى العراق في الشمال الشرقي ، وإلى قرب القنفذة في الجنوب ، وانظر نسب حرب .

ووجدت عند الشيخ رجلاً يمني اللهجة واللباس والسحنة ، فإذا هو يقول لي إنه من الزُّمَيْخات من عتيبة ، كان أجداده سكنوا وادي ناوان ثم انتقل جدّه إلى اليمن ، وقد عاد الآن ، وله أملاك يطالب بها بجوار الأشراف العجالين ، وله دعوى تكاد تنتهي في صالحه .

سألت الزُّمَيخ : هل تعرف دياركم مع عتيبة ؟ فقال : لا .

كان وصولي إلى عمارة ابن مرزوق في الساعة الثامنة ، ثم توجهنا منها في الواحدة والنصف بعد الظهر إلى المضيلف ، فوجدنا الشيخ قد أقام وليمة كبيرة تدل على كرم فائق ، وأثناء الحديث عرفت أنه غير مسموح برفع الطبقات في المضيلف إلا أن يتعهد الباني بعدم فتح نوافذ على البيوت والأحواش المجاورة ، لذا لم أر سوى بيت واحد مكون من طبقتين .

رحلة إلى عَشَم

أبديت للأخ الشيخ محمد بن مرزوق رغبتي في زيارة آثار عَشَم . فوافق على ذلك ، فخرجنا من المضيلف باتجاه مطلع الشمس ، ثم مررنا بحي ونخل يسمى (بَحْرة) ثم مررنا بقرية الكنديس الأيسر من قرى وادي قرماء ، على (٨) أكيال ، وعلى (٩) أكيال وصلنا إلى قرية حدب زبيد ، وهي مقر الشيخ علي بن عبد الله بن حسن بن مرزوق والد مضيّفنا . ثم مررنا بقرية البقاقير من زبيد ، وعلى (١٢) كيلاً مررنا بقرية العواسية من زبيد ، وكلّ هذه القرى في وادي قَرْماء .

وعلى (٢٠) كيلاً من المضيلف أو نحوها وصلنا إلى آثار عشم ، وكان شدوان أمامنا أثناء سيرنا من المضيلف إلى هنا ، شدا الأعلى على يسار النظر ، وشدا الأسفل إلى يمين النظر .

موقع عشم

تقع آثار مدينة عَشَم في صدر وادي قرماء على ضفته اليسرى ، وإلى الغرب من التقاء شدوين ، في أول سفوح جبال تهامة بين شعبين يصبان في صدر وادي قرماء من اليسار ، وهي على رابية بين الشعبين ، وتشرف شمالاً على ساحة واسعة من وادي قرماء ، تكسوها غابات من أشجار السَّمْر ، يظهر أنها كانت خيوفاً ثم اندثرت ، وأن هذه المدينة قامت أساساً على الزراعة ، خاصة أنها مدينة داخلية ، وتقع عند التقاء منازل قبيلتين : كنانة إلى الساحل ، ويظهر أنهم

كانوا أهلها ، والأزد إلى الداخل ، ولعل لهذا الموقع نصيباً من خرابها .

وفي عشم آثار بيوت وحصون بنيت بالحجر الجاف ، وبها آثار منها نوع من الأواني الحجرية وكسر من الخزف والزجاج القديم ، وتحيط بها مقابر كثيرة ، بعضها قد محيت حتى ساوت الأرض وعلى بعضها شواهد منقوشة يعود تأريخ نقشها إلى القرن الرابع الهجري .

وتُحيطُ بها أجبل صغار على شكل ثلاثة أرباع الدائرة ، وبعض جدر المباني لا زال قائماً خالياً من النورة ، وبناؤ ها حسنٌ متماسك .

وبعض أبنيتها من الفخامة بحيث تحكم أنه كان قصراً ذا طبقتين ، ولا وجود لخشب السقوف ولا النوافذ ، ولا يحتمل استنزافه كلياً من الأهالي ، فلعلها كانت مبنية على طريقة العقود .

وكان أحد طرق حاج اليمن يمر بها حسب قول الهمداني (مع شكي في ذلك) .

ضبط اسم عشم وأقوال المتقدمين فيه

كانت مدينة كبيرة حتى نسب ما حولها إليها ، فقيل (مخلاف عشم) وهو الذي تحول بعد اندثارها إلى سلطنة حلي ، ثم تحول بعد إندثار حلي إلى إمارة القنفذة ، وهي المنطقة الواقعة بين دوقة شمالاً ووادي ذهبان جنوباً .

على أن المتقدمين لم يعتنِ بها منهم أحد ، بل أكثرهم لم يذكرها مجرد ذكر ، والسبب أن هذه المنطقة الواقعة جنوب مكة ظلت ولا زالت شبه مجهولة ، فحتى كتاب اليوم يعرفون (القنفذة) على أنها مدينة في هذه المنطقة ، وكفى ، أما كيف هي وما أهميتها وحجمها ؟ فهذا لا يعرفون عنه شيئاً ، ويعرفون كُلًّا من الليث والبرك ـ مثلاً على أنهما بلدتان ، وكفى .

ولكن حال عشم أسوأ من ذلك ، فابن سعد في الطبقات لم يذكرها ، مع أنه كان من المفروض أن يرسل إليها والٍ ، وأن يفد منها وفد .

ونحا نحوه صاحب السيرة فلم يذكرها .

والأزرقي صاحب أخبار مكة ذكر سوق حُبَاشة القريب منها ، ولكن لم يذكر مدينة عشم .[1] .

ثم جاء الهمداني بعد الجميع فذكرها ذكراً لا غَنَاء فيه ، فقال :[2] . . ودَغْنج وعشم معدن وقرية وحَلْي العليا والسِّرين ساحل كنانة . . الخ ، ويقول : والمحجة القديمة ترتفع إلى حلي العليا وتسمى حلية ، وإليها ينسب أُسُود حلية ، ثم إلى عشم ثم إلى الليث . . الخ .

فتراه هنا لم يأتِ بشيء .

ثم ذكرها البكري مجرد ذكر ، ففتح عينها وسكّن شينها[3] .

ويقول ياقوت : عَشَم : بالتحريك ، كذا وجدته مضبوطاً ، وهو بهذا اللفظ الشيخ ، والعُشُم جمع واحدة العَشِم ، وهو شجر : هو موضع بين مكة والمدينة ! وقال في الأمزجة : محمد بن سعيد العَشْمي ، وعشمُ : قرية كانت بشامي تهامة مما يلي الجبل بناحية الحَسَبَة (الأحْسِبَة) وأهلها فيما أظن الأَوْد لأنها في أسافل جبالهم قريبة من ديار كنانة ، وقال : العَشْمي من شعراء اليمن ، قديم العصر في أيام الصليحي .

من هنا نرى أن أول من اعتنى بعشم عناية فيها خلط هو ياقوت ، ومع هذا فقد حدد عشم تحديداً جيداً بالنسبة إلى من لم يرها .

ولذا فنناقش روايته عن عشم .

١ ـ ضبطها بالتحريك أقرب إلى الصواب وأسهل في النطق .

٢ ـ قوله : بين مكة والمدينة لم أجد مكاناً بهذا الاسم ولا ذكره غيره فيما أطلعت عليه من مراجع .

٣ ـ قوله قرية كانت بشامي تهامة ، إلى آخر التحديد . جيد .

---

(١) لم تذكر في فهارس أخبار مكة .

(٢) صفة جزيرة العرب : ٢٥٩ ، ٣٤١ .

(٣) مادة عشم .

٤ ـ نسبة الشاعر العشمي إليها لا دليل عليها ، لأن نسبة العشمي لا زالت مسموعة في اليمن ، ومنها أحد رؤساء جمهوريات اليمن (عبد الله العشمي) فلعلها قبيلة .

٥ ـ قوله: وأهلها فيما أظن الأود، بعيد الاحتمال، فأقرب أودٍ لها هم أودُ سعد العشيرة المذحجية ، وهذه كانت ديارها بين نجران وتثليث . فعشم لا شك واقعة في ديار كنانة ، فهي تتبع الساحل ، وتقع اليوم في ديار زُبيد ، ولا تبعد عن ديار زهران حيث ترى بالعين ، وزبيد ورثت قسماً من ديار كنانة عندما تجزأت وضعفت ، ولعل ـ كما قدمنا ـ سبب تدميرها وجودها على الحدود ، وعندما بدأت القبيلة الحامية (كنانة) تتفكك هوجمت فدُمِّرَت ، فنشأت بلدة المضيلف على أثر ذلك .

هل بقيت عسم إلى القرن العاشر

ويأتي محمد بن عبد العزيز المكي ، الملقب ابن فهد الهاشمي ، الذي عاش بين (٨٩١ ـ ٩٥٤) ينقل عن ابن خُرْدَاذْبُه : إن من مخاليف مكة بتهامة : ملكان وعسم[١] وس[٢] وعك .

ثم يعقب ابن فهد قائلاً : وهذه المواضع كثير منها لا يعرف اليوم .

وابن خُرْدَاذْبُه عاش (نحو ٢٠٥ ـ ٢٨٠ هـ) وهو عبيد الله بن أحمد بن خُرْدَاذْبُه[٣] . وهذا يعني أن عشم قد اندثرت في عهد ابن فهد .

بل ويؤخذ من قول ياقوت : كانت بشامي تهامة ؛ إنها كانت قد اندثرت قبل القرن السادس ، وإن الهمداني ـ وهو لم يرها ـ أدركها في نهاية عهدها .

ولأخينا الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه بحث ضاف عن عشم ، وعدني بأن يرسله إلي لأنقل منه ما يلائم هذه الرحلة ، ولكن لم يصل .

---

(١) كذا في مخطوطة حسن القرى في أودية أم القرى ، لوحة (٦) وواضح أنه عشم .
(٢) كذا في نفس المخطوطة وواضح أنه بيش .
(٣) الأعلام : ٤/١٩٠ .

وادي قَرمَاء

وادٍ صغير بالنسبة إلى ما يجاوره من أودية ، فهو قصير المدى ، تنظر إلى مسايله من الساحل ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من شدوين شرق المضيلف ، وشدا الشامي أقرب إليه من غيره من الجبال .

ويسمى أعلاه وادي الثِّعْبان ، وأسفله قرماء ، ثم يمر شمال المضيلف عن قرب .

وله مرفأ يسمى العَقْم به صيادو أسماك ، وترسو فيه سنابيكهم .

سكان وادي قرماء

١ ـ في صدوره بين الجبال وفي شدا تسكن بطون من زهران ، منهم :

أ ـ أل ظُهيرة .
ب ـ بنو زُرْعة .
جـ ـ أل فلاح .
وبطون أخرى من عُمَر الأشاعيب .

٢ ـ بين الجبال والبحر تسكنه قبائل زُبيد من حرب الخولانية ، وسيأتي ذكر فروع زبيد ، ويساكن زبيد وينضم إليهم بطون تسكن قرماء منها :

أ ـ الصَّنادِلة من سُبَيع سكان رنية ، في قرماء .

ب ـ الرُّوَقَة من عتيبة ، في قرماء أيضاً .

جـ ـ الرُّفَدَة ، يظن أنهم من رفيدة عسير .

د ـ القُشَعة .

هـ ـ الهتمة .

و ـ الخوارجة .

ز ـ ذوو زيلع (الزيالعة) وهم يتزبدون ، ولكن المعروف أن الزيالعة هاشميون ، إلاّ أن يكونَ اسم على اسم ، سنذكر ذلك في سكان ما حول القنفذة .

ح ـ بيوت من الحضارم في المضيلف تحت مشيخة زبيد كحلفاء أونزلاء .

أهم القرى في المضيلف

١ ـ المدينة المندثرة (عشم) وهي آثار تقدم بحثها .

٢ ـ المضيلف : مدينة متقدمة ، ولها بحث مستقل سيأتي .

٣ ـ حدب زبيد : وقد تقدمت في مسيرنا إلى عشم ، بها مدرسة ابتدائية .

٤ ـ آل ظهيرة : قرية لزهران ، بها مدرسة ابتدائية .

٥ ـ العقدة : تقع شرق المضيلف ، بها مدرسة ابتدائية .

ولم أر من المتقدمين من ذكر قرماء هذا ، ولكن المنطقة كما قدمنا كانت شبه مجهولة ، فلا عجب إن لم يذكر هو ولا غيره .

أما الشريف شرف البركاتي فقد ذكره وامتدح تربته وعدد خيراته ، ولكني أراه دون ذلك .

المُضَيْلف

في مساء اليوم الأول للرحلة ١٤٠٢/٢/١٤ هـ ، وصلت إلى المضيلف ليـلاً ، وهي بلدة واسعة منتشرة منازلها في خبت واسع بين وادي قرماء ووادي ناوان ، وتقع جنوب دوقة على (١٥) كيلاً ، وتبعد عن القنفذة شمالاً (٤٥) كيلاً وعن مكة (٢٩٨) كيلاً ، وقد تقدم .

وقد أعطاها موقعها في هذا الخبت الواسع البعيد عن البحر (قرابة ١٧ كيلاً) وبعدها عن مجري وادي قـرماء الذي يمر شمالها بقرابة سبعة أكيال ، وكذلك نـاوان جنوبها بأربعة أكيال ، أعطاها مرونة للانتشار فتوسعت ، وكانت بيوتها مبنية من العشش معظمها ، ومنذ سنوات استفادت من بنك الإعمار السعودي فبنيت بالاسمنت المسلح وغير المسلح ، وبناؤ ها من طبقة واحدة ، عدا بيت واحد رأيته مكوّن من طبقتين ، وهي اليوم مدينة تأتي بعد القنفذة في هذه الجهة ، وبها كل ما يحتاج الانسان من مؤ ن ومحطات وقود ومطاعم ومقاهي وورش إصلاح ، وغيرها .

وبها من مؤسسات الدولة كل ما في المدن : إمارة ومحكمة وشرطة ، وغيرها من المرافق . وإمارتها تتبع القنفذة ، وفيها مشيخة بني زبيد من حرب ، وكل من فيها منضم إلى زُبيد عدا موظفي الدولة .

وبها مدارس للبنين : ثانوية ، ومتوسطة، وعدد من الابتدائية ، ومدارس ابتدائية للبنات .

وادي ناوان

وادٍ قصير المدى كسابقة (قرماء) ولكنه ذو فرشة واسعة في الخبت ، وزراعته حسنة ، يسيل من جبال : زافر ، والشظي المتصلة بشدا اليماني ، ثم ينحدر غرباً ، ماراً جنوب المضيلف على (٤) أكيال ، وشمال وادي الأحسبة بلا بعد يذكر ، فيصب في البحر الأحمر جنوب العقم .

سكان ناوان

١ ـ الرواشد من زبيد من حرب ، في وسط الوادي شرقي الطريق المزفت . وسيأتي ذكرهم في بحث حرب .

٢ ـ الأشراف العجالين (ذوو عجلان) : قبيلة من الأشراف تسكن غرب الطريق المزفت في ناوان والأحسبة ويقولون إنهم ينتسبون إلى الأشراف ذوي عبد الكريم من ذوي بركات من ذرية أبي نميّ الثاني ، وهناك من ينسبهم إلى الحسن ابن عجلان أو إلى أبيه عجلان بن رُمَيثة بن محمد أبي نمي الأول ، وقد تقدم أبو نمي .

وسواء كانوا من هؤلاء أو هؤلاء فهم أشراف ، ومن مِيَز الأشراف ألّا يزوجوا غيرهم ، وهؤلاء العجالين لا يزوجون إلا الأشراف .

وتتفرع قبيلة العجالين إلى : آل عبد الكريم ، وآل حسن ، وآل بن سعيد ، والحرادين ، وذوي علي .

وشيخهم اليوم : الشريف إبراهيم بن يحيى بن مبارك بن عبد الكريم العجلاني ، وينازلهم أسفل ناوان : فخذ من عتيبة ، منهم نفر من الزُّمَيخات وينزل معهم أبيات من البقوم ، منهم : آل أبو قطلة ، دخلوا في العتبان .

أهم القرى في ناوان :

١ ـ القاع : للعجالين ، بها مدرسة .

٢ ـ مراح الشيخ إبراهيم ، وهي مقر شيخ العجالين ، بها مدرسة .

٣ ـ ناوان : على طريق العرضية الذي يفرق عن طريق اليمن من المضيلف ، وتقع شرق طريق الساحل بعيداً ، فيها مدرسة .

٤ ـ الشُّغْر : يسار طريق الساحل في بلاد الرواشدة ، فيها مدرسة .

قبائل حرب في منطقة القنفذة

تسكن هذه الديار جالية كبيرة من قبيلة حرب الخولانية[1] تنتشر في أودية : قرماء وناوان ولومة ، والأحسبة ، وصدور قنونا ويبة ، وباختصار من دوقة الى جبل ثربان ، ولها فروع عديدة وقبائل كثيرة ، وكانت إلى أول القرن ١٤ هـ تجمعها مشيخة واحدة هي مشيخة بيت ابن مرزوق ، ثم تفرقت إلى مشايخ عديدين ، وفي هذه الديار كثيراً ما ينسبون القبيلة إلى شيخها ، فيقولون لك : جماعة ابن مرزوق، أو جماعة ابن مدرمح، وخاصة في عسير تهامة، والقبائل التي انقطعت عن جذورها فلم تعد تعرف أنسابها .

ومن فروع حرب هنا :

أولاً ـ حرب : هذه القبيلة تشتهر بحرب الأم ، وكثيراً ما تقرن مع بني عيسى الحربيين أيضاً فيقال : (حرب وعيسى) وقد صحفهم بعض الباحثين إلى حرب وَعَبْس ، وليست ديار أيّ من العبوس قريبة من هذه المنطقة .

ديارها : تمتد ديارها في المنطقة الجبلية بين صدر قنونى وصدر يبة ، وتميل إلى كل منهما ، وهم يقولون : وادي يبة (في هذه الناحية) يمينه حربي ويساره عسيري ، وسيله يعتبر حدهم الجنوبي ، وحدهم الشمالي سيل قنونا ،

---

(١) انظر كتابي (نسب حرب) .

وشرقاً إلى جبل ثربان (لبني شهر) ، وشرقهم في قنونا بلقرن ، وغرباً إلى الساحل .

جيرانهم : في الشمال الشرقي بلقرن ، وفي الشمال والشمال الغربي بنو عيسى ، وشرقاً بنو شهر وبلقرن ، وغرباً بنو زيد في الساحل ، وجنوباً ربيعة من عسير .

وكان شيخهم الذي يكفهم : ابن مدرمح ، ولم يبق منهم أحد اليوم في الشيخة .

وحل محله الشيخ حسن (ذكرته في الرحلة الثانية في آخر هذا الكتاب) ، وشيخ آخر يقال له : ابن الصانع ، وكل منهم على ناحية من حرب .

وإذا سألتهم : من أي حرب أنتم ؟ قالوا : من حرب المدينة .

وتتفرع قبيلة حرب هذه ـ اليوم ـ إلى : [1] .

١ ـ آل فُريّة : وشيخهم حسن بن علي بن مشاري المشار إليه آنفاً ، وتنقسم إلى :

أ ـ آل أحمد ، ومنهم : آل قريشة ، وآل مطر ، والمخابطة .

ب ـ الدغامين ، ومنهم : اللَّحْمات ، وآل داحم ، والحنابيش ، وآل داهش ، وآل بسَّان .

جـ ـ الرواجحة ، ومنهم : السُّلَمة ، والقوازين ، والجبرة ، والركابين .

د ـ آل سعيدن (سعيد) ، ومنهم : آل ماشي ، والسيايير ، والمجامرة .

٢ ـ الخيرة : واحدهم خيري ، وشيخهم : راجح بن محمد (ابن الصانع) . ومنهم :

أ ـ آل قراد ، ومن فروع آل قراد : آل محمد ، وأولاد أُمْ رجال ، وآل عامر ، وآل راشد ، وآل ياسين ، والملاعصة .

---

(١) املاء : سالم بن محمد الدغماني الحربي ، في خميس حرب .

ب ـ آل جابر ، ومنهم : المغاربة ، وأَمْ عُرّج ، وآل مُطَير ، وآل مقرطع ، والمصابعة .

جـ ـ اللَّحْمَات .

وقاعدتهم (خميس حرب) ذكر في آخر هذا الكتاب ، وهم بادية في الغالب .

ثانياً ـ بنو عيسى : قبيلة معدودة في حرب ، وهم ينتسبون إلى بني سالم من حرب ، وبعض حرب يسكت عن هذا ، ولا أدري لم تبادر إلى ذهني وأنا أزور ديارهم أنهم بقايا بني أسد الذين عناهم كُثَيِّر عندما رثا صديقه خِنْدقاً ؟ وإنها كعادة القبائل انضمت الى كنانة أيام عنفوان كنانة ، ثم لما ضعفت كنانة انضمت إلى حرب هذه .

فديارها هي التي وصفها كثّير في قصيدته ، وليس من عادة القبائل أن تهجر ديارها إلاَّ في ظروف قاهرة .

تسكن هذه القبيلة جزءاً من وادي قنونى قبيل مصبه في الخبت ، وتمتد ديارها منه شمالاً على وادي لومة ، إلى الساحل .

وتجاورها قبيلة حرب كما قدمنا ، وغرباً بنو زيد وزبيد ، وشمالاً زبيد أيضاً .

وقاعدتهم (سبت الجارة) من قنونا ، ولهم قرية تدعى بريدة في لومة ، وهم بادية أهل شاء .

وتنقسم بنو عيسى إلى أرباع ، وهم :

١ ـ رابعة اليمن : ومنهم آل حمدة ، وآل حسن ، وآل مبارك ، وهِجْنَة ، ومقاتل .

٢ ـ آل يسعد ، ومنهم : آل عوجة ، وآل حسن بن عيسى ، والجُمَعة ، واللخابسة ، وآل خَوْد ، والعجارفة .

٣ ـ رابعة الشام (شمال قنونا) ، ومنهم : آل شوية ، وآل محفوظ ، وآل سالم ، وآل خُلَيفة .

٤ ـ الخُرَم : وهم سكان وادي لومة ، ولهم سوق يسمى (ثلوث بني عيسى) في لُومة . والنسبة إلى بني عيسَى : عِيسِي ، هكذا ينتسبون .

ثالثاً ـ السِّفْران : فرع من ابن السفر[1] ، وهم بنو السفر بن الخيار ، من حرب الخولانية ، يسكنون وادي الأحسبة ، ولهم فيه قرية (عُقْر) ويشركهم فيها الأشراف العبادلة ، وعددهم ـ السفران ـ قريب من مائتي رجل ، ويتبعون مشيخة العبادلة .

رابعاً ـ قبيلة زبيد : وهي أكثر قبائل حرب في هذه الناحية عدداً ، وأكثرهم فروعاً ، وكانت فيها مشيخة كافة حرب إلى أول هذا القرن ، ومن فروعها :

١ ـ العُصْلان : من عصلان زبيد القاطنين بلدة مستورة ، وفيهم شيخة زبيد هؤلاء واسم البيت ابن مرزوق ، وقد تقدم معنا ، ومن فروعهم : آل أحمد، وآل حُمَّد، والعواصبة، وآل بركات، وكلمتي : حُمَّد، وآل، أخذوها من سكناهم في اليمن ، ولا تعرف عند حرب . وهجرتهم الأساسية قرماء، ولم أسمع بقرماء هنا قرية ، إنما هو وادٍ ، أي أن منازلهم وادي قرماء .

٢ ـ الرَّوَاشد : واحدهم راشدي : يسكنون ناوان قرب المضيلف ، يسار الطريق الساحلي .

٣ ـ الجُدْعان : وهم فرع من جدعان خبت ذهبان شمال جدة ، ويسكنون وادي لُومة .

٤ ـ المزاريع : وهؤلاء من مزاريع خُلَيْص ، ومزاريع خليص من مُلَيم ، ويقال : إن أصلهم من خزاعة ، ويسكنون وادي لومة بجوار الجدعان .

---

(١) انظر عنهم نسب حرب .

٥ ـ اللُّبَدَة : واحدهم (لِبْدِي) فرع صغير يسكن الشاقة اليمانية (عليب) يجاور الأشراف[١] .

٦ ـ الكوامل : واحدهم كاملي ، ولعل هؤلاء من كوامل البلاديّة ، لأنه لا يعرف اسم الكوامل في زبيد ، وهؤلاء ، يقال لهم (جِرّكامل) أي ذِرّ أو نسل كامل ، وهذه لفظة لا تعرف عند حرب ، فلعلهم أيضاً من بقايا كنانة انضموا إلى زبيد عند ضعف كنانة . ومن فروعهم .

(١) النشرة .

(٢) المظاهرة .

(٣) الكُلَبة .

(٤) السواعد .

(٥) الشُّعَل ، واحدهم شُعْلي .

(٦) الجدعان ، ولعلهم ممن تقدم .

(٧) المزاريع : ولعلهم أيضاً ممن تقدم ، قسم يسكن وادي لومة وقسم يسكن الأحسبة .

٧ ـ المراعية : يسكنون خبت ريعان ، بين لومة وقنونا ، ومن فروعهم :

(١) السُّحمة ، سكان ريعان ، ولعلهم من سحمة عوف ، ومن فروع السحمة : ذوو راشد ، والمانع ، ذوو محمد .

(٢) ذوو علي : ويسكنون ريعان ، والحليفة من لومة .

وينقسم هذا الفرع إلى : البوازلة ، والتيمان ، وصُبْح[١] (دخلوا في المراعية) وآل حسن ، والخمجان .

وشيخهم : أحمد بن إبراهيم بن لاحق . وقال شيخ منهم وجدته في رحلتي الثانية عند أمير نَمِرة : المراعية ، منهم :

---

(١) انظر عنهم نسب حرب .

أ ـ السحبة : بالباء بدل الميم ، ومن فروعهم : الخمجان ، والزعاترة ، والحيوك ، والفاغية ، وآل أحمد .

ب ـ البوازلة ، ومنهم : العوادي ، والمفالحة ، وصُبْح ، والعمارية .

قلت : قوله: السحبة بدل السحمة ، وَهَّمه كل من ذكرته له ، فالصواب السحمة وشيخ المراعية (ابن لاحق) وهو اليوم أحمد بن إبراهيم (بن لاحق) وابن لاحق اسم البيت .

(٣) المشاييخ : ويقال : مشاييخ المراعية ، والمشاييخ عموماً يدعون النسب في الأنصار ، وهؤلاء دخلوا في المراعية حلفاً ، ويسكنون قرية الحليفة من لومة .

٨ ـ الزواهر : يسكنون خبت ريعان ، بين لومة وقنونا .

٩ ـ الأحامِدَة : واحدهم أحمدي : وينزلون قرماء وناوان، وهم من أحامدة جبل الفِقْرة .

١٠ ـ التومان : ينازلون ويوالون الأحامدة .

١١ ـ الملاوحة: من الغوانم أهل رابغ ، دخلوا ضمن هذه الجالية الكبيرة .

١٢ ـ السُّرحة : وأصلهم من سرحة بني سالم بين وادي الصفراء وينبع ، والنسبة إليهم سُريحي ، وسكناهم أسفل وادي الأحسبة .

وادي الأحسِبَة

على لفظ (أَفْعِلَة) وادٍ فحل كثير القرى والمزارع والسكان ، ومعظم زراعته على السيول كمعظم أودية تهامة ، غير أن آبار الأعماق أصبحت تخرج ماء غزيراً في هذه الأودية .

يأخذ وادي الأحسبة أعلى مساقط مياهه من سراة غامد غرب مدينة الباحة ، وأكبر جبل هناك جبل (خُزْنَة) ، ويأخذ أيضاً مياه جبل شدا اليماني .

ثم يتجه غرباً ماراً بين وادي ناوان شمالاً ووادي لومة جنوباً ، ثم يصب في البحر شمال القنفذة .

أهم روافده :

لوادي الأحسبة رافدان كبيران هما :

١ ـ وادي بَطَاط ـ بالتخفيف ـ وادٍ لغامد ، وهو أول حد غامد من الشمال الغربي ، فيه زراعة وقرى لغامد .

٢ ـ وادي ذي عَيْن (راش) واد كبير لبني عمر من زهران ، وهو آخر ديارهم مما يلي الجنوب ، ولذا فوادي الأحسبة في اعلاه هو الحد بين غامد وزهران[١] . وعلى طرف وادي راش هذا تقع بلدة المخواة الشهيرة .

---

(١) عن أنساب غامد وزهران والأزد عموماً ، انظر كتابي بين مكة وحضرموت .

سكان وادي الأحسبة :

١ ـ أعلاه في الجبال ـ كما قدمنا ـ لغامد وزهران ، ولهم فيه قرى عديدة وزراعات كثيرة .

٢ ـ أسفله إذا تسهل أي ترك السراة

علويه لزهران : آل دمينة . وبعد ذلك : يمين الطريق[1] ويساره[2] للأشراف العبادلة ، وبعد العبادلة مما يلي البحر للأشراف العجالين ، وفروع أخرى كالآتي :

أ ـ اليعاقيب : تتبع مشيخة العبادلة ، وليسوا أشراف ، ولعلهم من بقايا كنانة .

ب ـ خصلة من المشاييخ ، شرق الطريق الساحلي .

جـ ـ لِهْب : فخذ ينزل مع العبادلة في هذا الوادي .

د ـ الأشراف الصمدان : شرقي المزفت .

هـ ـ السِّفران : كذلك شرقي المزفت .

و ـ السرحة من حرب ، وقد مرّ ذكرهم .

ز ـ الجعافرة : غرب الطريق المزفت .

حـ : الأشراف المهادية أو آل مهدي : غربي المزفت .

طـ ـ الشُّمَلَة : واحدهم شميلي : غرب المزفت أيضاً .

أهم القرى في وادي الأحسبة :

١ ـ المخواة : مدينة صغيرة على السفوح الغربية للسراة ، أهلها غامد ، وستأتي في آخر الكتاب أثناء الحديث عن العرضية بين الشقيق والمضيلف .

٢ ـ قرية البِنَان : قاعدة الأشراف العبادلة ، فيها مدرسة ابتدائية .

---

(١) الطريق المزفت بين المخواة والمضيلف يمر في وادي الأحسبة .

(٢) إملاء الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه .

٣ ـ النِّيْلة : للأشراف العبادلة ، فيها مدرسة ابتدائية .

٤ ـ أم القَصَب : للأشراف العبادلة على الطريق المزفت ، فيها مدرسة ابتدائية .

٥ ـ مُدَيدة : قرب البحر للأشراف العجالين .

٦ ـ أم الخشب : في أعلى الوادي في الساحل ، للأشراف العبادلة .

٧ ـ قرية الصُّمْدان : للأشراف الصُّمْدَان .

٨ ـ عُقْر : قرية للعبادلة والسفران من حرب ، فيها مدرسة ابتدائية .

٩ ـ العُذيب : للعبادلة .

١٠ ـ قرية اليعاقيب : لليعاقيب .

فروع الأشراف العبادلة بوادي الأحسبة

هذا فرع نازح من مكة في مدة لا يستطيعون تحديدها ، وقال لي أحد نسابي الأشراف . إنه لا شك في أن هؤلاء هم من الأشراف العبادلة ، ولكن المشكل هو أنهم لا يعرفون إلى أي أبناء عبد الله بن الحسن بن أبي نميّ الثاني يرجعون ، فعبد الله هذا كان له تسعة من الولد ، وكل الأشراف العبادلة يعود نسبهم إلى هؤلاء التسعة[1] .

وينقسم عبادلة الأحسبة اليوم إلى :

١ ـ ذوي مساعدة .

(٢) ذوي يحيى .

(٣) آل عبد الله .

(٤) الهواشمة .

(٥ ـ آل بن يحيى ، وهم غير ذوي يحيى .

وشيخ الجميع : محمد بن حسن بن يحيى العبدلي ، مررت بقريته في الليلة الثانية للرحلة .

---

(١) انظر ذلك في معجم قبائل الحجاز .

ذكر الأحسبة في كتب المتقدمين .

على كبر هذا الوادي وتعدد روافده لم يوفه أحد ممن اطلعت على كتبهم حق الوصف ، بل الكثيرون لم يذكروه أصلاً ، وذكره بعضهم محرفاً ومصحفاً .

فقد ذكره ياقوت في معجمه باسم (الأحسية) كجمع حسي ، بالمثناة التحتية بدل الموحدة ، فقال : الأحسية : بالفتح ، ثم السكون ، وكسر السين ، المهملة ، وياء خفيفة ، وهاء ، بوزن أفْعِلة ، وهو من صيغ جمع القِلَّة ، كأنَّه جمع حِساءٍ ، نحو حمارٌ وأحْمِرَة . الخ . . وهو موضع باليمن ، له ذكر في حديث الرِّدَّة ، أن الأسود العَنْسي طرد عُمَّال النبي ، ﷺ ، وكان فروة بن مسبك على مُرَاد ، فنزل بالأحسية ، فانضم إليه من أقام على إسلامه .

وهذا كما ترى تصحيف واضح ، ذلك أن تلك الأخبار سجلت قبل وضع النقط على الحروف ، وعندما نقطت الحروف ما كان هناك من يعرف الأحسبة .

وفي مكان آخر ذكره ياقوت باسم (الحَسَبَة) بالتحريك والموحدة ، فقال :

الحَسَبَة : وادٍ بينه وبين السِّرَّيْن سُرى ليلة من جهة اليمن .

وفي هذه الرواية .

١ ـ المسافة ليست سرى ليلة ، بل تزيد على (٨٠) كيلاً ، وهذه المسافة على نظام القوافل القديم تعد مرحلتين ، ولكن لا يستبعد أن يؤتى بها في ليلة على الركاب الأحرار . ولم يذكره صاحب (المفيد في تأريخ صنعاء وزبيد) ، ولم يذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب ، ولم يذكره البكري في معجم ما استعجم .

وعندما مر به الشريف شرف البركاتي سنة ١٣٢٩ هـ ذكره ذكراً خفيفاً. ولكني رأيت لـه ذكراً في كتـاب أخينا ، علي بن صـالح السلوك الـزهراني ، وقد جاء بما أوجب ذكره هنا لفائدته .

قال الزهراني[1] : ينحدر من سراة غامد وسراة بلقرن ، مغرباً بميل نحو الجنوب ، حتى يدفع في البحر شمال ميناء القنفذة ، وتتسع جنبات الوادي قبل مصبه في البحر فتتكون مزارع واسعة يطلق عليها الأحسبة ، واسم الأحسبة يطلق على الوادي المبتدىء من أسفل قرية المشايعة جنوب المخواة .

ويرفده من الأودية :

أولاً ـ من الجنوب :

١ ـ وادي طُفَالة ، من غامد الزناد .

٢ ـ وادي يَبْس : بسكون الباء الموحدة .

٣ ـ وادي لَبْوة : بفتح اللام وسكون الموحدة .

٤ ـ سيول فُرْعة نصبة .

٥ ـ وادي بَطَاط : وقد قدمناه .

٦ ـ وادي عِرْشا : بكسر العين .

٧ ـ وادي المُلُح : (بضم الميم واللام) .

٨ ـ وادي ضيان : بالفتح ، وبعد الضاد مثناة تحتية .

ثانياً ـ من الشرق :

١ ـ وادي مَلِيل : ككبير .

٢ ـ وادي الجوف : بالجيم .

٣ ـ وادي سُقَامَة .

٤ ـ وادي مَمْنى : بفتح الميم الأولى وسكون الثانية .

٥ ـ وادي راش ، وأعلاه وادي المعرق الذي يبدأ من شفا رغدان والباحة والظفير وشفيان بلحشر (من جبال بني ظبيان) .

وأورد شعراً ينبىء بقدم اسم وادي الأحسبة ، قال أبو ظبيان الأعرج الغامدي :

---

(١) بلاد غامد وزهران (الأحسبة) .

أنـا أبـو ظبيـان غيـر المكـذبـه　　أبي أبـو العـفَّى وخـالـي اللهـبـهْ
أكـرم مـن يُـعـلم بـيـن ثـعـلبـه　　ذبيـانهـا وبكـرهـا في الـنسـبـه
نحن صِحاب الجيش يوم الأحْسبه

وقال آخر[1]

مـا ترى لَمْـحَ بارقٍ سُقيت ماءه يَبَهْ　　فَشَرَوْرى فَقَرَوْرى فَحَبَوْنا فـالأَحْسِبَهْ

وقال آخر[1] :

أمـسى فـؤادي مِنْـهُمُ بِـمَـحْـسَـبَـهْ　　بـيـنَ قَـنَـونـا فَـعُـلَيْـبٍ فَـيَـبَـهْ[2]

(١) إملاء الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه .
(٢) عُلَيْب : عُلَيِّب ، وهذه الصيغة ضرورة شعرية .

وادي لُوَمَة

وادٍ متوسط يأتي من فرعة غامد ، ثم يمر بين وادي الأحسبة شمالاً ، ووادي قنونا جنوباً ، فيسيل في الساحل حتى يصب في البحر .

ورأيت من ضبطه (ألومة) وسألت الشيخ محمد شيخ زبيد ، فقال : كله واحد .

وسمعته من أهل الديار جميعاً هكذا (لُوْمَة) .

وله مرسىً على البحر ، وبه نخل بجوار ذلك المرسى .

أما بين الجبال والبحر فزراعته على السيول وبه قرى عديدة ، كما سيأتي .

أهم روافد لومة :

١ ـ وادي سَيَّالة : يأتي من الشمال ، وسكانه : السادة الفُدُوح ، يلون الكوامل من زُبيد ، وصيحتهم معهم .

٢ ـ وادي بُرَيدة : يصب في لومة من الجنوب ، وسكانه : بنو عيسى من حرب .

٣ ـ وادي يَبْس : أعلاه لِغَامد الزناد ، وأسفله لحرب ، وبه قرية للمظاهرة من الكوامل من زبيد من حرب ، وهما يَبْسان : أحدهما يصب في الأحسبة ، والآخر في لومة .

٤ ـ يُبَيْس ، بالتصغير : يصب في وادي لومة أعلى من وادي يَبْس المذكور آنفاً .

سكان وادي لومة :

مسايله الناشبة في الجبال لغامد ، وإذا تسهّل لحرب : بني عيسى ، والكوامل إلى البحر .

وقد تقدم تفصيل بطون حرب جميعاً .

أهم القرى في وادي لومة :

١ ـ الحَدَبَة : سكانها النُّشَرَة من الكوامل من زبيد .

٢ ـ قرية الملاقيح : للملاقيح من الكوامل من زبيد .

٣ ـ قرية المظاهرة : للمظاهرة من الكوامل ، في وادي يبس أحد روافد لومة .

٤ ـ صَبْيا : سكانها الكلبة ، شرق الطريق الساحلي .

٥ ـ الغَزَوية : للسواعد من الكوامل من زبيد .

٦ ـ سوق الثلوث (الثلاثاء) سوق وعدي كل يوم ثلوث ، في حلق لُومة لبني عيسى من حرب .

٧ ـ الحُلَيفة : لذوي علي من الكوامل ، والمشاييخ .

بين المُضَيْلِف والقُنْفُذَة

تركنا آثار عشم وعدنا على طريقنا ، وفي خبت يقع على الضفة اليمنى لوادي قَرْماء رأينا أذواداً من الإبل ترعى ، وقد كسا العشب الأرض هنا حتى صار ـ كما تقول العرب ـ : (لو تـرمى اللحمة ما انتربت) !

فقد لبست هذه الخبوت بساطاً سندسياً ، وكان منظرها جميلاً .

وهنا طلب الشيخ محمد أن نهزع إلى تلك القطعان من الإبل ، فإذا هي إبلُ مضيّفنا ومرافقنا الآن ، فوجدناها ومعها إثنين استقدمهما الشيخ من بر العجم أو أريتريا .

فحلب لنا أحدهما ناقة وشربنا من حليبها وليس كله .

وفي المضيلف ودعت الشيخ الكريم وواصلت رحلتي .

العجالين :

جـزعت وادي نـاوان المـار جنـوب المضيلف ،وفي نهـايتـه من الجنوب فـرق طريق إلى اليمين ، وهو طريق ترابي ، وعلى أربعة أكيال من المفرق كنت في قرية الشِّعِيرة ، فسألت عن الشيخ : الشريف ابراهيم بن يحيى العجلاني ، فقيل لي : هو وراءك إلى اليمين في قرية تدعى (مراح الشيخ) .

وكلمة المراح لا زالت تستعمل في هذه البلاد وفي سراة بجيلة ، وأصلها : مراح الغنم أو الإبل حيث تبيت ، فنقلته العرب إلى القرية أو المنزل .

عدت إلى تلك القرية فوجدت الشيخ فاستقبلني استقبال الكرام ، وألحّ علي للبقاء للعشاء فاعتذرت ، وطلبت منه إرسال شخص يوصلني إلى حلة الأشراف العبادلة بالأحسبة .

فأرسل معي أحَد أبنائه ، فخرجنا وعدنا إلى الطريق المزفت من حيث فرقت ، ثم سرنا مسافة ليست طويلة[1] ثم فرقَ طريق ترابي إلى اليمين ، ثم لم نلبث أن وصلنا قرية العبادلة وتسمى (عُقْر) فوجدت الشيخ غائباً ، فتقهوينا عند ابنه وانتظرناه فتأخر .

خرجت من قرية العبادلة في وادي الأحسبة فجزعته ، ثم جزعت وادي لومة ـ وهي أودية متقاربة تكاد تتصل في هذا الخبت ـ ثم ظهرت في خبت يسمى ريعان لزبيد من حرب ، ثم هبطت وادي قنونا الذي يصب على القنفذة ، فجعلت بئار أم الجرم على يميني .

وعلى (٤٥) كيلاً من المضيلف ، و(٣٤٣) كيلاً من مكة ، وصلت إلى مدينة القنفذة .

---

(١) اكتشفت أثناء التدوين أن المسجل قد توقف بين المضيلف وقوزبلعير .

في القنفدة

وصلت الى القنفذة ليلاً ، وليس في البلد فنادق للمبيت ، ولم أر من اللائق هَضلة أخي الأستاذ حسن الفقيه في هذا الليل البهيم ، وكانت السماء ملبدة بالغيوم ، وتحس الرذاذ بين حين وآخر .

تنحيت شرقي المدينة في رمال هناك وبت في سيارتي إلى الصباح .

صباح اليوم الثالث للرحلة :

كان هذا اليوم هو يوم الأربعاء الموافق ١٦ من شهر صفر ١٤٠٣ هـ ، وأنا في القنفذة ضيفٌ على أخي حسن الفقيه ، وهذا يوم دوام فرأيت تأجيل الزيارة إلى المساء لاتاحة أمرين :

١ ـ عدم إحراج صديقي في وقت الدوام ، وخاصة أن العربي بمجرد زيارتك إياه يصحبك إلى بيته ، وهذا قد يؤثر على عمله .

٢ ـ لكي أتجول في المدينة لأكوِّن فكرة عنها .

تجولت في المدينة ، وعند إحدى الورش توقفت فاصلحت خللاً طرأ على سيارتي ، ثم تناولت طعام الإفطار في مطعم شعبي لم ترقني نظافته ، ثم زرت مكتبة تدعى (مكتبة الشرق الأوسط) ، وهي دكان يبيع الورقيات ، ثم ذهبت الى الميناء ، ورأيت حركته فاترة ، وعرفت من اجتماع في مساء هذا اليوم أن

الشاحنات البرية خففت من الاعتماد على الشحن البحري إلى درجة أصبحت تنذر الميناء بالكساد .

في حوالي الحادية عشر عدت إلى حيث بتّ البارحة واخذت استراحة طويلة ، فقد تعبت خلال اليومين الماضيين ، وهنا كانت نصب السحب تبرز شوامخ في البحر وعلى السراة ، ولم تلبث أن غطت السماء فهطلت ديمة بسيطة .

في ضيافة الاستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه(١)

بقيت في مقيلي حتى صليت الظهر والعصر ، ثم هبطت المدينة فسألت عن منزل مزوري فكان من الشهرة أن دُللت عليه من أول سؤال ، وما أن رآني حتى رحب وسهل ، فكانت أمسية حافلة دعا فيها الأستاذ نخبة من مثقفي القنفذة وكبار المسؤولين فيها ، كان منهم : القاضي الشريف عيسى بن علي بن محمد بن يحيى بن علي الحازمي ، رئيس محاكم القنفذة حالياً ، والشيخ : حسين بن أحمد بدوي الفقيه ، من فقهاء بني يعلى ، ومن وجهاء مدينة القنفذة حالياً، ومدير الجوازات والأحوال المدنية بالقنفذة ، والشيخ جابر بن علي بن محمد القرني ، وأحمد بن علي قاضي الفقيه ، مفتش مركزي بإمارة القنفذة ، وعدد آخر من الأخوة الكرام غابت عني أسماؤهم الآن . .

وكان الشريف عيسى الحازمي عالماً لغوياً ، فكان نقاش حول الشعر ، وحول اسم يَبَة ، هل هو بالهاء أم بالتاء المربوطة ، وكان رأي الشيخ : إنه من الاسماء التي تكتب كما سمعت .

وكان رأينا : إن أسماء الأعلام لا تنتهي بالهاء المجردة ، ولذا فيكون يَبَة

---

(١) هو الأستاذ حسن بن ابراهيم بن هادي بن محمد بن بلقاسم بن حسين الفقيه ، من فقهاء الطوال بِيَبَة، المنضمين إلى قبيلة بني يعلى، يعمل الآن مفتشاً إدارياً بإدارة تعليم منطقة القنفذة. ويعد من علماء هذه المنطقة في التأريخ والآثار ، وله معرفة بجغرافيتها لا تدانى ، وعنه أخذت معظم المعلومات المدونة عن أودية : قنونا ويبة وحلي ، وما إليها ، وقبائلها وقراها .

بالتاء المربوطة : مثله مثل دوقة والقحمة وغيرها .

وكل الشواهد التي يحفظها صديقنا حسن الفقيه تتحكم فيها ضرورة الشعر ، وستأتي في الحديث عن يَبَة .

وفي الساعة الثانية عشرة نمنا على وعد بأن نبكر إلى قوز بلعير ، وأصر أخي حسن جزاه الله خير الجزاء على مرافقتي إلى حلي بن يعقوب ، بل وتجاوزه إلى كياد .

وفي الصباح كان قد أعد لنا إفطاراً حافلاً ، وفي حوالي الساعة التاسعة غادرنا القنفذة ، وكان يرافقنا الأخ جابر بن علي القرني ، المقدم ذكره .

القُنفُذَة

مدينة صغيرة على ساحل البحر الأحمر الشرقي على قرابة (٣٤٣) كيلاً كما تقدم ، ذات أسواق ومبان من طبقتين وثلاث ، وبها جميع مرافق الدولة ، وبها إدارة تعليم وتتبعها مدارس ثانوية ومتوسطة وابتدائية ، وادارة تعليم للبنات أيضاً ، وبها إمارة تابعة لإمارة مكة تصل حدودها جنوباً إلى ما بين وادي حلي ووادي عمق

وتتبعها تسع إمارات من الدرجة الثالثة[١] ، وهي :

١ ـ إمارة حلي : ومقرها قرية الصُّفَّة بين قوز بلعير وكياد على الطريق المزفت الساحلي ، وتقع شرق حلي بن يعقوب بحوالي ثمانية أكيال .

٢ ـ إمارة كنانة بحلي : ومقرها قرية مخشوش ، جنوب آثار حلي بن يعقوب بحوالي خمسة أكيال .

٣ ـ إمارة قوز بلعير : ومقرها قوز بلعير بوادي يَبَة ، وتبعد عن القنفذة (٣٠) كيلاً جنوباً ، وهي لقطاع وادي يبة الساحلي .

٤ ـ إمارة احد بني زيد : ومقرها احد بني زيد ، وهي قرية بقنونا شرق القنفذة على سبعة عشر كيلاً .

---

(١) أي إمارة مكة ثم إمارة القنفذة ثم الإمارة الثالثة .

٥ ـ إمارة المضيلف : ومقرها بلدة المضيلف المتقدمة ، وتتبعها أودية : لومة والأحسبة ، وقرماء وناوان ، وتضم ما بين الجبل إلى البحر ، ومن خبت الدوايا ـ بين دوقة وقرماء ـ إلى خبت ريعان ـ بين لُومة وقنونا ـ ومعظم من يسكن هذه الأودية قبائل حرب ، بالاضافة إلى الأشراف العبادلة والأشراف العجالين ، وقد تقدم كل هذا .

٦ ـ إمارة دوقة : ومقرها قرية قديح ، المقدمة في دوقة ، وتشمل وادي دوقة من الجبل إلى البحر ، ومن العُسيلة شمالاً ـ بين دوقة وعليب ـ إلى خبت الدوايا جنوباً[١] .

٧ ـ إمارة العرضية الجنوبية : ومقرها بلدة ثريبان من مسايل يَبَة في العرضية ، أي الجبال التي بين السراة والساحل .

٨ ـ إمارة العرضية الشمالية : ومقرها بلدة نمِرة ، على الضفة الغربية لوادي الخيطان أحد روافد قنونا الرئيسية ، ويمر بها طريق العرضية الذي يأخذ من المضيلف إلى محايل ، وستأتي في نهاية الرحلة على طريق العودة .

٩ ـ إمارة حرب وبني عيسى : ومقرها سبت الجَارَة ـ قرية سوقها السبت ـ على الضفة الشرقية لوادي الجَارَة أحد روافد قنونا الرئيسية .

وفي كل إمارة محكمة شرعية ، وشرطة ، ومستوصف ، وكل ما تحتاجه حياة السكان الأمنية والمعيشية ، كالأسواق ومحطات الوقود والبلديات . . الخ .

نشأة القنفذة :

لم أجد من ذكر القنفذة من المتقدمين ، ولا أعتقد أنها كانت شيئاً مذكوراً ، حتى بدأت مدينة حلي بن يعقوب في الاضمحلال ، ومن ثم أخذت مدينة القنفذة تظهر إلى الوجود بعد أن استوطنها الراحلون عن حلي ، وفي بحثنا

---

(١) خبت الدوايا : هو ما بين دوقة وكرماء إلى يسار الطريق إلى الجبل .

حَلْيَ سترى مراحل نمو وعنفوان ثم تدهور حلي لتقارن بين ذلك وبين وجود هذه المدينة .

وأول ذكر رأيته للقنفذة في سمط النجوم **العوالي**[1] حيث قال :

وكان قاضي مكة أبو السعود بن ظَهِيرة مباطناً **لجازان** ـ الشريف ـ فكتب إليه يستحثه ويعده بالإعانة ووعده أن يقبض له على بركات إذا وصل جازان قرب مكة ، وعين لذلك القبض ليلة الخامس والعشرين من شهر رمضان ، فظفر الشريف بركات بكتاب أبي السعود فاستدعاه فلما دخل عليه ـ وكان قد أظهر السرور والفرح بولاية بركات ـ أوقفه على الكتاب فأنكر ذلك ، فقبض عليه في سابع رمضان وأخذ أمواله وعقاره وعذبه ، ثم بعث به وأهله إلى جزيرة القنفذة وأمر نائبه عليها أن يركبه سنبوقاً ويغرقه ، ففعل ذلك به ، وغُرّق يوم الأحد ، الثاني من ذي الحجة سنة سبع وتسعمائة ، وأولاده وعياله ينظرون إليه .

وهكذا نرى في هذه الرواية :

١ ـ إن القنفذة كانت جزيرة ، فظل المحفوظ في أذهان الناس إسم جزيرة القنفذة .

٢ ـ إنها أصبحت في القرن التاسع بلدة بها نائب لأمير مكة سنة (٩٠٧) هـ . أي أول القرن العاشر وفي حوادث (١٠٤٠) هـ يقول العصامي . . . . إلى أن كان العشر الأول من شعبان من السنة المذكورة وصلت أخبار من جهة اليمن بأن عسكراً خرجوا على الوزير قانصوه وأن نيتهم الوصول إلى مكة المشرفة ، وكان ذلك شائعاً على الألسنة .

ثم ورد مورّق من القنفذة بخبر وصولهم إليها .

وفي سنة (١٠٦٠) يذكر أن شخصاً يسمى أسد خان جاء من جهة اليمن بتجارة ونزل من البحر إلى بندر القنفذة .

والبندر كلمة فارسية الأصل تطلق على المدن الساحلية ، فيقال بندر جدة ، مثلاً . وهكذا نراها في القرن الحادي عشر أصبحت بندراً ، وبرزت

---

(١) ٤/٢٨٥ ، ٤٣٧ ، ٤٦٧ ، ٤٩٢ ، ٥٠١ .

للعيان كمدينة ولها ميناء . وفي حوادث (١٠٧٨) يذكر العصامي القبض على رجل بالبلدة المعروفة بالقنفذة يتعاطى السكة خفية وهو ممن يتسمى بالقضاء ، فيسمى القاضي عبد الواحد .

ولو لم تكن هذه البلدة قد تطورت عمرانياً ما لجأ إليها محتال مثل هذا ، ولأنكشف أمره بسرعة .

أما في سنة (١٠٧٩) فاجتاحت المنطقة مجاعة ، حتى أن امرأة بالقنفذة وجد عندها رجل مأكول .

ثم تأتي رحلة الشريف شرف بن عبدالمحسن البركاتي سنة **١٣٢٩** هـ فيجد أن القنفذة قصبة تهامة ، وأنها قائم مقامية ، فيقول : وأما بندر القنفذة فهو واقع على البحر الأحمر[١] ، وهو مرفأ عظيم حتى أن البواخر البحرية تسير فيه إلى قريب الشاطىء .

وهذه المدينة ثلثها مبني بأحجار ، والثلثان الباقيان أكواخ مصنوعة من جريد النخل وخشب أشجار السمر والطرفاء ، ولهم فيها صناعة جميلة واعتناء تام ، حتى أنها تمكث ثلاثين سنة تقريباً ـ أي العشة ـ وأغلب البيوت المبنية بالأحجار طبقة واحدة عدا محلات الحكومة والأغنياء من التجار ، فبيوتهم طبقتان . ثم يذكر أن الفاكهة تأتيها عن طريق المخواة ، وأن بها مسجدين عظيمين ،وأن ثمن الدجاجة آنذاك قرشان مصريان .

ثم يذكر البركاتي : إن نساء القنفذة يخرجن حافيات غير ناعلات فيزرن صديقاتهنّ ومعهنّ قهوتهنّ .

قلت : قوله : ثلثها مبنيّ بالحجر ، لازالت ترى بعض المباني المبنية بالحجر ، ولكنها أصبحت كالخراب ، أما مساجدها فقد كثرت وتعددت أنواعها بين مسجد جامع تصلي فيه الجمعة وبين مسجد جماعة لا تقام فيه جمعة .

أما قوله : إن نساء القنفذة يخرجن حافيات ، فقد استغربت هذا الأمر

---

(١) الرحلة اليمانية : **٢٣** وما بعدها .

عندما قرأته قبل ما يزيد على عشرين سنة ، وعندما زرتها هذه المرة قصدت التدقيق فيه بعناية ، ويوم تجوالي في القنفذة رأيت بعض نسائها يخرجن زرافات ووحدانا ، إمّا للزيارة أو للتسوق ، فكنت أقترب منهن بقصد التحقق مما ذكر الشريف شرف ، فما رأيت فيهن حافية .

فلعل العادات قد تغيرت أو أن من روى ذلك له كان واهماً .

وقد لاحظت أنهن يحرصن على خضب أقدامهن بالحناء ، وهي عادة يمنية محببة إليهن .

ضبط اسم القنفذة :

مرّ ذكرها معنا في مرجعين سابقين هما :

١ ـ سمط النجوم العوالي : ذكرها في أربعة مواضع ، وكتبها في ثلاثة منها بالدال المهملة ، وفي واحد بالذال المعجمة .

٢ ـ الرحلة اليمانية : ذكرها في ثلاثة مواضع ، كلها بالدال المهملة .

والمسموع من الناس : القنفدة ، بالدال المهملة ، ولكن ما يكتب في المعاملات بالذال المعجمة . فأما بالمهملة فليس له إلاَّ وجه واحد لغوي ، وهو إن القنفدة مؤنث القنفد ، وهي لغة في القنفذ، بالمعجمة ، وفي هذه الحالة تجوز كتابتها بالمعجمة والمهملة معاً في آن واحد . أما بالمعجمة ، فمنها أنثى القنفذ ولعلها به سميت ، والشجر الملتف ، وبعض أجزاء من الإنسان والحيوان ، ونحو ذلك . وأرجح تشبيهها بأنثى القنفذ . ولأخي حسن الفقيه بحث لطيف موسع عن القنفذة ، نشره في مجلة الفيصل ، وأذن لي بضمه هنا ، فإليكه .

قال الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه :

القنفذة

تعتبر مدينة القنفذة من الموانىء المهمة على الساحل الغربي بالمملكة العربية السعودية ، وقد عاشت هذه المدينة حياة تجارية وحضارية خلال القرون الهجرية الخمسة الماضية ، لعبت في خلالها دوراً مهماً في الحياة العامة بتهامة والحجاز ، فكانت بحكم موقعها باباً بحرياً للمنطقة التهامية والسروية التي تتدلى عليها من الشرق ، كما كانت مدخلاً جنوبياً للتجارة وحجاج اليمن والهند إلى مكة المكرمة في فترات من تاريخها .

كما أثْرَتْ قرى منطقتها الداخلية بأصناف مستورداتها ، وصدرت عن طريق مينائها العديد من منتجات هذه المنطقة الزراعية منها والحيوانية وغيرها . وانعكس هذا النشاط التجاري على حياتها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية ، فأصابت نصيباً حضارياً لم يكن حظها فيه أقل من مثيلاتها شمالاً وجنوباً إلى ما قبل السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري . ثم تأثرت حركة التجارة البحرية فيها بوسائل النقل البري ، وبدأت جذوة النشاط الاقتصادي بها تخفت شيئاً فشيئاً إلى أن انطفأت ، ولكن نشطت دماء الحياة فيها حركة الخدمات الحكومية ، وبعض موروثها من أعمال البيع والشراء، وصيد الأسماك، وصناعة القوارب، وما شابه ذلك . وتشهد في الآونة الأخيرة حركة عمرانية وتعليمية وثقافية تأخذ بيدها لتلحق بركاب أمهات المدن .

وفي هذا التعريف المختصر عنها نحاول تقديم صورة عنها ، وعن موقعها وأهميته ، ومدى قدمها وتبعيتها ، وبعض الأحداث التأريخية التي تدل على ذلك ، وسبب تسميتها إلى غير ذلك مما نأمل أن يجد فيه القارىء إيضاحاً لما قد لا يعرفه عن هذه المدينة البحرية .

الإطار الجغرافي

اقتضى الوضع الجغرافي الذي يكونه امتداد جبال السروات وامتداد سهل تهامة مع امتداد جسم البحر الأحمر موازياً لهما ؛ ظهور موانىء على الساحل الشرقي لهذا البحر هي بمثابة الأبواب التي تدخل عن طريقها احتياجات سكان هذين الامتدادين الجبلي والسهلي من المستوردات المجلوبة من بعض الأمصار داخل الجزيرة العربية وخارجها ، كما تصدر عن طريقها منتجاتها وسائر مصدراتها إلى أماكن أخرى داخلية وخارجية في إطار تبادل المنافع التجارية التي تمثل جزءاً من النشاط البشري الممارس . إضافة إلى أن تلك الموانىء قامت فيها أسواق تجارية قوامها ما يصل « فرضاتها » من شتى أنواع السلع التجارية من الداخل والخارج ، وعاد ذلك النشاط مع طبيعة الموقع الاستراتيجي على مدن تلك الموانىء بمعطيات عمرانية وحضارية واقتصادية أكسبتها النماء والبقاء ، وجعل كلًا منها تلعب دوراً مهماً في تاريخ الحياة البشرية على طول امتداد هذا السهل الساحلي ، وما يصاقبه شرقاً من البلاد الداخلية التي تدر على تلك الموانىء بخيراتها وتأخذ منها احتياجها من المستوردات كما أسلفنا ، كما أصبحت تلك الموانىء نقاطاً ذات أهمية كبرى في مجال الاتصالات البحرية والبرية وقواعد لنشاطات عسكرية بجانب وظيفتها المدنية التجارية .

ويعود تاريخ نشأة بعض تلك المدن البحرية « كلويكة كوم » و« الجار » و« جدة » و« الشعيبة » . إلى ما قبل الإسلام[1] وظهر بعض آخر منها في العصر

---

(١) انظر : (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢/٢٧ ـ ٣٠ ، ٧/٢٧١ ـ ٢٧٤ ، حول مدينة =

الإسلامي وإن كان لا يعرف على وجه التحديد أو الضبط التاريخ الذي قامت فيه كل منها، لكن بعض المدن البحرية التي قامت في العصر الإسلامي يمكن معرفة الحقبة التاريخية التي نشأت فيها على وجه التقريب ومن تلك المدن مدينة **القنفذة** التي نحسبها قامت على حياة هذا الميناء أو المرسى الطبيعي ، وانبعثت نواتها على شاطئه منذ حوالي القرن الثامن الهجري غالباً ـ على نحو ما سنوضحه قريباً ـ وليس معنى ذلك أن هذا الميناء أو المرسى الطبيعي الذي قامت بجواره القنفذة لم يستعمل لرسو السفن إلا في أيام حياتها ، بل نعتقد أنه كأي مرسى طبيعي موجود على هذا الساحل قد استخدمه منذ أقدم الأزمنة رواد البحر من أصحاب سفن الصيد والتجارة التي كانت تجوب مياه البحر الأحمر ، وترتاد شواطئه سواء للاستقرار في بعض مواقعه الجغرافية : كالجزيرة التي تظلله من الغرب ، أو الجزر الأخرى القريبة منه ، أو للجوء إليه عند هبوب العواصف ، والاستكنان في مياهه الهادئة ، أو لاستمداد بعض الاحتياجات من المناطق البرية المجاورة له كالحبوب والمياه والأغنام ، وبيع بعض ما تحمله من الميرة أو الصيد أو غير ذلك لسكان البرية . بل يمتد بنا الاعتقاد إلى أن سفن التجار العبرانيين والفينيقيين والآشوريين التي كانت تجوب سواحل البحر الأحمر طلباً للذهب ، قد استخدمت هذا الميناء المتميز بموقعه الهادىء ، وذلك في رحلاتها التجارية لاستجلاب هذا المعدن ، وكذلك بعثات سليمان عليه السلام التجارية ، التي كانت تنقب عن الذهب قرب سواحل البحر الأحمر ، حيث كانت تلك البعثات والرحلات تستخرج وتعود بكميات هائلة من الذهب المستخرج من معادن أسناد الجبال القريبة من موقعه[٢] .

ويؤ يد هذا الاعتقاد أن هذا الميناء يقع في إطار منطقة أوفير (Ophir) سواء

= جدة : للشيخ حمد الجاسر : مجلة العرب ، ج ٣ ، س ١٥ ، رمضان وشوال ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣) .

(٢) انظر : (الارتسامات اللطاف ٢٢٢ : المعادن في البلاد العربية القديمة ، لبرنارد موريتس ، تعريب : أمين رويحة : مجلة العرب ، ج ٧ ، س ٢ ، محرم ١٣٨٨ هـ ، ص ٥٨٠ ـ ٥٨٢ ، ٥٨٨) .

تلك التي قيل إنها بين القنفذة ومرسى (حلج) حلي[٣] أو تلك التي يقال بأنها (بين القنفذة وعتود)[٤] التي « يظهر من المؤلفات اليونانية ، ومن الكتب العربية أنها كانت معروفة بوجود التبر فيها ، وأن الناس كانوا يشتغلون فيها باستخلاص الذهب ، ولذلك رأى « موريتس » أن هذه المنطقة هي منطقة (أوفير) التي ورد ذكرها في التوراة على أنها كانت تصدر الذهب »[٥] .

كما يؤيد هذا الاعتقاد أن من أشهر مواقع الذهب القديمة وأجودها « نوعية ذهب » ما يقع في إطار هذه المنطقة قريباً من ميناء القنفذة كمعدن ذهب عشم[٦] الذي عرف بغزارة معدنه وتفوق ذهبه الأحمر على غيره[٧] من سائر ذهب معادن جنوب غربي جزيرة العرب ، حيث يقع موقع هذا المعدن شمال شرقي القنفذة ببضع وستين كيلاً[٨] ، كما أن معدن ذهب « ضنكان » يقع في إطار هذه المنطقة جنوب شرقي ميناء القنفذة بحوالي مائة وخمسين كيلاً ، وكان مشهوراً أيضاً في القديم ، بجودة ذهبه وغزارته ووجود ذهبه نقياً خالصاً[٩] ، ولعل هناك من مواقع المعادن ما وجد في أسناد الجبال مقابل ميناء القنفذة ثم اندثر وجهل موقعه ولم يرد ذكره في شيء من كتب التراث ،فلعل مما سبق يتضح ما يؤيد الاعتقاد باستعمال تلك الرحلات التجارية والبعثات الخارجية لهذا الميناء قبل أن تقوم عنده هذه البلدة بعشرات القرون .

(٣ ـ ٥) انظر المصدر السابق الأخير ، ص ٥٨٠ ، ٥٨٨ ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١٩٢/٢ ، ١٩٣ .

(٦ ـ ٧) انظر (كتاب البلدان لليعقوبي : ٣١٤ ، المعادن القديمة في بلاد العرب للشيخ الجاسر : مجلة العرب ، ج ١٠ ، س ٢ ، ربيع الثاني ١٣٨٨ هـ ، ص ٩٠٩) .

(٨) أعددنا بحثاً عن قرية : « عشم » الأثرية ضمن بحثنا عن « المدن والقرى الأثرية في تهامة » ، وسننشره قريباً إن شاء الله .

(٩) انظر : (صفة جزيرة العرب : ٢٥٩ ، المعادن القديمة في بلاد العرب : مجلة العرب ، ج ١٠ ، س ٢ ، ربيع الثاني ١٣٨٨ هـ ، ص ٩٠٧ ، ٩٠٨) . وأعددنا عن ضنكان أيضاً بحثاً ضمن بحثنا مار الذكر .

الموقع

على الشاطىء الشرقي للبحر الأحمر ، وجنوب مدينة جدة بمسافة ثلاثمائة وعشرين كيلاً جواً وثلاثمائة وخمسة وسبعين كيلاً براً ، وعلى بعد ثلاثمائة وأربعة وأربعين كيلاً من جنوب مكة المكرمة ، تقع مدينة القنفذة ، وبالتحديد عند نقطة تقاطع خط طول ٤١,٥° . شرقاً بدائرة عرض ١٩,٨° شمالاً .

وقد تبوأت مكاناً وسطاً من منطقة مصب فروع « وادي قنونا » الذي تنحدر مياهه من رؤوس جبال السروات والتلال الجبلية الواقعة شرقاً متجهة في انحدارها إلى البحر الأحمر .

أهمية الموقع

يتميز موقع هذه البلدة بوقوعه وسطاً بين مدينتي جدة وجازان وتدلي جبال السروات وتهامة عليه من الشرق مع وجود امتداد السهل الساحلي التهامي شرقه وشماله وجنوبه ، فتهيأ لها أن تكون الميناء الطبيعي للجزء الشمالي من تهامة عسير وتهامة وسروات بني شهر وبالقرن ، والجزء الجنوبي من سراة وتهامة غامد وزهران ، وأصبحت النافذة البحرية الكبيرة لهذه المنطقة عموماً ، تستقبل عن طريقها ما تحمله إلى مينائها السفن الشراعية التجارية من أصناف المستوردات المجلوبة من مدن الجزيرة العربية ، ومدن ساحل إفريقيا الشرقي وغيرها ، كما تصدر عبره صادراتها المتنوعة من الحبوب والمنتجات الحيوانية وغيرها التي كانت إلى عهد قريب تزخر بها فرضة مينائها ، كما هيأها موقعها جنوب مكة وجدة ووجودها حاضرة للمنطقة السهلية والجبلية القريبة منها ، وما تزخر به هذه المنطقة عامة وحاضرتها خاصة من الإمكانات المادية والبشرية والحياة الحضارية المتقدمة إلى أن يتخذها بعض ولاة مكة مصدر استمداد بشري ومادي وقاعدة انطلاق حربي في حملاتهم وصراعاتهم الداخلية على السلطة في تولي إمارة مكة ، كما استعملها بعضهم قاعدة لحكم منطقتها ونقطة تحكم فيما يرد إلى الحجاز عامة من صادرات اليمن ، متخذاً قطع طريق واردات اليمن إلى الحجاز

منها وسيلة من وسائل الحرب والصراع ، واتخذت أيضاً ملجأ لبعض المصروفين عن الحكم عن ولاية الحجاز ، ولذلك تعرضت لكثير من المحن والمتاعب على مدى الحقب التاريخية الماضية منذ نشأتها[١٠] .

إضافة إلى ذلك ما تشير إليه بعض المؤلفات من إتخاذ المصريين لها قاعدة لأعمالهم الحربية في حملاتهم على عسير ، ثم ما كان يدور في ميادينها من معارك طاحنة بين القوى الحاكمة المتصارعة في تهامة والحجاز[١١] مما عرضها كثيراً لغارات السلب والنهب ، على أنها رغم ذلك قد نعمت في بعض الفترات بنشاط اقتصادي وعمراني جعلها محط رحال كثير من الفئات البشرية التي استوطنتها ، وتعود في أصولها إلى بعض جهات الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية .

وعندما أطل العهد السعودي الزاهر لعبت بموقعها الاستراتيجي دوراً كبيراً في إثراء الحياة التجارية والتموينية لبعض مدن الحجاز وخاصة مكة المكرمة قبل الفتح السعودي لميناء جدة ، حيث استمرت قوافل التجارة والحج منها إلى مكة المكرمة وقوافل التجارة البحرية حتى بعد الفتح السعودي لمدينة جدة . وتسجل لنا بعض الوثائق التاريخية استخدام مينائها باباً لمكة المكرمة يدخل عن طريقه حجاج جنوب الجزيرة العربية ، وحجاج جنوب شرقي آسيا وخاصة حجاج الهند ، فقد أرسل جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود طيّب الله ثراه رسالتين مؤرختين في ١٦ من شوال سنة **١٣٤٣ هـ** ، إلى كل من حاكم عدن وإلى رئيس جمعية الخلافة في بومبي ، يؤكد لهما استعداد مينائي القنفذة والليث لاستقبال حجاج جهاتهم ، وأن هذين المينائين متوفر بهما كافة الوسائط النقلية منهما إلى مكة المكرمة[١٢] .

---

(١٠) انظر : (أمراء البلد الحرام : ١٥١ ، ١٥٧ - ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ٣٣٥) .

(١١) انظر : (المصدر السابق : ٣٣٥ ، ٣٧١ - ٣٧٣ ، المنجد : ملحق الآداب والعلوم : ٤٢٤ مادة : « قنفذة ») .

(١٢) أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

مما سبق يتضح جانب كبير من أهمية موقع هذه المدينة وميناءها بالنسبة للحجاز واليمن والمناطق التهامية والسروية الداخلية .

اسم القنفدة

ينطق العامة اسم (القُنْفُدَة) بضم القاف والفاء وإسكان النون وفتح الدال المهملة بعدها التاء المربوطة . وشاع إعجام الدال في ألسنة بعض المتعلمين وفي بعض الكتابات مؤخراً[١٣] ، مع أن بعض كتب التراث أوردت اسمها بالدال المهملة[١٤] .

وعلى أي حال فإن « الإبدال بين الدال والذال شائع في لهجات بعض العرب . . . ويؤيد التعاقب بينهما في اللهجات العربية ما يرى من إبدال الذال العربية دالاً في اللهجات الآرامية وفي كثير من الألفاظ الأجريتية »[١٥] .

ويشاع عند العامة اليوم أن سبب التسمية يعود إلى أن امرأة كانت تسمى بـ (القنفذة) كانت أول من أقام مسكناً في موضع هذه البلدة ، فتسمى الموضع باسمها واكتسبت هذه البلدة اسمها من ذلك . لكن يأبى الخيال الشعبي إلا أن يضيف إلى ذلك بعض الشيء ، فيقال إن زوج هذه المرأة كان يسمى بـ « البندر » فتسمت البلدة باسميهما « القنفذة » و « البندر » والبندر علم لهذه البلدة أيضاً لا يزال معروفاً في ألسنة سكان البوادي القريبة منها على وجه الخصوص .

وإذا كان من الممكن احتمال عودة سبب تسمية هذه البلدة إلى سكنى

---

(١٣) ومن ذلك ورودها بالذال المعجمة في الوثيقتين المشار إليهما في المصدر السابق .

(١٤) انظر : البرق اليماني في الفتح العثماني : ١٧٤ ، ٤٤٦ ، سمط النجوم العوالي : ٤٣٧ ، ٤٩٢ : ووردت فيه بإعجام الدال أيضاً ص : ٢٨٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ولعل ذلك جاء تصحيفاً في المخطوطة أو المطبوعة) .

(١٥) اللهجات العربية في التراث : ٤٣٤/٢ ، ٤٣٥ نقلاً عن « اللسان » وعن « حروف الإطباق للدكتور خليل نامي » .

امرأة تسمت بهذا الاسم ، وانتقل إلى اسم الموقع بعد سكناها به أو لعلها كانت تملك الأرض الزراعية القريبة من موقع هذه البلدة قبل نشأة نواتها ، فسكنت بجوار هذا الموقع واشتهر باسمها ، أو كانت تلك المرأة قد سكنت بجوار هذا المرسى مقابل الجزيرة القريبة من الشاطىء مشتغلة بتقديم بعض الخدمات كبيع الحبوب والماء والحطب أو غير ذلك من الضروريات لأصحاب السفن الشراعية وقوارب الصيد التي تجوب في مياه البحر وترسو في هذا الميناء .

لكن تسميتها باسم (البندر) تسمية يبدو أنها أطلقت عليها بعد أو حين غزو الجراكسة والعثمانيين لجنوب الجزيرة العربية حيث يطلق هذا الاسم على المدن البحرية التجارية أو مرابط السفن على الساحل ، كما في (الفارسية) على ما يقوله صاحب المنجد[١٦] . وقد وردت هذه التسمية في بعض كتب مؤرخي تلك الفترة حيث جاء فيها اسم « بندر جدة ، وبندر القنفذة ، وبندر جازان ، وبندر عدن » وهكذا[١٧] .

أما إذا أردنا إعادة التسمية إلى التأصيل اللغوي ، فنجد أن مادة « القنفدة » بإهمال الدال أو إعجامها ـ سواء كانت تعني أنثى الشَّيْهم أو كانت تعني المكان ذا المجتمع الرملي المرتفع أو الشجرة في وسط الرمل[١٨] ـ فإننا نرى أن المناسبة ضعيفة بين هذه الدلالات والمعاني ، وبين الطبيعة الجغرافية لوضع السطح الذي قامت عليه هذه البلدة . إضافة إلى أن تاريخ نشأة نواتها في حوالي القرن التاسع[١٩] وظهورها بهذا الاسم في مطلع القرن العاشر[٢٠] في بعض كتب التراث لا يمكن معه القول بعودة التسمية إلى المعنى اللغوي على نحو ما يمليه

---

(١٦) المنجد : ٥٠ مادة : « البندر » .

(١٧) انظر : (البرق اليماني في الفتح العثماني : ١٢٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ٤٤٥ ، سمط النجوم العوالي : ٤/٤٦٧) .

(١٨) لسان العرب المحيط : ٢/١٧٥ مادة : « قنفذ » .

(١٩) أخبار مكة المشرفة : ٢/٣٢٠ قرية قنونا . وانظر : « قدم القنفذة » في هذا البحث .

(٢٠) انظر : قدم القنفذة في هذا البحث » .

التأصيل اللغوي لبعد هذا التاريخ عن عصر الفصحى ، ويزيد هذا تأكيداً كون الدلالة اللغوية الجغرافية لهذه التسمية تحتاج إلى إعمال فكري ولغوي لا توجد له المقومات الفكرية والثقافية عند سكانها في عصر قيام هذه البلدة أو نشأة نواتها .

على أننا نميل إلى معقولية إمكان عودة التسمية إلى اسم امرأة عمرت هذا الموقع قبل قيام هذه البلدة على أي وجه من الإعمار ، ثم تقاطر إليه بعض السكان فتكونت نواة هذه البلدة بهذه الصورة التي تكونت بها كثير من القرى والمدن الشهيرة والمعروفة اليوم . ولعل بلدة « القنفذة » اكتسبت اسمها منها ، فكان في ذلك سبب هذه التسمية (والله أعلم) .

القنفذة في التاريخ

لم يرد ذكر اسم (القنفذة) فيما اطلعنا عليه من مراجع إلا منذ مطلع القرن العاشر الهجري ، ولعل أول إشارة تاريخية ورد اسمها صريحاً فيها هي حادثة مقتل قاضي مكة المكرمة أبي السعود ابن ظهيرة وذلك سنة ٩٠٧ هـ ، حيث ذكر أنه قتل (تغريقاً في البحر عند القنفذة)[٢١] . وكذلك ورد ذكرها في حادثة خروج الشريف بركات بن محمد من مكة المكرمة إلى ساحل القنفذة سنة ٩٠٨ هـ[٢٢] .

ويعني هذا أنها كانت موجودة قبل هذا التاريخ ، لكن يبدو أنها لم تظهر كبلدة بمسماها الحالي إلا في القرن التاسع الهجري ، إذ ليس بين موجوداتها من

---

(٢١) انظر : (سمط النجوم العوالي ٤/٢٨٤ ، ٢٨٥ ، أمراء البلد الحرام : ٦٩ ، وفي تاريخ مكة المكرمة للسباعي أن عائلة القاضي المذكور نفيت إلى جزيرة ابن بركوت وأغرقهم نائبه عليها في عرض البحر ، ص ٣١١ ، وفي درر الفوائد المنظمة للجزيري : أنه نفي بجزيرة الصبايا ولعل المقصود (جبل الصبايا) وهو جزيرة صخرية رملية تقع جنوب القنفذة بستين كيلاً تقريباً مقابل فرشة مصب وادي حلي) .

(٢٢) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني : ٢/٦٣٢ .

الأثريات ما يعطي دلالة على وجودها بهذا الاسم فيما قبل ذلك ، كما أن كتب التراث كما أسلفنا لم تذكرها باسمها قبل التاريخ مار الذكر .

وتجدر الإشارة إلى أن من المدن والموانىء المشهورة قبلها في الوسط القريب من موقع القنفذة كل من مدينة (حلي بن يعقوب) ومرساها[٢٣] ، وكذلك (مدينة السرين) ومرساها[٢٤] حيث ماتت الأولى غالباً حوالي نهاية القرن التاسع الهجري وتعطل ميناؤها[٢٥] ، كما ماتت الثانية وتعطل مرساها على ما يبدو حوالي نهاية القرن السابع الهجري[٢٦] ، فقامت في المنطقة ونشطت موانىء أخرى بديلة في تلك الحقب الزمنية على أنقاض ونشاط هاتين المدينتين وميناثيهما ، فظهر ميناء القنفذة الذي قامت عنده هذه البلدة ، وتمثلت الدور التجاري والحضاري الذي لعبته (مدينة حلي وميناؤها) كما قامت بلدة (الليث وميناؤها)[٢٧] بالدور نفسه بعد موت مدينة السرين في حوالي تلك الحقبة التاريخية آنفة الذكر .

ويظهر أن نواة بلدة القنفذة كانت موجودة قبل القرن التاسع الهجري حيث تطالعنا إشارة تاريخية تذكر ذلك فتقول : « بلغ السعر فيها في هذه السنة ست عشرة وثمانمائة كل غرارة مكية ذرة بثلاثين مثقالا ذهباً وهذا شيء لم يعهد مثله من

---

(٢٣) انظر : (صورة الأرض : ٣٢ ، أحسن التقاسيم : ٨٦ ، منازل الحجاز : ورقة ١٤ ب ، تاريخ المستبصر : ٥٣ ، جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك للبكري : ٤٩ ، رحلة ابن بطوطة : ٢٤٦ ، ٢٤٧) . وأعددنا بحثاً عنها ضمن بحثنا مار الذكر ويبعد موقعها عن القنفذة جنوباً بحوالي ٦٣ كيلاً .

(٢٤) انظر : (صورة الأرض : ٢٩ ، ٣٣ ، أحسن التقاسيم : ٨٦ منازل الحجاز : ورقة ١٤ ب ، تاريخ المستبصر : ٥٣) وأعددنا أيضاً عنها بحثاً ضمن بحثنا آنف الذكر .

(٢٥) سمط النجوم العوالي : ٢٧٨/٤ .

(٢٦) اعتمدنا في هذا التقدير لموتها على سكوت المراجع عن ذكر وجود حياة فيها منذ نهاية القرن السابع الهجري .

(٢٧) الليث : مدينة عند ساحل البحر الأحمر حيث مصب وادي الليث وتبعد جنوب مكة المشرفة بحوالي ١٨٥ كيلاً ، وتبعد شمال موقع مدينة السرين الأثرية بحوالي ٤٣ كيلاً .

دهر طويل ، وسبب الغلاء في بلاد اليمن قلة الزرع بها لقلة المطر ، وصار أهل اليمن وأهل سواكن يجلبون الذرة إليها من قرية يقال لها «قنونا» بقرب حلي ، ومنها أيضاً يجلب ذلك إلى مكة المكرمة ، وما عرفت أن مثل هذه القرية الصغيرة تمير أهل اليمن وسواكن »[٢٨] .

فمن هذه الإشارة يظهر أن هذه القرية المضافة إلى اسم (قنونا) الوادي التهامي الشهير هي تلك النواة الحقيقية لهذه البلدة ، ونعتقد أن اسمها كان في هذا التاريخ ومنذ نشأتها هو (القنفذة) ، ولكنها سميت عند المؤلفين أو من نقلوا منهم معلوماتهم باسم قرية قنونا من باب تعريف المغمور بالمشهور ، إذ إن اسم وادي (قنونا) مشهور منذ القدم[٢٩] ، ولذلك يبدو أن نواة (القنفذة) سميت باسمه في مثل هذه المعلومة .

ومثل ذلك نجده عند بعض المؤلفين ، فقد أورد الحموي في تعريف (قنونا) قوله : « وبالقرب منها قرية يقال لها يبت »[٣٠] « يبة » ، كما أورد في تعريف (يبة) قوله : « يبة وعليب قريتان . . »[٣١] مع أن يبة وعليب واديان تهاميان كبيران لا قريتين : الأول في جنوب قنونا بحوالي ٢٥ كيلاً والثاني شمال وادي دوقة بمسافة ٣٨ كيلاً وجنوب الليث بمسافة ٥٧ كيلاً .

ومما يؤكد هذا الاعتقاد أن اسم (القنفذة) كمدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر ، عرف فيما اطلعنا عليه من مراجع بعد سنة ٨١٦ هـ ، بحوالي ٩٠ سنة ، كما مر ذكره وهو زمن قصير لنشأة نواة مدينة وتطورها وتسميتها باسم مشهور بالنسبة لتلك العصور ، ويؤكد أن هذه القرية هي نواة (القنفذة) كون اسمها في هذه الإشارة التاريخية (قنونا) لا يزال علماً للوادي التهامي الذي تتبوأ

---

(٢٨) أخبار مكة المشرفة ٢/٣٢٠ .

(٢٩) انظر : (أخبار مكة المشرفة للأزرقي : ٩٤/١ ، ديوان كثير عزة : ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، المسالك والممالك ، لابن خرداذبة : ١٤٩ ، معجم البلدان : ٤٠٩/٤)

(٣٠) معجم البلدان : ٤٠٩/٤ .

(٣١) المصدر السابق : ٤٢٨/٥ .

مدينة القنفذة مكاناً وسطاً من فرشة مصبه عند شاطىء البحر الأحمر؛ ولذلك كانت ولا تزال حاضرة هذا الوادي خاصة والمنطقة التي حوله المتشكلة من مجموعة القرى والأودية الممتدة من وادي حلي جنوباً إلى وادي دوقة شمالا عامة .

ويظهر أن هذه المدينة قد اشتهرت وتطورت في وقت وجيز بعد موت مدينة (حلي بن يعقوب) على نحو ما أوضحناه آنفاً ، حيث كانت البديل عنها مدينة وميناء ؛ فامتصت ما كانت تعج به تلك المدينة القديمة وميناؤ ها من النشاط التجاري ، وساعد على ذلك وفود بعض فئات من سكان الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية إليها فأثرتها بوجودها واشتغالها بحركة البيع والشراء والمتاجرة مع بعض البلدان الداخلية والخارجية ، وأصبحت من أبرز المدن والموانىء الشهيرة تضارع في شهرتها بقية مدن هذا الساحل البحرية المعاصرة .

ولكن يبدو أنها تأخرت عمرانياً واقتصادياً بعض الوقت بسبب حركة التهديد البرتغالي لسواحل البحر الأحمر بالجزيرة العربية في النصف الأول من القرن العاشر(٣٢) ، ولكنها استأنفت حياتها ونشاطها بعد ذلك ، ولهذا نراها تسمى باسم (بندر القنفذة) واسم القنفذة حيث أوردها النهروالي (**٩١٧ ـ ٩٩٠** هـ) عند الحديث عن عزل رضوان باشا وبروزه من اليمن بقوله : « وخرج من بندر القنفذة وتوجه منها إلى مكة المكرمة ودخلها في أواسط محرم الحرام سنة خمس وسبعين وتسعمائة »(٣٣) . كما أوردها العصامي (**١٠٤٩ ـ ١١١١ هـ**) بهذه التسمية في مجال الكلام عن أحداث سنة **١٠٥٩** هـ ، في قوله : « ورد إلى مكة المكرمة بعض تجار من الصعايدة وشخص أعجمي يسمى أسد خان جاءوا من جهة اليمن بتجارة ونزلوا من البحر إلى بندر القنفذة ووصلوا إلى مكة المكرمة

---

(٣٢) انظر : (أمراء البلد الحرام : ٧٦ ، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب للدكتور حسن أحمد محمود « مجلة العرب » ، ج ٧ و ٨ ، س ١٢ ، محرم وصفر ١٣٩٨ هـ ، ص : ٦٠٤ ـ ٦٠٩) .

(٣٣) البرق اليماني في الفتح العثماني : ١٧٤ .

براً ولم يدخلوا بندر جدة »[٣٤] .

وتلمح هذه الإشارات إلى المكانة العمرانية التي كانت عليها بلدة القنفذة في تلك الحقبة التاريخية والمستوى الحضاري الذي بلغته ، مما جعلها تكتسب هذه التسمية (البندر) التي أطلقت على المدن البحرية الرئيسية كبندر جدة ، وبندر جازان وغيرهما ، بل أصبح اسم (البندر) علماً لها عند سكان البوادي القريبة منها منذ ذلك التاريخ على ما يبدو ، وإلى يومنا هذا وكما أشرنا آنفاً .

وقد تبعت هذه البلدة الحجاز منذ نشأتها ، ولذلك يذكر بعض المؤلفين حادثة مقتل قاضي مكة المكرمة ، في بحرها سنة ٩٠٧ هـ ، بأمر من شريف مكة المكرمة ، إلى نائبه على القنفذة بتنفيذ المهمة[٣٥] ، كما نلحظ اتخاذ بعض أشراف مكة المكرمة ، في ذلك القرن لها قاعدة لانطلاقهم في حملاتهم وصراعاتهم الحربية مع أمثالهم من أمراء مكة المكرمة ، على نحو ما سبق ذكره ، كما اتخذها بعضهم ملجأ عندما يصرف عن حكم مكة المكرمة ، لسبب أو لآخر[٣٦] .

وفي القرن الحادي عشر نلحظ أن عامل (أبي عريش) و (جازان) يدخل إلى القنفذة ممداً للشريف محسن بن حسن صاحب مكة المكرمة على الشريف (أحمد بن عبد المطلب)[٣٧] ، كما تبدو الصلة وقوة الاتصال بين القنفذة ومكة المكرمة ، من خلال استخدام رضوان آغا للوسائط النقلية المتوفرة بالقنفذة مع مثيلاتها المستجلبة من جدة والمدينة وذلك سنة ١٠٣٩ هـ ، لمهمة نقل أحمال مخلفات السيل الذي دخل الحرم في السنة المذكورة وأدى إلى سقوط بعض جدران بناء الكعبة المشرفة ضمن المهمة التي كلف بها رضوان المذكور من قبل

---

(٣٤) سمط النجوم العوالي : ٤٦٧/٤ .
(٣٥) المصدر السابق : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
(٣٦) أمراء البلد الحرام : ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦٤ .
(٣٧) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني : ٨٢٩/٢ .

والي مصر لاتخاذ التدابير المستعجلة إزاء التنظيف وبناء ما تهدم من بناء البيت الشريف[٣٨] .

ويبدو أن بلدة القنفذة قداتخذت حاضرة مركزية للمنطقة السهلية والجبلية الموالية لها منذ نشأتها مع تبعيتها للحجاز وظهرت هذه الشخصية واضحة في القرن الحادي عشر من خلال ما نلمحه في ترجمة (القاضي عبد الواحد الأنصاري حاكم القنفذة)[٣٩] ، في حوالي منتصف القرن المذكور ؛ فقد جاء فيها أنه : « كان رئيس القنفذة وما والاها من أرض الحجاز لا تصدر أمورها إلا عن رأيه »[٤٠] . كما ويبدو أن هذه البلدة قد أصيبت بهزة اقتصادية عنيفة في نهاية القرن الحادي عشر الهجري ، إثر إصابتها بالمجاعة الخطيرة التي شملت أرض اليمن وتهامة .

ولقد سجل لنا العصامي حادثة تصور فداحة وقوة تلك الكارثة ، فيقول : « في هذا الشهر جمادى الأولى سنة **١٠٧٩** هـ ، تواتر الخبر من جهة أرض اليمن بإشتداد الجدب والقحط فيها كالقنفذة وصبيا والتهائم ونواحيها وفي بعض الأيام بالقنفذة وجدوا في دار امرأة حجامة رجلين مقتولين أحدهما مأكول والآخر شرعت في أكله وأعضاء أطفال منها طري ومنها يابس فأمْسكت وأغْرقت في البحر وقيل وُضعت على الجزيرة التي أمام القنفذة وسط البحر ففُقِدت ليلة الوضع »[٤١] .

---

(٣٨) أخبار مكة المشرفة للأزرقي : ٣٥٦/١ ، ٣٥٧ .

(٣٩) هو : القاضي العلامة عبد الواحد بن أبي بكر الأنصاري كان رئيس القنفذة وما والاها سعى به بعض حسدته إلى الشريف سعد بن زيد لسعيه للإصلاح بين فئتين من الأشراف ، فقبضه وقيده وألحق به بعض الأذى وهمّ بقتله لولا شفاعة الشافعين واختار الإقامة بنجد الحجاز وتردد إلى القنفذة لزيارة أصدقائه ، كان متمكناً من العلم ذكياً وله مؤلفات ، مات سنة ١٠٨٩ هـ ، باختصار عن ترجمته :
(البدر الطالع : ٣ الملحق : ١٤٣) . ويذكر العصامي سبباً آخر لقصته تتلخص في أنه كان ممن يتسمى بالقضاء وكان يتعاطى السكة خفية ويؤرخ لهذه الحادثة بسنة ١٠٧٨ هـ : (سمط النجوم العوالي : ٤٩٢/٤) .

(٤٠) البدر الطالع : الملحق : ١٤٣/٢ .

(٤١) سمط النجوم العوالي : ٥٠١/٤ ـ ٥٠٢ .

ويبدو أن هذه الكارثة أدت إلى تفرق بعض السكان وموت بعض آخر ، وأدى ذلك على ما نعتقد إلى تأخرها عمرانياً وتجارياً .

وفي نهاية القرن المذكور ومطلع القرن الثاني عشر إلى ما يقارب نهاية الربع الأول منه كانت كعادتها ملجأ لبعض الأشراف ومنطلقاً لبعضهم في غاراته على بعض أشراف مكة المكرمة[٤٢] ، وتعرضت بأسباب ذلك لكثير من المتاعب والنهب وخاصة في سنة ١١١٦ هـ ، عندما أطمع أحد الأشراف رجال القبائل السرورية والتهامية في نهب القنفذة[٤٣] . ويبدو أنها استمرت في فترات من هذا القرن على هذا المنوال تضعف وتقوى وتنعم بالراحة مرة وتروع بكثير من الغارات مرات .

كما يبدو أنها في نهاية هذا القرن قد نعمت بشيء من الاستقرار والتقدم العمراني ، حيث يذكر أحد المصادر أنه قد زاد عمرانها لما إتخذها محمد علي (١١٨٤ ـ ١٢٦٥ هـ)[٤٤] مرجعاً لأعماله في حملته الحربية على عسير[٤٥] . ولكن يبدو أنها لم تزل في فترات من القرن الثالث عشر الهجري ميدان معركة وساحة نزاعات وحملات حربية منها إلى مكة وإليها ، ومطمعاً لبعض الغارات التي كان يشنها عليها بعض القوى المتصارعة في الحجاز وتهامة ، وقد تعرض أهلها لكثير من المتاعب والمحن في خضم تلك الحملات والغارات[٤٦] ؛ إذ يجد فيها طلاب السلب والنهب موطناً خصباً لغاراتهم ، ورغم ذلك يظهر أنها كانت محافظة على جانب كبير من حياتها الاقتصادية التي يرفدها صادرات وواردات مينائها من الداخل والخارج على النحو الذي يصوره لنا العدد الكثيف من المخازن التجارية التي لا تزال قائمة وتعود في بنائها إلى القرن الثالث عشر الهجري .

---

(٤٢) أمراء البلد الحرام : (١٥١ ، ١٥٧ ـ ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٢)

(٤٣) المصدر السابق : ١٨٣ .

(٤٤) الأعلام : ١٩١/٧ .

(٤٥) المنجد : ملحق الأدب والعلوم : ٤٢٤ مادة : « قنفذة » .

(٤٦) أمراء البلد الحرام : (٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦ ، ٣٣٥ ، ٣٧١ ـ ٣٧٤) .

وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري كانت لا تزال ميدان تطاحن حربي بين القوى المتصارعة المحلية والخارجية كالحروب العثمانية ضد الحملات الحربية الإيطالية، ولا تزال السفن الحربية العثمانية التي قصفتها مدافع البارجات الإيطالية غارقة في مياه شاطىء البحر بجوار ميناء القنفذة من الجنوب منذ سنة ١٣٢٧ هـ .

وبقيت قاعدة لحملات العثمانيين وحلفائهم من أشراف مكة المكرمة في حروبهم وغزواتهم لتهامة وعسير، وقد تضمنت مذكرات القائد التركي سليمان شفيق كمالي عن أيام حكمه في المنطقة الكثير من المعلومات التي تصور الدور الخطير الذي لعبه موقع القنفذة وبلدتها في الحياة الحربية والسياسية إلى ما بعد الثلث الأول من هذا القرن بقليل[٤٧] ، وعندما دخلت في ظل الحكم السعودي الميمون نعمت بكثير من الرخاء مع الاستقرار ، وعاد ذلك على حياتها الاجتماعية والتجارية بالانتعاش والنمو والازدهار .

القنفذة في العهد السعودي

عندما أطل العهد السعودي الزاهر وأشرقت شمسه على الجزيرة العربية ، استمتعت هذه المدينة بإشراقة هذا العهد الميمون ، ونعمت في ظلاله كغيرها بنعيم الأمن والاستقرار ، ونشطت حركة مينائها التجاري ، وازدهرت تبعاً لذلك الحركة التجارية ، والحركة العمرانية ، وأصبحت عائدات مينائها تمثل مورداً مهماً للقطاع الخاص والعام .

وقد أشرنا إلى ما سجلته بعض الوثائق من تخصيص هذه الدولة مينائي القنفذة والليث قبل فتح جدة ، لأستقبال حجاج جنوب الجزيرة العربية ، وحجاج الهند خاصة ، وبذلك لعب هذا الميناء دوراً مهماً كباب بحري لمكة

---

(٤٧) انظر : بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق كمالي : مجلة العرب ، ابتداء من الجزء التاسع السنة الخامسة ، ربيع أول ١٣٩١ هـ ، فما بعد .

المكرمة من الجنوب في تلك الفترة ، وفي ظل هذه الدولة أسهمت هذه البلدة بمينائها في إثراء الحياة التجارية بمنطقتها خاصة ، وفي حركة الحياة التجارية بالحجاز عامة ، حتى أصبح اسمها يطلق على أحد الشوارع بمكة المكرمة منذ زمن(٤٨) ، وأسهمت في المجال التجاري بمصدراتها إلى مدينة (جدة) أيضاً حتى أصبح المطلع يسمع ويقرأ عن اطلاق اسم (زاوية القنفذية) التي تقع في جزء من أرقى مواقع النشاط التجاري في قلب مدينة جدة(٤٩) . ويبدو أن هذه التسمية تعني مكان مجتمع تجارة وتجار القنفذة ، أي رجال البحر الواصلين منها بأصناف البضائع إلى فرضة جدة ، ويظهر أن واردات وعائدات جمارك ومرفأ هذه البلدة قد لعبت دوراً مهماً في واردات هذه الدولة في بداية حكمها لكثرة وتنوع الواردات من أصناف البضائع التي تحملها إليها السفن الشراعية القادمة من موانىء جنوب الجزيرة وشرق إفريقيا ، وبعض موانىء الخليج العربي والموانىء الهندية على ما يذكره لنا بعض ربابنة البحر المحليين ، وبعض رجالات العمل في هذا السلك ، وما شاهدناه في أواخر حياة هذه الحركة التجارية التي كانت نشطة نشاطاً ملحوظاً يصوره احتياج الكثافة السكانية في الجبال السروية والتهامية المتدلية على هذا الميناء من الشرق من أصناف المستوردات التي تلزمها في حياتها ، كما يصوره هذه الحركة النشطة وما كانت تغمر به فرضتها من مختلف أصناف المنتجات الزراعية والحيوانية والمصنوعات المحلية الواردة من هذه السهول والجبال .

وقد اعتور هذا النشاط منذ حوالي ثلاثين عاماً كثير من التأخر الذي نجم عن استعمال النقل البري بواسطة الشاحنات السيارة ، وترتب على ذلك تعطل نشاط مينائها وانعكس على حياتها التجارية بالخمول والضمور . . ولكن ظلت هذه البلدة بطبيعة وظيفتها حاضرة لمنطقتها حية بفضل الخدمات الحكومية التي

---

(٤٨) ويسمى زقاق القنفذة وهو في الهجلة بمكة المشرفة .

(٤٩) تاريخ مدينة جدة : ص : ٤٥٥ ، « زاوية القنفذية هو اسم أحد الشوارع القديمة المشهورة في مدينة جدة والشارع المسمى اليوم (شارع سوق الندى) » ، انظر : المصدر نفسه الصفحة نفسها .

تقدمها فروع مصالح الدولة .

على أن من أنشط حركة الخدمات الحكومية بهذه البلدة خاصة وبالمنطقة الإدارية عامة ، الحركة التعليمية في إطار النهضة التعليمية والثقافية التي تشمل كل أرجاء المملكة . ومن أبرز الخدمات الحكومية أيضاً خدمات الطرق البرية الممهدة ، فقد انتهى ربط هذه المدينة بكل من مكة المكرمة وجدة بالخط الرئيسي المعبد ، كما ربطت بالقطاعات الجبلية الداخلية بالخط المعبد المتجه إلى تهامة عسير فمنطقة جازان ، كما أن الخط الساحلي بينها وبين جازان لم يبق من تعبيده ، سوى حوالي تسعين كيلاً[1] .

المعالم الأثرية

يمكن أن يعد من المعالم الأثرية القديمة المبنى الأسطواني المسمى (الطاحونة) حيث بني أو استعمل لطحن الحبوب بمحرك يعتمد على الأشرعة والهواء ، كما يعرفه بذلك السلف ونقله إلينا الخلف ، وقد بُني بالحجر المسمى « الحجر السطايحي البحري » وهو حجر بحري قوي التماسك والصلابة . يبلغ قطر هذا المبنى سبعة أمتار تقريباً ، كما يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار تقريباً وكان يستعمل حتى وقت قريب لتخزين بعض مواد الوقود السائلة كالكاز والبنزين والزيوت التي كانت تمون بها سيارات البريد المستمر بين مكة المكرمة وجدة وجازان إلى القنفذة ومنها إلى هذه المدن ولذلك سمي مؤخراً (الكازخانة) .

ويظهر أن تاريخ هذا المبنى يعود إلى أواخر القرن الثاني عشر ، أو بداية الثالث عشر ، ويتميز هذا المبنى بمتانة البناء وصموده لمدة تزيد ، على ما يبدو ، عن مائتي سنة دون أن يتداعى بناؤه ، ولعل ذلك يعود إلى إحكام بنائه وضخامة وقوة الأحجار التي نفذ بها ، وشكله الأسطواني الذي ساعده على مقاومة تأثير تيارات الرياح رغم وقوعه في مكان مكشوف أمام هبوب الرياح السائدة قريباً من شاطىء البحر الأحمر بما لا يزيد عن المئة متر .

---

(١) سيكون جاهزاً في أول سنة ١٤٠٣ هـ .

كما نستطيع أن نعد من المعالم الأثرية عشرات المخازن التجارية التي يتكون منها الجزء الذي يمثل قلب هذه المدينة ، الذي أصبح أكثره خراباً ، حيث تحولت تلك المخازن إلى أشباح بلا أرواح أو أطلال خاوية على عروشها ، بعد تدهور وتوقف حركة ميناء القنفذة وموت نشاطها التجاري .

وقد بنيت من حجارة الشّعاب المرجانية وانعكس في بنائها ما بلغته هذه البلدة من الثراء والسعة ، فزينت واجهات كثيرة من هذه المخازن بالتقويسات التزيينية ، ونقشت أعتابها العلوية بكثر من الزخارف النقشية ، وكتابة العبارات الدعائية ، وعبارات تاريخ التأسيس أو تمام البناء ، وقد وجدنا أقدم تاريخ فيها يعود إلى سنة **١٢٧١** هـ ، ولا نعتقد بأنه أقدم تاريخ مكتوب على هذه المخازن .

ويعد من المعالم الأثرية بعض البيوتات السكانية القديمة المبنية بحجارة الشعاب المرجانية أيضاً ؛ وتتميز هذه البيوتات أيضاً بالزخرفة التقويسية المموجة والتربيعية المتكررة ، كما تتميز بعض مداخلها الرئيسية بوجود تلك التقويسات ونواتىء الأحجار المهذبة على شكل رأس السهم الهندسي . وكما انعكس الثراء على شكل بناء المخازن التجارية في هذه البلدة فكذلك انعكس على تلك البيوتات القديمة ؛ ويدل ذلك أيضاً على ولع سكانها بالنواحي الجمالية في تزيين مبانيهم ومبلغ ما وصلوا إليه من رقي حضاري .

ظاهرة اجتماعية

ولأهل القنفذة ولع بتزيين صدور منازلهم من الداخل بشتى أنواع التحف والأواني المنزلية وتجميلها بصور الطبيعة والزهور والمزهريات الصناعية ، حتى ليخيل للناظر إليها وهو داخل الغرف المنزلية بأنه في معرض تجاري لهذه التحف والأواني والمزهريات والزهور ، ولا يتغالون أثمانها وكأنهم في ذلك حريصون على أن ينفذوا الحكمة الفنية القائلة : (إذا كان عندك قرشان فاشتر بأحدهما خبزاً وبالآخرة زهرة) . كما أنهم يقومون بتزيين بعض الرفوف الداخلية والعتبات العلوية بالمنازل وكذلك واجهات الأبواب الرئيسية والنوافذ بالزخارف النقشية

الهندسية والتشجيرية الرائعة ، وقد برع في هذه الصناعة قديماً وحديثاً بعض النجارين المهرة . ولذلك فقد تغالوا في اقتناء أنواع من الصناديق المصنوعة من السيسم المزخرفة بالنقوش التشجيرية والتلبيسات المعدنية المصنوعة في الهند كما يشاع ،وكذلك الأسرة الفاخرة في صناعتها وزخارفها وأنواع من التخات والدواليب المجملة بالألوان والمرايا وغيرها . ويدل ذلك كله على روح الذوق الجمالي الذي نعتقد أنه أحد مظاهر الروح الحضارية الأصيلة التي يتمتع بها سكان هذه البلدة جيلاً بعد جيل نتيجة للحياة المتحضرة التي أوجدها ثراء مدينتهم وعطاؤ ها الاقتصادي .

ويبدو أن هذا الولع الجمالي شائع لدى سكان بقية المدن البحرية المجاورة ، وقد ساعد عليه ما كان يجلبه إليها قديماً رجال البحر من تلك التحف والأواني والأدوات من شتى الأمصار الخارجية ، كما ساعد على ذلك ما عليه سكان المدن البحرية منذ القدم من الثراء واليسر والدعة .

النشاط السكاني

تعمل مجموعة كبيرة من سكان (القنفذة) في الأعمال الحكومية تبعاً لتوفر كافة فروع مصالح الدولة ، كما تشتغل مجموعة من السكان في أعمال البيع والشراء ، أو ما يعرف بتجارة القطاعي ، أما بالنسبة للأعمال التجارية الكبرى بمفهومها اليوم المعتمدة على الاستيراد والتصدير الخارجيين فلا يوجد بها من ذلك شيء ، وقد ألمحنا إلى توقف عجلة النشاط التجاري الخارجي بها منذ ما يقرب من ثلاثين سنة حينما تعطلت حركة النقل البحري بها بسبب النقل البري على الشاحنات السيارة براً .

وتعمل فئة من السكان في صيد الأسماك ، وقد نشطت أعمال هذه المهنة في هذه البلدة خاصة وبقية المراسي الصغيرة ، ومصائد الأسماك القريبة منها بشكل ملحوظ على أثر المساعدات المادية والعينية السخية التي تبذلها الدولة لصائدي الأسماك ، ونشطت تبعاً لذلك صناعة قوارب الصيد الصغيرة ؛ على أن

صناعة هذه القوارب أصبحت في أيد محدودة جداً من مهرة صناعها .

وقد اشتهرت هذه البلدة بصناعة السفن الشراعية متوسطة وصغيرة الحجم في خلال القرون الماضية وإلى ما قبل السبعينات من القرن الماضي حيث كانت تعمل في نقل البضائع بين الموانىء القريبة منها ، وفي نقل أحجار الشعاب المرجانية التي تعد من الشعاب البحرية القريبة لاستعمالها في أغراض البناء وإعداد بعض مواده كالنورة البلدية .

وبدأت هذه الصناعة في التقلص منذ السبعينات الماضية حتى استقرت على صناعة قوارب صيد الأسماك الصغيرة وأثْرت صناعتها المساعدة الحكومية السخية .

وتشتغل فئة محدودة العدد أيضاً في أعمال البناء المعماري بالحجر الشعبي ، وعندما توقف استخراج هذا النوع من الحجارة ، وحل محله استعمال الطوب الأسمنتي تحولت هذه الفئة إلى الاشتغال بهذه المادة ، ولكنها لم تخرج في تصميم وتنفيذ مبانيها عن الطراز الشعبي المألوف بما فيه من الزخارف القوسية والتربيعية التي تظهر في واجهات وبعض جوانب البيوتات من الداخل والخارج .

من الأماكن المشهورة التي اتخذها سكان هذه البلدة متنفساً ومتنزهاً مكانان لا يزال الناس يرتادونهما هما :

(١) جبل القنع .
(٢) وجزيرة أم القماري .

ونتحدث في التالي باختصار عنهما :

(١) جبل القنع : ويقع هذا الجبل جنوب شرقي القنفذة بعشرة أكيال ويتكون من امتداد صخري جيري التربة ، ومرتفع رملي ناصع البياض ، ويقع امتداده على جزء من شاطىء البحر الأحمر لمسافة حوالي ستة أكيال . لكن منطقة التنزه هي الجزء الشمالي منه لمسافة لا تزيد عن الكيلو ونصف الكيلو ،

وفي هذا الجزء منه تنحصر بين شاطىء البحر وسفح الجبل مجموعة من أشجار النخيل على طول امتداد هذا الجزء يزين أسفل جذوعها بساط أخضر من الحشائش وأشجار الحلفاء ، ويمثل هذا المتنزه لوحة بديعة من الطبيعة الساحرة في هذا الموقع ؛ ولذلك يخرج إليه بعض السكان طلباً للراحة والتنزه والاستمتاع بمنظره الخلاب وبممارسة هواية صيد الأسماك على حافة هذا الشاطىء الجميل .

(٢) جزيرة أم القماري : وهي تقع إلى الجنوب من مدينة القنفذة بحوالي خمسة وعشرين كيلاً ، وتبعد عن حرف الشاطىء في داخل البحر بحوالي ثلاثة أكيال . يبلغ قطر استدارة هذه الجزيرة حوالي ثلث الكيل ، وتكتظ هذه الجزيرة بأشجار الأراك ، وقليل من أشجار الحمض والصاب ، وتمتلىء هذه الأشجار بالآلاف المؤلفة من طيور القماري ، وخاصة في مواسم الزراعة ولذلك يخرج راغب النزهة والصيد إليها في مواسم معينة للنزهة والاستمتاع بالصيد ، ولذلك سميت باسمها هذا (أم القماري) .

على أن كثيراً من سكان القنفذة يجدون في الأرض الزراعية القريبة منها إبان قيام الزراعة فيها مجالا واسعاً للنزهة وللترفيه والاستمتاع بجمال الطبيعة الخضراء . انتهى بحث الاستاذ الفقيه .

وادي قنونا[1]

وادٍ فحلٌ من أودية تهامة الحجاز اليماني ، تسيل أعلى مساقط مياهه من سراة خثعم وبلقرن ، في الجنوب الغربي من مدينة الباحة ، ثم ينحدر غرباً ماراً بين وادي الأحسبة شمالاً ـ بينهما وادي لومة ـ وبين وادي يَبة جنوباً، حتى يدفع على مدينة القنفذة فيفرش سيله جنوبها وشمالها ثمَ يصب في البحر ، وتكون فرشته ثلاث شعب . وادي الحربي ، ووادي رحمان ، ويصبان شمال القنفذة ، ووادي هارون ويصب جنوب القنفذة .

ولذا فإذا قيل : وادي القنفذة ، فهو وادي قنونى .

وتصب فيه من السراة ومن جبال تهامة أودية كبار ، أهمها أربعة أودية :

١ ـ وادي رحمن : يصب فيه من اليمين في أعلاه ، وسكانه : بنو سُهَيْمْ من بلقرن ، يشركهم فيه من الغرب بعض بني المنتشر من خثعم ، وبعض بني بُحَيْر من بلقرن أيضاً .

٢ ـ وادي الخَيْطَان : وهو أطول مدىً من سابقه ، لأن منابعه من شعوف السروات ، يصب في قنونى من الشمال ، ويسكنه العوامر من خثعم في أعلاه ، ثم بلعريان (بنو العريان) ـ من خثعم أيضاً ـ أسفل من العوامر، ثم يليهم بعض

(١) معظم معلوماتنا عن هذا الوادي أملاها الأستاذ حسن بن ابراهيم الفقيه . وانظر الرحلة الثانية في هذا الكتاب ففيها معلومات غير هذه .

بني المنتشر من خثعم أيضاً ، أي أن عددا من قبائل خثعم تسكن كل وادي الخيطان وجنباته .

٣ ـ وادي الحَفْيان : وهو امتداد وادي قنونى في السراة ، يصب من شُعَف خثعم ، ويسكنه : في أعلاه آل عَجَّاج من العوامر من خثعم ، ثم يليهم بعض آل كثير من العليان من خثعم أيضاً ، ثم أكثر قبيلة المنتشر من خثعم كذلك .

وفيه قرى كثيرة ومزارع بالري ومطرية كثيرة ، وكذلك الحال في الواديين السابقين .

٤ ـ وادي بِيَان : بكسر الباء وتخفيف الياء ، كذا ينطقونه ، ولا شك أن أصل الاسم أما بَيّان ، أو بَيَان .

يسيل هذا الوادي من جبل ثُمَيْدة وما حوله ، ثم يصب في قنونى من الجنوب ، ويسكنه : في منابعه بطون من بلحارث من بلقرن ، ولهم فيه قرى ومزارع .

ثم تجتمع هذه الأودية الأربعة وروافدها في مكان يمتد بين غرب قرية المُعَقَّص وشرق قرية ناخسة، وكلاهما لبني المنتشر ، وبينهما ما يقرب من ٣ إلى ٤ أكيال ، ومن هذا الموضع يبدأ تشكل وادي قنونى ، ومن هذه المنطقة يطلق عليه اسم قنونى ، وهذا هو صدر قنونا إلى أن يخرج من بين الجبال ، وطوله من نقطة تشكّله إلى أنْ يدفع في السهل يَقرب من (٥٥) كيلاً .

فإذا تشكل وادي قنونا ترفده أودية أصغر من السابقة ،منها :

١ ـ وادي طَلْعَة : يسيل من سفوح ثُمَيدة الغربية ، فيصب في قنونا من الجنوب .

٢ ـ وادي ذُرَحَة : يلي سابقه من الجنوب .

٣ ـ وادي الناصف : يلي سابقه من الجنوب .

٤ ـ وادي الحارَّة : من وسط سفوح ثُمَيدة الغربية ، ويلي ما قبله .

٥ ـ وادي مَعْلَمة : يوازي السابق من الجنوب عن قرب .

٦ ـ وادي جَبْجَب : بتكرار الجيم والموحدة ، إلى الجنوب من سابقه .

٧ ـ وادي شِسْع : وهو آخر روافد قنونا من الجنوب ، يسيل من سفوح ثُميدة الغربية الجنوبية ، ومن سفوح جبل ثربان الشمالية وبعض الغربية .

وثُرْبَان : جبل بين قنونا وحلي ، يشرف شرقاً على بلاد بارق ، وجنوباً على منطقة (سهول) التي حدثت فيها المعركة الشهيرة على جيش الحسين بن علي ، وسوف يأتي معنا في آخر الرحلة .

سكان وادي قنونا

وادي قنونا وادٍ كبير ، كما مرّ معك ، له سواعد متعددة ، ولذا فإنه تسكنه قبائل عديدة ، منها :

١ ـ بطون عديدة من خثعم ، وقد مرت معك في روافد قنونا العلى .

٢ ـ بطون من بلقرن ، قد مرت هي الأخرى ، ورحلتنا في العودة مرت بديار هذه القبائل فسترى لها ذكر في آخر الرحلة ، وفي الرحلة الثانية في آخر الكتاب .

٣ ـ قبيلة بني بُحَيْر من بلقرن ـ أيضاً ـ تسكن صدر قنونا بعد تشكله ، وتمتد ديارها مغربة على طول الوادي وجنباته مسافة ثلاثين كيلاً ، ولهم فيه قرى ومزارع عديدة[١] .

٤ ـ ثم قبيلة بني عيسى من حرب وبعض قبيلة (حرب)[٢] ، وتمتد في هذا الوادي إلى حد السهل من الجبل ، وتقدر مسافة بلادهم على طول الوادي بخمسة وعشرين كيلاً .

٥ ـ ثم يلي قبيلة حرب قبائل بني زَيْد في الساحل ، وتمتد قراهم من حوز الجبل مغربة إلى ما قبل مدينة القنفذ بحوالي ستة أكيال ، وهي مسافة تقرب من

---

(١) انظر تفصيل فروعها في الرحلة الثانية من هذا الكتاب .

(٢) هذا اسم قبيلة من حرب تشتهر بهذا الاسم .

(٣٠/ كيلاً .) وقاعدتهم (أحد بني زيد) وقد يسمى أحد المشعَل ، أما مشيخة القبيلة فبدار الخبت من قرى القاع ، وبنو زيد قبيلة كبيرة من بقايا كنانة على الغالب ، وستأتي .

٦ ـ بطون من قبائل ربيعة (ربيعة عسير) تسكن ضواحي القنفذة الشرقية .

بنو زيد

قبيلة متوسطة تسكن وادي قنونى الساحلي وجنباته ، ولها أحلاف عديدة ، ومعظمها لا شك من كنانة ، فديار كنانة ـ كما سيأتي ـ كانت تمتد من وادي بيض في الجنوب إلى وادي ينبع في الشمال .

وتقسم قبيلة بني زيد اليوم إلى :

١ ـ المراحبة : وهم أكبر فخوذ بني زَيْد ، ويتفرع منهم :
الجُلَمة ، وآل زياد ، وآل شدّاد ، والدعاشيش ، وآل زيلع ، وهم غير الزيالعة ، والحُلَسة .

٢ ـ آل حمود : سكان قرية رحمان شمال القنفذة بثمانية أكيال ، ونسبتهم رحماني وكانت فيهم مشيخة بني زيد ثم انتقلت إلى المعايدة .
واسم رحمان قديم في كنانة ، ولا زال في بني شعبة جنوب مكة .

٣ ـ المعايدة : بالمثناة ، وكانت فيهم شيخة بني زيد .

وينضم إلى بني زيد في مشيختهم :

١ ـ الزيالعة : من بني عقيل بن أبي طالب ، رضي الله عنه .
٢ ـ المشاييخ : وينتسبون إلى الأنصار .
٣ ـ الفقهاء : (فقهاء العَمُودية) والعمودية : قريتهم .
٤ ـ السادة الفراحية : بالفاء (آل الفرح) وسكناهم أعلى فرشة وادي قنونا وحدب الخَيْل ، حوز السهل من الجبل .
٥ ـ السادة الطوالبة : آل عبد الواحد ، وآل دَمْلِيل ، وهم سكان قرية الثاية : شمال شرق القنفذة بحوالي ثمانية أكيال .

٦ ـ السادة أهل قرية دار الوادي : ويذكر بعضهم أن جدهم (محمد غَرْب) قدم من بلاد المغرب ، ويسمَّون (الغرابية) .

٧ ـ الشُّطرة . والنسبة إليهم شُطَيْرِي ، ويذكرون أنهم أتوا من نجد .

٨ ـ المغاربة : ولهم قريتان : البُرْمة والرُّجْبان ، ويذكرون أن أصلهم من المغرب ، وهم سود البشرة ، ويمتهنون صناعة البرام وعموم الفخار .

٩ ـ الصفاصيف : فرع يسّكن قرب القنفذة شمالاً بحوالي ستة أكيال . ولعلهم من بطون كنانة التي تناثرت .

١٠ ـ الثعالبة : وهم سكان أم الجرم شمال القنفذة إلى الشرق بحوالي أربعة أكيال ، ومحلتهم التي نزل فيها الحسين بن علي سنة **١٣٢٩** هـ ، وكانت أمّ الجرم هذه إحدى موارد المياه التي يستقي منها أهل القنفذة .

وهؤلاء يرجع نسبهم إلى الأشراف الثعالبة الذين في الغالّة .

١١ ـ السَّوابطة : ويسكنون العريق : قرية بجوار الثاية من الشرق بحوال كيل واحد .

أهم القرى في قنونى

أهم القرى في قنونا هي التي مرت أثناء بحث السكان ، بالإضافة إلى مدينة القنفذة .

أقوال المتقدمين في قنونا

لِقَنَوْنَى ذكر في الأدب القديم غير خامل ، ويكاد ينحصر ذكره في سببين :

أولهما، وجود سوق حُبَاشة الجاهلي فيه ، على ما سيأتي .

وثانيهما ، وفاة خندق الأسدي ، ـ صديق كُثيّر ـ فخلده كثيِّر في شعره ، وذكر قنونى .

جاء في معجم البلدان : قَنَوْنى[١] ، بفتح أوله ، وثانيه ، ونونين ، بوزن فعوعل ، من القنا أو قنونى من القنّ ، كما ذكرنا قَرَوْرَى :

---

(١) مادة قنونى .

من أودية السراة ، يصب في البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة ، قرب حَلْي وبالقرب منها قرية يقال لها (يَبْت) ولذلك قال كثير يرثي خندقاً .

بوجه أخي بني أسدٍ قَنَونَى إلى يَبْتٍ إلى برك الغِمَادِ

فيما تقدم :

١ ـ كذا ضبطه ياقوت بالقصر ، وبالألف اللينة ، ونحن نكتبه اليوم بالألف الطويلة ، وأرى هذا أحسن لمنع الالتباس على القارىء .

٢ ـ يَبْت هذه صوابها (يَبَة) وستأتي في بحثٍ لاحق وتأتي شواهد على ذلك .

وبنفس المادة يقول ياقوت :

كان خندق الأسدي صديقاً لكثيِّر وكان ينال من السلف ، يسُبُّ أبا بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، فقال يوماً : لو أني أصبت رجلاً يضمن لي عيالي بعدي لقُمت في هذا الموسم وتكلمت ، فقال كثيِّر فللّه عليّ عيالك من بعدك ، فقام خندق وسبهما ، فمال الناس عليه فضربوه حتى أفضوه إلى الموت فحمل إلى منزله بالبادية فدفن بموضع يقال له قَنَوْنَى .

فقال كثيِّر يرثيه[1] :

أصادِرَةٌ حُجّاج كعب ومالك[2] على كل عَجْلى ضامِرِ البطن محنقِ
بمرثيّة فيها ثناءٌ مُحَبَّرٌ لأزهرَ من أولاد مُرَّة معرق
كأنّ أخاه في النوائب مُلْجَأٌ إلى عَلَمٍ من ركن قُدس المنطَّقِ
ينال رجال نفعِهِ وهو منهُمُ بعيدٌ كعيُّوق الثريا المعلّق
تقول إبنة الضِّمْريّ مالك شاحبٌ ولونك مصفرٌ وإن لم تخلّقِ
فقلت لها لا تعجبي من يمُتْ له أخٌ كأبي بدرٍ وجدّكِ يُشفقِ
وأمرٍ يهُمّ الناس غبُّ نتاجِهِ كغيثٌ وَكربٍ بالدواهي مطرّقِ
كشفت أبا بدرٍ إذ القومُ أحجموا وعضّتْ ملاقي أمرِهم بالمحنّقِ

---

(١) ديوان كثير تحقيق إحسان عباس ص ٢١٥ وما بعدها .

(٢) كعب خزاعة ، ومالك كنانة .

وخصمٍ أبا بدرٍ ألدّ أبَتُّهُ ... على مثل طعمِ الحنظَلِ المتفلِقِ
جزا اللهُ خير خندقاً من مكافىءٍ ... وصاحب صدقٍ ذي حفاظ ومصدقِ
أقام قناة الود بيني وبينه ... وفارقني عن شيمة لم تُرَنَّقِ[1]
حلفتُ على أن قد اجنتك حفرةٌ ... ببطن قنونى لو نعيشُ فنلتقي
لألفيتني بالودّ بعدَك دائماً ... على عهدِنا إذْ نحن لم نتفرَّقِ
إذا ما غدا يهتز للمجد والندى ... أشمُّ كغصنِ البانة المتورق
وإني لجازٍ بالذي كان بيننا ... بني أسَدٍ رهط ابن مرّة خِندقِ

وإنما أتيت بكامل القصيدة لأعطي فكرة عن الممدوح ، وإنه (خِندِقٌ) وليس (خِنْدِف) كما يظهر ذلك واضحاً من آخر بيت .

ومن مرثية أخرى ، يقول كثيِّر[2] :

شجـا أظعـانُ غـاضـرَةَ الغـوادي ... بـغيـرِ مَـشُـورَةٍ عـرضـاً فـؤادي
أغَـاضِـرَ لـو شهـدتِ غَـدَاةَ بنتُمْ ... جُنُـودَ العـائـداتِ على وسـادي

إلى أن يقول :

عـداني أنْ أزورك غَـيْـرَ بُـغض ... مـقـامُـك بينَ مُصحفـةٍ شـداد
وإنـي قـائـل إنْ لـم أزرهُ ... سـقت ديـم السّـواري والغـوادي
محـل أخي بني أسـدٍ قَـنـونـا[3] ... إلـى يَـبَـةٍ إلـى بِـرْكِ الـغِـمَـادِ
مُـقِيـمٌ بـالـمـجـازة مـن قـنـونـا ... وَأهْـلُكَ بـالأجـيـفـرِ والـثّـمـادِ[4]

ويورد ياقوت لعبد الله بن ثور البكائي[5] :

ولمـا رأيتُ الحيَّ عمـرو بن عـامـر ... عيـونَهُـمُ بـا بني أمـامـة تـذرِفُ

---

(١) ترنق : تكدر .

(٢) ديوان كثير : ٢١٩ .

(٣) أوردنا البيت عن ياقوت هكذا (بوجه أخي بني أسد . .) وفي الديوان (محل أخي بني أسد) وهذا أوجه .

(٤) الثماد : جمع ثميدة ، وقد تقدمت معنا .

(٥) معجم البلدان (قنونا) .

أنخنـا فـاصلحنـا عليهـا أداتنـا ، وقُلْنا : ألا اجزوا مـدلجاً مـا تسلَّفوا
فبتنـا نهـزّ الـسَّـمْـهـرِيَّ إليـهُمُ ، وبئس الصبوح السمهريُّ المثقفُ !
علونـا قَنَوْنى بـالخَميس[1] كمـا أتى سُـهـاً فبـدا من آخِـرِ اللَّيْـلِ أعـرفُ

أما البكري في (معجم ما استعجم) فقد ضبطه كضبط ياقوت ، ولعل ياقوت أخذ عنه ، ثم أورد بيتاً واحداً من قافية كثيِّر .

أما الأزرقي في أخبار مكة ، وهو سابقهما فقد ذكره هكذا (قَنَونا) كما سيأتي في سوق حُبَاشَة[2] .

وذكره الهمداني بالضبطين (قنونى وقنونا) مرة بالأولى ومرة بالثانية ، ولم يأتِ فيه شيء[3] .

ولم يذكره صاحب المفيد .

وله شاهد في يَبَة ، الآتي .

---

(1) الخميس : جحفل من الجيش .

(2) انظر ذيل ص ١٤٨ بعد هذا .

(3) صفة جزيرة العرب : ٣٣٣ ، ٣٤١ .

سوق حُبَاشَة

كانت للعرب في جاهليتهم أسواق كثيرة يحرصون على حضورها كل عام ، وتقع حمايتها على القبائل التي تقع هذه الأسواق في ديارها ، وكان حظ الحجاز من هذه الأسواق كبيراً ، فكان فيه منها : عكاظ ومجنة وذو المجاز وقرح[1] ، واخيراً حُبَاشَة .

وكان حُبَاشة هذا آخر سوق اندثرت ، إذ بقيت عامرة إلى سنة ١٩٧ هـ ، بينما اندثر بظهور الإسلام كل سوق غيرها .

تأريخ وسبب اندثار سوق حُباشة

جاء في أخبار مكة لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي المتوفى نحو (٢٥٠ هـ)[2] ، قوله : وهي آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية ، حتى قتلت الأزد والياً كان عليها من غني[3] بعثه داود بن عيسى بن موسى (العبّاسي) في سنة سبع وتسعين ومائة ، فأشار فقهاءُ مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت إلى اليوم[4] .

---

(١) انظر عنها معجم معالم الحجاز .

(٢) الأعلام : محمد .

(٣) غني بن أعصر .

(٤) أخبار مكة : ١/١٩١ ، ١٩٢ .

قلت : يبدو من هذا النص أن الأزرقي كان مدركاً تخريبها ، وأنه قد حصل العلم ولذا أرخ لها بما يغني عن الالتفات إلى غيره ، فهو أقدم من كتب عنها ، وكل ما جاء بعده ناقل عنه في اعتقادي ، ولذا فإنّا لا نجد في سبب وتأريخ تخريبها وهجرها ما نجده في أسواق هجرت قبل أن تبدأ العرب التدوين .

ويقول أبو عُبيد البكري في معجمه :[1] الحُبَاشَة : بضم أوله ، والشين المعجمة ، على وزن فُعالة ، ويقال (حُبَاشَة) بدون ألف ولام : سوق للعرب معروفة بناحية مكة ، وهي أكبر أسواق تهامة ، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة . قال حكيم بن حزام : وقد رأيتُ رسول الله ﷺ ، يحضرها ، واشتريت فيها بزّاً من بزّتها . وهي من صدر قنونى ، أرضها لبارق .

أما ياقوت فقد ضبط الاسم وذكر اشتقاقه[1]، وحضور رسول الله ﷺ ، إياه ثم لم يأت بما يفيد ، ولا تثريب عليه إنما ذكر ما وصل إلى علمه .

أين يقع سوق حباشة ؟

قال الأزرقي[2] - أثناء سياق روايته - : وحُبَاشَة سوق الأزد وهي في ديار الأوصام من بارق ، من صدر قنونا وحلي ، من ناحية اليمن وهي من مكة على ست ليال .

قلت : هنا نقاط تحتاج إلى مناقشة .

١ - قوله : من صدر قنونا وحلي ؛ المكانان لا يمكن جمعهما ، فهما واديان يتباريان وبينهما عشرات الأكيال ، فهو إمّا من صدر قنونا أو صدر حلي .

٢ - نص البكري على أنه من صدر قنونا .

٣ - أجمعت النصوص أنه في ديار بارق ، وديار بارق من حلي وليست من قنونا ، ولا أعتقد أنهم كانوا ينزلون قنونا ثم أزيحوا عنها ، لأن كل ما جاورهم من ديار هي للأزد يمين بارق وشمالها ، وبارق أزدية ، وكل هذه القبائل لا زالت في منازلها القديمة .

---

(١) حباشة .

(٢) أخبار مكة : ١/١٩١/١٩٢ .

فهذا مشكل من عدة وجوه :

أولاً ـ لا يمكن ـ كما قدمنا ـ الخلط بين صدر قنونى وصدر حَلي .

ثانياً ـ يصعب الجمع بين بارق وقنونا .

ثالثاً ـ ليس مع بارق إلاّ حلي .

٤ ـ خالف أبو عُبيد محمداً الأزرقي في المدة التي تُقضى في السوق ، فقال : الأزرقي : هي ثلاثة أيام ، وقال أبو عُبيد : بل ثمانية أيام .

وأرى قول أبي عُبيد هنا أرجح ، إذ ليس من المعقول أن يجتمع التجار كل سنة مرة واحدة ثم لا يقضون سوى ثلاثة أيام ، فهو وقت غير كاف .

الأستاذ حسن يصر على أنه في قنونا

أخي الأستاذ حسن بن ابراهيم الفقيه ، عالم آثار وباحث مدقق ، ويعرف هذه المنطقة شعباً شعباً وجبلاً جبلاً ، وعندما ناقشته في موقع سوق حُبَاشة ، وأشرت إلى مكان من حلي رأيته مظنّة لمثل هذا الموقع ، أكد لي أن الموقع في قنونا وأنه يوشك أن يضع يده على البرهان القاطع ، فقال :

استنتج من القراءات والمشاهدات التي قمت بها ميدانياً ، أن سوق حباشة الذي أشار إلى موقعه المؤرخون ، وخاصة الأزرقي والبكري ، يقع في بداية تكوّن وادي قنونا بعد اجتماع الأودية الأربعة المذكورة في بحث قنونا ـ وادي رحمان ، ووادي الخيطان ، ووادي الحفيان ، ووادي بيان ـ جنوب غربي قرية الفائجة بحوالي (٤) أكيال ، شرق المحلة المعروفة بالحوائر في بلاد بلقرن ، وبلحارث منهم خاصة . ثم يقول : والناس هناك يسمون هذا الموضع السوق ، وينطبق عليه إلى حد كبير التحديد الجغرافي في القديم ، والآثار الموجودة المشاهدة بما في ذلك من قبور وفخار وبعض آبار ، حتى المباني القديمة .

على أنه لا يزال يتحرى ويتأكد لإكمال البحث .

قلت : هذا خبر جيد ، وأعتقد أنه إذا لم يعثر عليه الفقيه فلن يعثر عليه غيره ، فله من المعرفة في هذه الديار وأهلها ما لا يتيسر لغيره .

وسألته عن الأوصام من بارق . فقال : لا يعرفون الآن .

وفي رحلتي الثانية من هذا الكتاب حرصت على رؤ ية المكان الذي ذكره الفقيه ، غير أنني لاحظت أن سوقاً كهذا يجتمع فيه العرب من كل أقطار الجزيرة يحتاج إلى موقع أوسع من هذا ، كما أن هذا المكان منحرف عن الطرق وخاصة طريق العرضية الذي أكّد أهل الديار أنه قديم ، ولو لم يؤكد أخي الفقيه هذا الموقع لقلت : إن المعقّص قمنة للسوق إذا صح وجوده في قنونا وأراه يصح .

اليوم الثالث للرحلة ٦ صفر ١٤٠٣ هـ

بعد تناول طعام الإفطار في منزل الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه ، وكنا على موعد من الليلة البارحة بأن يرافقني إلى حلي ، فخرجنا في الساعة التاسعة من مدينة القنفذة جنوباً ، وكنا على دعوة من الأستاذ سالم بن عبد الله مدير ثانوية قوز أبا العير ، على أن نشرب القهوة عنده فقط .

أعطيت سيارتي الأخ جابر القرني ، وركبت مع الأستاذ حسن ، وخرجنا في طريق ترابي معظم أجزائه تحت التمهيد ، وعلى قرابة عشرة أكيال من القنفذة مررنا ببئر أم الدبا التي ذكرها الشريف شرف البركاتي في رحلته ، وهي بئر منقورة في الصخر لا تزيد فوهتها عن ٧٠ سنم ، واعتقد أنه لا يخرج منها دلوان في آن واحد ، ولا أعرف كيف كان يستقي منها ذلك الجيش ، وماؤ ها على أقل من قامة حين وردناها ، وهي قريبة من البحر ولذا فماؤ ها ليس عذباً .

ثم أشرفنا على جبل (القِنْع) الذي يجاور البئر من الجنوب ، وهو نشفة ناتئة على الشاطىء جميل الموقع يكشف مسافات شاسعة من البحر ، وعلى حرفه مما يلي البحر خيط من النخل الحسن النمو وقد طال فصار يدرق بعض مياه البحر عن الناظر .

وقد تحدث عنه الأستاذ حسن في بحث القنفذة الذي قدمناه ، فأغنى .

ثم واصلنا سيرنا فوجدنا جزءاً من الطريق قد زُفِّت ، وعلى (٢٠) كيلاً من القنفذة مررنا في سهل عَجْلَان ، وهو ذلك الخبت الذي ذكره الشريف شرف في موقعة حدثت بين قبائل جنوب القنفذة وجيش الشريف حسين بن علي .

الموقع والموقعة

الموقع : خبت أفيح لا حدود قريبة له إلاّ البحر من غربيه ، يبعد عن القنفذة (٢٠) كيلاً ، كما تقدم ، كثير الحراج حتى لا تكاد ترى السائر في بعض مواضعه ، وتتخلله السباخ ، ولا ماء فيه غير أم الدبا المتقدم ذكرها .

الموقعة : ذكرها شخصان حضراها ، فاختلفا في وصفها ، أولهما الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي في كتابه الرحلة اليمانية ، حيث قال :

وفي ليلة الأربعاء الثامن عشر من جمادى الأولى ـ سنة ١٣٢٩ هـ ـ أمر دولة الأمير بإرسال سرية ثالثة لتغزو قبائل أهل وادي يبا ، وقوز أبو العير وحلي ، وتكون مؤلفة من ألف من الأشراف والعرب أرباب الهجان ، ومن ثلاثمائة فارس من العرب أيضاً ، وثلاثة طوابير من الجند النظامية ، وجميعهم تحت قيادة أصحاب السيادة عبد الله بك ، وفيصل بك نجلي دولته .

فتوجهت الحملة في الساعة الحادية عشرة من اليوم المذكور قاصدة وادي يبا[١] لإخضاع القبائل الموجودة تحت قيادة ابن خرشان عامل الإدريسي .

وعندما اقبلوا على وادٍ يُقَال له : عجلان ، يبعد عن وادي يبا من جهة الشمال بساعة ، تقابل الجيشان وابتدأ القتال بينهما صباح يوم الخميس التاسع

(١) كذا يتردد عند البركاتي والملك عبد الله ، وهو تحريف ، صوابه (يَبَة) الرحلة اليمانية (٢٩) .

عشر من جمادى الأولى ، واستمر أربع ساعات ، وانتهت الواقعة ، ولم يقتل من قومنا ـ ولله الحمد ـ سوى نفر[1] من عساكر بيشة الجندرمة ، ونفر من عساكر عُقَيل الجندرمة ، وهو ولد ابراهيم ناصر[2] من أهل المدينة ، وشخص من قبائل لحيان ، ومن العساكر الأتراك خمس وعشرون[3] ؛ منهم عشرة قتلوا أثناء القتال ، وخمسة عشر ماتوا ظمأ ، لأن المياه كانت محملة على البغال وقد نفرت أثناء الحرب فألقت أوعية الماء .

أما القتلى من قوم الإدريسي فخمس وستون ، والجرحى خمسون .

ثم يقول : وفي يوم الإثنين الثلاثين منه أمر دولة أمير مكة عموم الجيش ، بالقيام بمحاربة ابن خرشان ومن معه .

ثم يقول : ونزلنا ليلة الثلاثاء غرة جمادى الآخرة على بئر يقال لها (أُمُّ الدُّبّا) وقلنا هناك ، وفي آخر اليوم المذكور أمر أنجال الأمير الجيش بالمسير إلى وادي يبا ، وأرسلوا أمامهم العيون ليهتدوا إلى مكان العدو ، فساروا ثم عادوا وأخبروا الجيش أن العدو كامن في وادي عَجْلَان ، وهم منتشرون من الجبل إلى البحر[4] ، أي من أعلى الوادي المذكور إلى أسفله ، وعددهم عشرة آلاف مقاتل وقد تحصنوا تحصيناً تاماً بين أشجار الأثل والمرخ والسَّمُر ، وأقاموا جسوراً من الأتربة لتكون حصناً لهم عند القتال . فرتب الأميران ـ عبد الله وفيصل ابنا الحسين ـ الجيش ترتيباً تاماً ، وسرنا حتى قربنا منهم ، فأمر الأميران أرباب المدافع بإطلاقها عليهم ، ولم تزل تقذف عليهم نارها حتى أخرجتهم من مكامنهم ، وولوا متيامنين قاصدين وادي يبا ، فصاح القائدان : الخيل الخيل يا أهل الخيل .

---

(١) أي فرد واحد .

(٢) إن لم يكن هنا خطأ مطبعي ، فإنه أول مرة أرى عربياً يكتب فيحذف كلمة (ابن) بين الولد وأبيه .

(٣) خمس : كذا في مطبوعة الرحلة .

(٤) يبعد الجبل هنا عن البحر أزيد من (٣٥) كيلاً ، فليس من المعقول أن جيش الأدريسي هنا كان يغطي هذه المنطقة .

فاقتفى أثرهم الفرسان وأرباب الهجان ، واستمر القتال بينهم فصاروا تارة ينهزمون وطوراً يفرون ويقاتلون ، حتى صرنا في منتصف الساعة الخامسة ليلاً ، فانهزم قوم الإدريسي قاصدين يبا ، ومعهم قائدهم ابن خُرْشان[1] ، وملكنا وادي عجلان ولم يصب منا أحد بأذى ، وقد قتل منهم سبعة ، وبعد صلاة الصبح أمر قوادنا بالزحف على يبا وقوز أبو العير ، والمسافة بين وادي عجلان ووادي يبا ساعة واحدة . فزحف الجيش على وادي يبا وكان قوم الإدريسي كامنين فيه ، ومعهم قوادهم ، وهم : ابن مَدِيني[2] ، والبَيْطلي[3] ، وهؤلاء هم شيوخ وادي يبا وقوز أبو العير ، وكان معهم أيضاً قبائل وادي حلي ، الذين حضروا لنصرة قوم الإدريسي ، ومعهم مشايخهم ، وهم : أحمد الصُّمِّي[4] ، وابن الصَّغِير[5] ، وابن عجي[6] ، حتى بلغ عدد المقاتلين من الأعداء اثني عشر ألف مقاتل ، وجميعهم كامنون لنا وسط الوادي ، وقد صنعوا لهم حصناً عظيماً وسط غابات الأثل والأراك والطرفاء والأشجار في هذا الوادي متلاحمة حتى يخيل للرائي أنها شجرة واحدة .

فلما قربنا منهم أمر قوادنا بترتيب الجيش للقتال ، ورتب نظيف بك قومندان العساكر النظامية جنده ، وبعد الترتيب صدر الأمر بزحف عموم الجيش ، وهجم عموم الجيش عليهم عرب وترك ، واستمر القتال ثم صدر الأمر من عموم القواد بالهجوم ، فهجم في المقدمة أربعمائة فارس ، واقتفى أثرهم عموم الجيش ، وصار القتال بالسلاح الأبيض[7] ، وما وافت الساعة العاشرة

---

(١) ابن خُرْشان : من بني حَرَام من كنانة ، ومقره قرية كياد .

(٢) ابن مَدِيني : شيخ القوازية من بلعير ، وستأتي .

(٣) البيطلي : شيخ شمل بني يَعْلى من كنانة ، سكان يبة ، وهو بيطلي بن حسين بن عامر .

(٤) أحمد بن الصُّمِّي : شيخ شمل العلاونة ، ومن يتبعهم في حلي .

(٥) ابن الصَّغِير : محمد بن الصغير : أحد سادة بني حرام من بلدة كياد ، وكان هو معتمد الأدريسي في جهات حلي إلى دوقة

(٦) ابن عجي : محمد بن عَجي : شيخ قبيلة الصحب الأعلين ، من حلي ، وولدة الآن عَجّي بن محمد بن عجي ، موجود .

(٧) أي الحراب والجنابا والسيوف ، ونحوها .

حتى انهزم العدو وانكسر شر كسرة ، ووجهتهم وادي حَلْي ، الذي هو في الجهة اليمانية من وادي يبا ، وبينهما خمسة عشر كيلو متراً ، وتركوا في الميدان ستمائة قتيل منهم من بني يَعْلى مائة ، ومن أهل صبيا ، والشُّقَيق ، الذين أرسلهم الإدريسي مدداً لأهالي يبا مائة وعشرون ، وكانوا أربعمائة ، ومن قبائل وادي حلي مائة وخمسون ، ومن قبيلة النواشرة ـ من بلعير من كنانة ـ أربعون ، والباقي من قبائل متفرقة .

وامتلكنا الوادي من أعلاه إلى أسفله ، ونزل الجيش في قرية المرازيق ، وبتنا ليلة الخميس بوادي يبا مكللين بالنصر ، ومعنا سبعون أسيراً[١] .

ولكن الملك عبد الله بن الحسين كان قائداً رئيسياً في تلك الحملة ، وكان القائد للجناح العربي في هذه الموقعة بالذات ، وذكر حوادث وتفصيلات لم يذكرها البركاتي ـ رحمهما الله ـ ومن هنا أردنا إثبات ما ذكره الملك في مذكراته ثم مناقشة القولين ، وسيرى أن كل منهما أورد ما يليق به إيراده أو ما وصل إلى علمه ، فاقرأ للملك عبد الله ، قوله[٢] :

---

(١) الرحلة اليمانية : (٢٩ ـ ٣٢) .

(٢) مذكراته ص ٧٩ .

واقعة قوز أبا العير (بلعير)

«وتحرك الركب الهاشمي من الحجاز في فصل (برج) الأسد في حَمَّارة القيظ ، فوصلنا القنفذة والإنسان لا يستطيع أن يطأ الأرض الملتهبة كالنار ، وليس بالقنفذة من عربان البلاد المجاورة أحد سوى أهلها .

وكان في الصحبة ثلاثة طوابير نظامية[1] ، يبلغ عددها ثلاثة آلاف جندي .

وبعد أخذ الأهبة ، كانت الحركة نحو قوز أبا العير (بلعير) وكان فيه قائد للسيد الإدريسي ، اسمه ابن خُرْشَان ، ومعه عشائر تهامة ، ولقد استصحبت معي مائتي خَيَّال وألف هَجَّان ، مع تلك الطوابير والمدفعية ، وكان معي المرحوم أخي فيصل .

وحيث أن التدريب العسكري للحركات الليليّة كان غير كامل الترتيب ، فلم تتمكن القوى التركية من قطع المسافة في الوقت المناسب ، إلّا بعد تأخر تسع ساعات .

فوصلنا إلى نقطة بساحل البحر جنوبي القنفذة ، بها ماء يستطيع الإنسان شربه ، اسمه أم الدُّبَّة .

(١) الطابور : فوج=كتيبة في تشكيلات الجيوش ، والكتيبة خمس سرايا ، والسرية خمسة فصائل أو فيئات ، والفيئة : خمس حظائر ، والحظيرة - غالباً - تسعة جنود .

وبعد استراحة ثلاث ساعات ، توجهنا فأدركنا الزوال ونحن على طرف سهل صلب كثير الحراج الملتف الأشجار .

وسار الجيش يتقدمه الطابور الأول ، ويتبعه الثاني ثم الأثقال ثم الطابور الثالث . وكانت على الجناح الأيسر القوى الهاشمية والخيل ، وعليها الأمير فيصل ، وكانت القوتان بأمرتي ، وقائد الطوابير الثلاثة هو القائد زكي بك الشركسي . ولدى قدومنا إلى ذلك المحل ، عاد إلينا ضيف الله العبود ـ أحد الشيوخ وقد أرسل عيناً ومعه كوكبة من الخيل ليكشف ما وراء الحرجة وما بها ـ فقال : إنها محشوة بالرجال ، وعادت القوة الكشافة مسرعة ، ثم عادت المقدمة من الهَجَّانة وهي منهزمة متوجهة نحو الغرب إلى ناحية البحر ، وإذا بجحيم من النار يطلق فجأة من تلك الحراج ، فأمرت زكي بك بالتَّوقف ، وأشرت عليه بأن يسوق الطابور بشكل الصيادة ، ويكون الطابور الثاني احتياطية ، وأن تقف الأثقال وأن تقف أيضاً القوى الهاشمية .

فإذا دفعناهم وجاء الوقت المناسب ، أمرت القوى الهاشمية بالهجوم ، والتعقيب من ناحيتها .

ولقد حُرّر هذا الأمر ووقع منه ومني ، وأرسل إلى الأمير فيصل ، وإلى قواد الطوابير ، فسرنا والتحمنا مع القوى الكامنة في الحراج ، فدفعناهم وتوغّلنا .

وقبل أن يأتي الوقت ويصدر الأمر بهجوم القوة المعاونة ، فوجئنا بهم يهجمون مسرعين ، وليس أمامهم إلّا زرع يحصد .

فقلت لزكي بك : مُرْ الطابور الاحتياطي يتقدم إلى الميسرة ، حيث كانت القوة المعاونة ، فإنني لست آمن عليهم الهزيمة الآن .

فقال : إنه لا يستطيع ترك القوة الآن ، ورجاني أن أبلغ هذا الأمر بذاتي .

وقبل أن أتم المحاورة ، وإذا بالمرافق يقول لي : انظر يا سيدي إلى يسارنا ! فإذا بالقوة المعاونة ترتد لا تلوي على شيء ، وقد بلغت إلى حيث الطابور الثاني ، وكان يقوده إسماعيل بك ، فقلت له : سر بالطابور وخذ موقعاً

إلى يسار الطابور الأول ، أما القافلة فمرها ترجع إلى أم الدبّة وليكن الطابور الثالث هو الاحتياطي .

وإذا بالرجل يمسك بعرف جواده ، وأخذ يتقيأ ، ولم يكن في حالة ترضيني ، ورأيت فيه من الجبن ما أزعجني ، وكررت عليه الأمر فلم يصغ ، ثم التفت وإذا بنا نضرب من الميسرة ضرباً مروعاً .

وبعد ثلاثة أرباع الساعة كان الموقف في غاية الحرج ، وإذا بفريق من الهَجّانَة فانخته بين السبخاء والموقع الرملي ، وشرعت أدافع ما استطعت ، وإذا بأناس من المنهزمين يلتحقون بي ، وهم فرسان عرفوا بالنجدة ـ كفاجر بن شلبويح(١) ، وحبيليص الشيباني(٢) ، وفهد العرافة بن سعود(٣) ، وبعض الأشراف ـ ثم لحق بي الشريف شاكر بن زيد(٤) ، ولم يكن لنا منهم إلاّ الثبات لتخليص القوة العثمانية من مَوْقفها القَتّال ، ولم يسلم من الطوابير الثلاثة إلاّ سبعون نفراً .

ولما أعيدت الحملة والمدافع إلى أمّ الدبّة ، كنت آخر من ترك الموقع ، بعد أن قتل ابن خيرة(٥) أمير الجناح الأيمن للقوة الإدريسية .

ووصلت القنفذة في اليوم الثاني بخسارة عظيمة ولو كر الأدارسة ليلتها أو الليلة الثانية ، لقضوا على الجميع ، ولكن خسائرهم كانت أفدح» .

هذا وصف الملك عبد الله للمعركة الأولى ، التي سماها الشريف شرف البركاتي معركة عجلان ـ وهذا أصح ـ وسماها الملك واقعة قوز أبا العير ، وهي بعيدة عن قوز أبا العير . ونعود لنسمع من الملك عبد الله تقريره عن الوقعة الثانية التي تحدث عنها أيضاً البركاتي ولكنه جعلهما معركة واحدة ، أو هو تجاهل

(١و٢) كلاهما من قبيلة عتيبة . (٣) من آل سعود .

(٤) والد الشريف زيد بن شاكر : رئيس أركان الجيش الأردني فيما بعد .

(٥) هو شيخ قبيلة النواشرة من قبيلة بلعير ، وحفيده أحمد بن خيرة شيخ النواشرة اليوم . ومن أبناء أحمد بن خيرة القائد : لاحق بن أحمد ، لا زال حياً حين مروري بوادي يبة .

الأولى ، ثم نعود للمقارنة بين الروايتين .

قال الملك عبد الله[1] ؛ بعد أن وصف القوة العثمانية بما لا يبعد عما تقدم سابقاً :

«وتحركنا وقت الظهر، فلما وصلت القوة مكان المعركة الأولى ، وكانت الساعة الحادية عشرة غروبية[2] ، وجدنا قوة الأدارسة في تلك الحالة الحرجة نفسها ، فقابلونا بنار حامية كسالف عادتهم .

فقال نظيف بك للشريف زيد : ماذا ترى ؟ قال : لا أمر لي إلاّ بعد أن تعرض عليّ ما تراه أنت ، فإذا رأيت ما يجب تنبيهكم إليه فعلت .

فالتفت وقال : ما رأيك ؟ فقلت : الأمر بالمبيت واستئناف الحركة صباحاً ، لأني أخشى أن لا تكون الحركات العسكرية ليلاً ناجحة ، ونحن في أرض دغل لا نعرف مخارجها ومداخلها .

فقال : تقول هذا من أجل أن يرى الناس أن سبعة طوابير عثمانية أوقفتها شرذمة بدوية ، فجلا عما كان يكتم .

فقلت له : هذا رأيي أكتبه كتابة » .

ثم يصف الشريف عبد الله جيش القوة العثمانية بعجلان والأهوال التي جرت ، ثم الهجوم الصباحي ، ثم انهزام جيش الإدريسي ، وكرّهم على بعض الأجنحة ، ثم الهزيمة التي أحاقت بالأدارسة واحتلال العثمانيين قوز أبا العير ، وما أصاب الجيش من أمراض ، ثم تعرض للفظائع التي كان ينزلها الأتراك بالقتلى والأسرى العرب ، مما عمّق في نفوس العرب العثمانيين بذور الانفصال ، وهو ما حدث بعد ذلك بسنوات .

المقارنة بين روايتي الشريف شرف والملك عبد الله عن معركة عجلان :

---

(١) مذكراته ص ٨١ .

(٢) أي قبل غروب الشمس بساعة واحدة .

لا شك أن أحداً منهما لم يتعمد ما ليس صحيحاً ولا غرض له في ذلك ، فلماذا اختلفت روايتاهما بعض الشيء بل كان الفرق بينهما ملحوظاً ؟ .

وجواباً على هذا السؤال نقول : يختلف الخبر إذا اختلفت المعلومات ، وهذا ما حدث للرجلين إلى جانب عوامل سياسية أخرى ، وإليك العناصر :

أولاً : الشريف البركاتي .

١ ـ لم يكن حاضراً المعركة ، لأنه رجل مدني ذهب مرافقاً للحسين بن علي ، ولعله كما تقول بعض أمثالنا « مكثّر لا معثّر » ! ؟

ولذا فخبره ما كان خبر شاهد عيان .

٢ ـ أخذ معلوماته ـ لا شك ـ من البيانات العسكرية ، والبيانات في الحرب ، تخضع لرقابة عدم تسرب ما يفرح العدو ويحط من معنويات المقاتلين، ولذا فهي تشبه بيانات الإذاعات والصحف اليوم عندما تقوم أية معركة ، فلو أرخ مؤرخ عن هذه الإذاعات والصحف لأتى بالعجب العجاب .

٣ ـ صدرت رحلة الشريف البركاتي في وقت مبكر ، والأمور لا تزال حارة ، وكانت عبارة عن نشرة أحوال تلك الحملة ، فلعله قصد تعضيد الحسين ابن علي في نهضته ضد الترك .

ثانياً ـ الملك عبد الله :

١ ـ كان قائد القوة العثمانية في المعركة الأولى ، وأحد قادة المعركة الثانية ، وله دربة وفطنة عسكرية تمكنه من فهم الأمور الجارية حوله .

٢ ـ تأخرت كتابة مذكرات الملك عبد الله حتى تغيرت المنطقة فزالت دول ونشأت دول ، وأصبح الموضوع في حكم الأمانة التأريخية ، ولذا فقد ذكر حتى ما يرى أنه مساس به ، فهو هنا يتحدث بصدق عميق وذكر حقائق قلما تذكر .

٣ ـ كان الرجل قد كبر ونضج فهمه العسكري والسياسي وعرف سياسات

غير سياسة العرب وآمن برسالة الحقيقة .

ومن كل ما تقدم تجد أن لكلٍ منهما منهجاً وطريقة وظروفاً .

ملاحظة: هذه الموقعة كان عظـم المقاتلين فيها من ناحية الإدريسي قبائل كنانة : بني يعلى ، وبلعير ، وبني حَرَام ، وبني كنانة - المشتهرة بهذا الاسم - . وهذا يعني أن قبائل كنانة حول حلي - رغم تفرقها إلى قبائل شتى - لا زالت قوةً ضاربةً ، إلى ذلك التاريخ .

قوز أبا العير وقبائلها

وواصلنا سيرنا مخلفين أحراج عجلان وراءنا ، وكان الجو بديعاً والسحب تتكاثف ، وتتراكم على ناحية البحر ، وعلى عشرة أكيال من وسط ذلك الخبت ، وثلاثين كيلاً من القنفذة وصلنا بلدة قوز بلعير .

ضبط اسمها :

ضبطها الشريف شرف البركاتي ، كذا . (قوز أبو العير) .

وكتبها الملك عبد الله : (قوز أبا العير) .

وتنطقها عامة أهل الحجاز وقضاء القنفذة : (قوز أبا العير) .

غير أن اسم القبيلة المنسوبة إليها (بِلْعَير) ، مثل بلحارث وبِلْقَرن ، بِلَّسمر .

ولذا فإني أرجح أن يكون باسم القبيلة (قوز بِلْعَيْر) .

الموقع : تقع قرب شاطىء البحر الأحمر جنوب القنفذة بثلاثين كيلاً كما تقدم ، وعلى الضفة الشمالية لـوادي يَبَة ، فهي قاعدة يبة كما أن القنفذة قاعدة قنونا .

وهي مستطيلة من الشرق إلى الغرب باستطالة حرف الوادي ، ويبلغ طولها قرابة (٤) أكيال ، وبها عمران حسن وحركة عمرانية نشطة ، ومبانيها مزركشة ، حتى خيل إلينا إنها أكثر تقدماً من القنفذة .

وبها إمارة تابعة للقنفذة ومدارس منها مدرسة ثانوية، ومدارس للبنات ، ومحكمة شرعية وشرطة، ومرور ، وبها مقر التجمع القروي في هذه الناحية ، وهي إدارة أُنشئت لخدمة القرى وتطورها منبثقة عن الشؤ ون القروية ، وشارعها الرئيسي مزفّت ، ولها جدار ينأى عنها سيل وادي يبة من الجنوب ، ولها سوق كل خميس ، فلما حضرناه وجدناه مزدحماً بالناس ، وتعرض فيه كل بضائع تهامة ، وبضائع مجلوبة من المدن الكبرى ، ويبيع فيه النساء والرجال ، ولكلٍ بضاعة تصلح له .

تجولنا في البلدة وفي السوق ، ثم توجهنا إلى منزل الأستاذ سالم بن عبد الله : مدير ثانوية قوز بلعير ، الذي كنا على وعد معه من أمس ، فوصلنا إليه في الساعة التاسعة صباحاً ، فرحب وسهل ، وكررنا عليه القول بأنّا على عجل .

وفي العاشرة خرجنا من عنده باتجاه مدينة حلي ابن يعقوب التي لم تبق منها إلّا رموس لا تكاد تميز .

ثم مررنا بذلك الحاجز الذي أقيم على الطرف الجنوبي من مدينة قوز بلعير لينأى عنها سيل وادي يبة ، ثم مررنا بأراض زراعية بعلية واسعة ، هي فرشة وادي يبة ، وأعتقد أن هذه الأراضي ستكون مروية بعد نجاح الآبار الارتوازية حديثاً في هذه النواحي ، تمتد هذه الأراضي غرباً إلى البحر ، وتمتد شرقاً مسافات بعيدة ، وبهذا تكون قبائل بلعير ذات غنىً وثروة .

وعلى ثلاثة أكيال من قوز بلعير مررنا على جسر وادي يبة الضخم ، والذي يمر تحته السيل في شاقّة خدها جريان سيله ، وقد قسم في عبّارات ليفرش على الأراضي الزراعية .

قبائل بَلْعَير

هي قبيلة كبني يعلى وتجاورها في الديار ، وتشاركها النسب ، غير أنهم هنا يقولون لكل قبيلة (قبائل بني فلان) ، حتى وإن كانت القبيلة متوسطة ، وهذه القبيلة لها بلدة قوز بلعير وكثير من القرى المحيطة بها وتمتد ديارها شرقاً على

طول وادي يبة ، ولكن لا تصل إلى الجبل ، ولها قرى عديدة وأراضٍ زراعية واسعة .

وهي كنانية النسب لا شك ، فإلى حوالي القرن التاسع الهجري ظلت بني كنانة بين مكة وعتود متماسكة معروفة ، وكونت سلطنة في حلي ، فلما قُضِي على تلك السلطنة ضعفت القبيلة واستقلت كل قبيلة فرعية بشؤونها واتخذت ـ فيما يبدو ـ الحياد تلمساً للسلام وبدافع من غريزة حب البقاء، والإبقاء على المال والعشيرة .

وسيكون لكل من سلطنة حلي وقبيلة كنانة بحث مستقل فيهما يتبع إن شاء الله .

فروع قبيلة بلعير :

١ ـ النواشرة ، واحدهم ناشري ، وهو فرع كبير ذو عدد ، ومنهم : الجعدة ، وفيهم شيخة النواشرة ، ومنهم (بن خَيْرة) وتقدم الحديث عنه في موقعة عجلان .

ومنهم أيضاً المحاسنة .

وهناك من يقول : إن النواشرة من مسارحة نواحي جيزان .

٢ ـ المقاعدة : هي قبيلة ـ كما يقولون ـ رأس .

٣ ـ القوازية : منسوبون إلى بلدة قوز بَلْعير ، وهم عدد من الفروع الصغيرة المتناثرة ، منها :

أ ـ الرداعة : واحدهم رداعي ، وفيهم المشيخة ، وبيتهم (ابن مديني) وقد تقدم .

ب ـ الجلاب : واحدهم جلبي .

جـ ـ الفقهاء (فقهاء القوازية) وهم سادة حسينيّون .

د ـ الفقهاء العقالية : من بني عقيل بن أبي طالب .

هـ ـ القشارية .

و ـ البُقُوم : ولعلهم من بقوم ناوان ، وتقدم الحديث عنهم أنهم من بقوم تربة .

ز ـ الغُرْس ، والعفالقة .

٤ ـ العمور الأعلين ، في وادي يبة ، والنسبة إليهم عَمْرِي .

٥ ـ الشواردة : والنسبة إليهم شاردي ، ويعودون إلى العوامر من خثعم العرضية .

٦ ـ السُّمَرة : واحدهم سُميري .

٧ ـ الخوالدة (خوالدة يبة) ومنهم قسم سيأتي في حلي .

وهذا موجز عن قبائل بلعير ، وبلعير كبلقرن وبلحارث ، ونحوه ، كما قدمنا .

وادي يَبَة

وادٍ فحل من أودية تهامة ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من شعوف جبال النماص من بلاد بني شهر من الناحية الجنوبية ، ثم شعوف بلاد بلقرن من الوسط ، ويستسيل سراة خثعم من ناحية نواشغه الشمالية .

ثم يتجه غرباً ماراً بين وادي قنونى شمالاً ووادي حلي جنوباً ، حتى يصب في البحر على قرابة ثلاثين كيلاً جنوب بلدة القنفذة .

وفي السفوح الغربية للسراة تتشابك فروعه وفروع جاريه الفحلين حلي وقنونى حتى لا يميّز هذه الفروع من بعضها إلّا أهل الديار العارفين .

ولوادي يَبَة روافد كبار مأهولة، أهمها :

١ ـ وادي جَفْن : من السواعد الشمالية التي تسيل من سراة خثعم ، وسكانه قبيلتي آل كثير وشمران ، وكلاهما من خثعم ، وهو وادٍ ذو زراعة وقرى .

٢ ـ وادي النَّضَر : يأتي من سراة بلقرن ، ويلي سابقه من الجنوب ، وسكانه فروع من بلقرن ، منهم : بني رزق ، وغيرهم .

٣ ـ وادي الغَرَّيْن (الأغَرَّيْن) : يلي سابقيه من الجنوب ، ويسيل من بلاد بلقرن ، وسكانه بنو رزق أيضاً ، ولهم فيه زراعة وقرى ، ويسكنه أيضاً آل سليمان ، وكلاهما من بلقرن .

ويسيل فيه وادٍ يقال له : وادي حَضَوْضى ، ويسكنه بنو طارق من بلقرن .

٤ ـ وادي نُخَال : تَسكنه قبيلة نخال من آل سليمان من بلقرن ، وهو يأتي من شعوف بلقرن .

٥ ـ وادي الجَوْف : وهو أعظم روافد وادي يبة ، يسيل من شعوف جبال النماص وبلاد بني عمرو ، ويُسمى أعلاه وادي عَبْس ، وتسكنه : في أعلاه قبيلة بني عبس من بني شهر ، وفي وسطه آل سليمان وبعض بلحارث ، وكلاهما قرنية ، وتسكن أسفله بين بلحارث وعِمَارَة ، القرنيتين أيضاً ، وهو كثير القرى والمياه والزراعة .

٦ ـ وادي حَـلِف : وَتَسكُنه قبائل من بلقرن ، منها : بلحارث وعمارة .

٧ ـ وادي نعمات : على صيغة جمع المؤنث السالم : وهو آخر ديار بلقرن في تلك الناحية من الجنوب ، ويسكنه بنو عمارة ، ولهم فيه قرى ومزارع .

٨ ـ وادي مَمْلح : وهو أول ديار بني شهر تهامة من الشمال ، وتسكنه بطون من بني شهر .

٩ ـ وادي الخَطْوة : يلي سابقه من الجنوب ، وسكانهما واحد ، وفي كل منهما قرى ومزارع ، وفي جميع هذه الأودية التهامية قرى ومزارع ، وهي آهلة بالسكان .

١٠ ـ وادي خَاط : وهو يلي وادي الجوف عظماً وسكاناً وزراعة ، وهو الامتداد الطبيعي لوادي يَبَة ، كثير القرى والسكان ، وسكانه بنو شهر ، وقد مررت فيه في عودتي وسيذكر .

١١ ـ وادي عرف : آخر روافده مما يلي السهل من الجهة الشمالية .

١٢ ـ وادي شرى الشمالي : وهذا يقاسم شرى اليماني الماء فيصب في يَبَة ، بينما يصب اليماني في حلي ، وسيأتي .

السكان

١ ـ في روافده العُلى تتقاسم سكناه ثلاث قبائل أزدية كبار ، هي : خثعم ـ على أن خثعم أزدية ـ وبلقرن ، وبنو شهر ، ومر معنا ذكر الفروع التي تسكن هده الروافد عند ذكر منازلها[١] .

٢ ـ بعض من قبائل حرب : وهذه أفردنا لها بحثاً خَاصاً ، قد تقدم .

٣ ـ بعض قبائل ربيعة العسيرية : وهذه الجالية لم تتوفر لدي ـ حتى الآن ـ معلومات عنها .

٤ ـ قبائل بلعير : يسكنون القسم الساحلي إلى بلدة قوز بلعير ، وهؤلاء لهم بحث خاص تقدم .

٥ ـ الأشراف المناديل ، وهؤلاء يسكنون شرق الطريق الساحلي ، قرب قوز بلعير[٢] .

٦ ـ قبائل بني يَعْلى من كنانة : ويسكنون أسافل وادي يَبَة إلى البحر ، وهؤلاء لهم بحث خاص .

وهذا الوادي الخصيب مشحون بالسكان من الشعف التي تسيل منها نواشغه إلى مصبّه في البحر .

أهم القرى في وادي يبة

١ ـ بلدة قوز بلعير : وهذه قد تقدم الحديث عنها أثناء مرورنا بها .

٢ ـ عجلان : قرية صغيرة في خبت عجلان ، فيها مدرسة ابتدائية .

٣ ـ أمّ القضاة : قرية قرب البحر لبني يعلى ، فيها مدرسة ابتدائية .

٤ ـ الفقهاء ، والعرجاء ، وعنيكر ، والكـدسة ، وبنو سحار : كلها قرى بين القوز والبحر لبني يعلى ، وبعضها مُسَمّى بأسماء أهلها .

---

(١) في كتابي (بين مكة وحضرموت) ذكرت هذه القبائل وفروعها ، غير أن بعض قبائل تهامة لم ترد هناك ، وفي هذا الكتاب نبذة عمن لم يرد ذكره في ذلك الكتاب .

(٢) هم من الأشراف آل أبي نُمَي الثاني .

٥ ـ السُّمَرة : قرية للسُّمَرَة من بلعير ، غرب القوز .
٦ ـ القُمْزان : قرية جنوب القوز ، لبلعير ، بها مدرسة .
٧ ـ ثلاثا يَبَة : قرية جنوب شرقي القوز ، لبلعير .
٨ ـ مُشرِف : قرية شرقي القوز ، بها مدرسة .

وادي يبة في كتب الأقدمين ، وضبط اسمه

من تقدمنا ، قديماً وحديثاً ، اختلفوا في ضبط اسم يبة ، فذكر (يَبْتُ) وذكر (يبه) بالهاء ، وذكر الشريفان : البركاتي والملك عبد الله (يبا) ، وفي ديوان كُثَيِّر (يَبَة) بالتاء المربوطة .

والصواب (يبة) بياء مثناة تحتية ، وموحدة ، ثم تاء مربوطة .

الشواهد :

١ ـ من قال يَبَهْ :

قال أحد الشعراء[1] :

مـا تـرى لَـمْـح بـارقٍ سُقِيـت مـاءَهُ يَبَـهْ
فَشَـرَوْرى فَقَـرورى فَـحَبَـوْنـى فـالأحسبَـهْ

وقال آخر[2] :

أمْسَى فَؤَادي مِنهُمُ بـمحسبَـهْ بـينَ قَـنَـوْنى فـعُلَيـب[3] فَيَبَـهْ

وفي هذين البيتين استعمل يبه مسكناً ،ومعروف أن أمثاله هكذا تستعمل في حالة التسكين ، وإلّا فإن صواب الاسم (يَبَة) بالتاء المربوطة .

٢ ـ من قال يَبْت :

جاء في معجم البلدان ، قول كُثَيِّر :

---

(١) أملاه الأستاذ حسن الفقيه ، عن نور القبس .
(٢) أملاه الأستاذ حسن عن ابن خرداذبه .
(٣) عُلَيب : عُلْيَب : ، وهذه الصيغة للضرورة .

(إلى يَبْتٍ إلى برك الغِمَادِ) .

غير أن ياقوت عاد فأورده صحيحاً في مادة (يَبَة) حين قال :

يَبَة وعُلَيْب : قريتان بين مكة وتبالة .

وقال كُثَيِّر يرثي صديقه خندقاً الأسدي :

بوجه أخي بني أسدٍ قَنَونا ... إلى يَبَةٍ إلى برك الغِمَادِ

في أقوال ياقوت :

أ ـ قوله : يَبْت ، تحريف .

ب ـ قوله : بين مكة وتبالة ، وهم ، وصوابه : بين مكة وحلي ، وإن كان حلي قريب جداً من يبة ، ولكنه أشهر الأماكن هناك .

جـ ـ قوله : بوجه أخي . . . ، صوابه : محل أخي . . . كما سيأتي .

٣ ـ من قال (يَبَة) وهو الصواب :

أ ـ قول ياقوت المتقدم :

ب ـ ورد هذا البيت في قصيدة لكثيِّر ، يقول فيها[(١)] :

عداني أنْ أزورك غير بُغْضٍ ... مُقامُك بينَ مُصْفحةٍ شِدادِ

وإنِّي قائلٌ إنْ لم أزُره ... سَقَت دِيمُ السواري والغوادِي

محلٌّ أخي بني أسدٍ قَنَونا ... إلى يَبَةٍ إلى برك الغِمادِ

أما قول شارح ديوان كُثَيِّر : يُنطق اليوم يبا ، فلعله أخذ مما قدمنا نقلاً عن الرحلة اليمانية ، وهناك حرَّف إسمه كل من الشريف شرف البركاتي ، والملك عبد الله ، وسبب تحريفهما : إن أهل تلك الجهات ينطقونه (يَبَه) محركين الياء والباء مسكنين الهاء ، فيظن السامع أن الهاء ألف .

وتكاد أقوال المتقدمين تنحصر في قول كثير : (إلى يَبَةٍ إلى بِرْك الغمادِ) .

---

(١) ديوان كثيِّر ص ٢٢١ .

مما تقدم يتضح لك أن اسمه (يَبَة) وما عداه تحريف أو تصحيف .

بنو يَعْلَى

قبيلة تسكن أسافل وادي يَبَة ، ولها فيه أراضٍ زراعية وقرى عديدة ، وترجع بنسبها إلى كنانة ، القبيلة العدنانية المشهورة .

وشاهد ذلك من قول ابن هُتَيمل[1] يرثي الأمير قاسم بن علي الذروي ، فيقول من قصيدة طويلة[2] :

بني هاشمٍ ما للرعية غيركُمْ ... غراسكم أخلاطُها وحلوفها
إليكم فقد صار الحجاز تليدها ... وإنْ ضُيِّع (المخلاف) فهو طريفُها
تمالت : فلم يزجرْ حليمٌ سفيهها ... ولا عفَّ عمَّا تكرهون عفيفُها
فقد طال مشتاها وطال خريفُها ... ومربعها في أرضكم ومصيفها
ورُبَّمَا أجلتكم عن دياركم ... عن الخصب أوبارُ الشآم وصوفُها[3]
هُمُ قتلوا (موسى الكناني)[4] فاستو ... ت كنانة (يَعْلِيها)[5] معاً وهطوفها

وهكذا ترى أن بني يَعْلى كانت ـ في القرن السابع ـ الصلب ، وغيرها الهطوف ، ولا زالت قبائل كبار من كنانة متناثرة من مكة إلى ما وراء عتود ، ومعظمها لا يعرف أنه من كنانة .

ولبني يعلى ـ كأي قبيلة ذات قرى وزراعة واستقرار ـ أخلاط ونزلاء صاروا بمرور الوقت يعتبرون أنفسهم من بني يَعْلى .

---

(١) هو القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي ، توفي نحو سنة ٦٩٦ هـ شاعر المخلاف السليماني في عهده ، عمر ـ فيما قيل ـ قرابة مائة سنة .

(٢) ديوان ابن هتيمل (٩٢) .

(٣) الشام عند العرب كل ما يقع شمالاً . والمقصود هنا الأرض الواقعة حول حلي من ديار كنانة .

(٤) موسى هذا كان أحد سلاطين حلي ، وسيأتي خبره هناك .

(٥) بنو يعلى .

فروعها اليوم [1] :

١ ـ الحُسنة : وهما قسمان : قسم مع بني يعلى ، وقسم مع بني شعبة بين مكة والليث .

٢ ـ المساعرة : ومنهم نفر في اللّيث .

٣ ـ العوامر ، وإحدهم عامري : وفيهم شيخة بني يَعْلَى ، وبيتهم (البيطلي) وكان منهم : بَيْطَلِيّ بن حسين العامري ، الذي قاتل ببني يعلى جيش الشريف حسين بن علي في موقعة عجلان .

٤ ـ الكُدَسَة : ومنهم المُنَعة ، ولهم قرية باسمهم غرب قوز بلعير .

٥ ـ المواجدة : بنو ماجد ، والنسبة إليهم : ماجدي .

٦ ـ خُزَاعة : وهم جالية من خزاعة ، القبيلة المعروفة [2] .

٧ ـ بنو سَحَار : ولهم قرية غرب القوز .

٨ ـ العِمْشان : وإحدهم عمشاني .

٩ ـ الشراقي : واحدهم شرقي .

١٠ ـ الشُّقَفَة .

١١ ـ وَيْنة : واحدهم ويني أو ويناني . ومنهم أبيات مع كنانة في حلي .

١٢ ـ المحاميد : واحدهم : محمادي .

١٣ ـ جُهَيْنة : وهم جالية من قبيلة جهينة المعروفة ، كذا قيل ، ولا يبعد أن أحد بني يعلى سمى ابنه جهينة ثم صار نسله اليوم بطناً صغيراً ، ومنهم نفر مع كنانة في حلي .

١٤ ـ المباريك : موالي بني يعلى .

١٥ ـ الأشراف الثعالبة : هم من أشراف قرية الغالّة ، نزلوا على بني يعلى ، فشملتهم المشيخة ، ولا زالوا على حرزهم ولا يزوجون غير الأشراف .

---

(١) عظم هذه المعلومات أملاه أخونا حسن الفقيه .

(٢) انظر معجم قبائل الحجاز .

١٦ ـ الفقهاء العساكرة
١٧ ـ الفقهاء المطاهرة
١٨ ـ الفقهاء الطوال .

وهذه الثلاثة البطون حُسينية النسب، أي الحُسَيْن بن علي رضي الله عنهما .

١٩ ـ الأشراف الزواهر : واحدهم زويهري .

٢٠ ـ الأشراف البراكيت : ويعرفون بالبهاليل ، واحدهم بهلول ، وهم من الأشراف ذوي بركات أهل الحجاز ، ومنهم قسم مع كنانة في حلي ، وسيأتي .

هذه قبيلة بني يعلى وأحلافها ، وهي تكوّن عدداً كبيراً ، وقوة وأملاكاً واسعة .

بين قوز بلعير وحلي بن يعقوب

خرجنا من بلدة قوز بلعير متجهين جنوباً بمحاذاة ساحل البحر ، فجزعنا وادي يبة كما تقدم ، وسرنا في خبت كثير الأشجار والنبات مما يدل على خصب الأرض ، وجبال تهامة لا تكاد تُرى من هنا إلّا في أصفى أوقات الصحو .

وعلى (١٥) كيلاً مررنا بموضع يدعى (المفجر) وقد صحفه صاحب سمط النجوم العوالي إلى (فجر) وعنده جرت الموقعة الفاصلة بين شريف مكة الشريف «عجلان بن رُمَيْثَة » ، سنة ٧٦٣ هـ وبين سلطان حلي آنذاك أحمد بن عيسى الحرامي ، ومنها سرنا بين أشجار السدر والأراك التي تكوّن غابات وخمائل يضل فيها السائر ، والأرض رملية وطريقها غير ممهدة مما جعل السير بين الأحراش صعباً ، ثم مررنا بقرية العمور (فخذ من كنانة) ثم دخلنا بين غابات من دوح السدر الذي تظلل الدوحة الواحدة منه عشرات من الناس ، ويسمونه هنا العَرَج . ثم وصلنا إلى الصُّلْب ، وهو مجموعة من المزارع التي كانت تدار بالسواني[1] ، وكل سانية حولها حلة من المنازل تخص أسرتها ، وأهلها من بني كنانة ، سكان حلي . ومن بلدة العمور المتقدمة بدأت أول فرشة وادي حلي ، وهذه الآبار والمزارع تشرب من وادي حلي ، فأهل تهامة يتعرضون للسيول ثم

---

(١) السواني ، جمع سانية ، وهي الغروب التي يجرها البقر أو الإبل من الأبار فتسقي الأرض للزراعة . والغرب : دلو كبير ذو تفصيل خاص .

يقسمونها مشارب متفرقة يعرف كل مزارع مشربه ، ويعمره ، ويقسم هذا المشرب إلى مشارب أخرى بين البُلُد، ولهم في ذلك قوانين ؛ وللقوانين خبراء يعاد إليهم في هذا الأمر ، ولذا تجد الوادي يفرش في الخبت حتى تبلغ فرشته قرابة (١٥) كيلاً إذا كان فحلاً ، وهي تتأثر بكبر الوادي وصغره .

ثم وصلنا إلى مدينة حلي بن يعقوب ، وصارت اليوم تسمى (حلي قديم) ويسكنها السادة العَرَاقِيَة ، يقال أن أصلهم من جزيرة كمران باليمن ، وهم هاشميون . ثم تجولنا في موقع هذه المدينة التأريخية التي لم يبق منها سوى رموس لا تكاد تدل على ما كان لهذه المدينة من تقدم وازدهار ، وأنها كانت إحدى العواصم في جزيرة العرب ، ونظراً لهذا التباين الغريب بين وصولها إلى قمة الحضارة وبين انحدارها إلى مكان لا تجد فيه حتى الآثار الظاهرة ، أحببت أن أعطيك لمحة عن تأريخها وأحوالها عبر ما تقدم من عصور ، فنقول :

مدينة حلي بن يعقوب

تقع على (٣٠) كيلاً جنوب قوز بلعير ، وعلى (٨) أكيال عن سيف البحر ، وعلى (٦٠) كيلاً جنوب القنفذة ـ وقد حددنا المسافة بين مكة والقنفذة هناك ـ وتتوسط فرشة وادي حلي وهو أكبر وادٍ في هذه الناحية .

سبب الاسم : اسمها هذا قديم ، ذكره في أول القرن الثامن .

وكان ابن يعقوب أحد سلاطينها ، غير أن المصادر المتيسرة لم تُعطنا شيئاً يذكر عن ابن يعقوب ، غير أن الثابت مما سترى مستقبلاً أنه من كنانة ثم من بني حرام .

وليس السبب الرئيسي في التسمية هي شهرة ابن يعقوب هذا ، إنما السبب الرئيسي يعود إلى أن الوادي كله يسمى حَلْياً من أعلى السراة إلى البحر ، فأرادوا التفريق بين المدينة والوادي ، وقد مر معك (دوقة ابن خير) و (دوقة الأحلاف) والوادي كله دوقة .

وأول ذكر وصل إلينا لحلي المدينة ما ذكره الفاسي (العقد : ٤/٧٩) من أن رجلاً من بني حرام استولى على مدينة حلي سنة ٤١٢ هـ فاستعادها منه أبو الفتوح . فهذا ذكر أول محاولة من بني حرام للاستيلاء على حلي ، وإنها مدينة، ولعل هذا الحرامي هو ابن يعقوب وإنه استولى عليها مرة أخرى فأسس إمارة بني

حرام. وجاء ابن بطوطة[1] ، الرحالة الشهير ، الذي زارها سنة ٧٣٠ هـ، وقال :

«بعد ستة أيام من خروجنا عن جزيرة سواكن وصلنا إلى مدينة حلي ، وتُعرف باسم (ابن يعقوب) وكان من سلاطين اليمن ساكناً قديماً بها .

وهي كبيرة حسنة العمارة ، يسكنها طائفتان من العرب ، وهم بنو حرام وكنانة[2] . وجامع هذه المدينة من أحسن الجوامع ، وفيه جماعة من الفقراء المنقطعين إلى العبادة ، منهم الشيخ الصالح العابد الزاهد (قبولة الهندي) من كبار الصالحين ؛ لباسه مرقَّعة وقلنسوة لبد ، وله خلوة متصلة بالمسجد ، فرشها الرمل لا حصير بها ولا بساط . ولم أر بها حين لقائي له شيئاً ، إلّا إبريق الوضوء ، وسفرة من خوص النخل فيها كسر شعير يابسة ، وصحيفة ملح فيها صعتر ، فإذا جاءه أحد قدم بين يديه ذلك . وسلطان (حلي) عامر بن ذُؤيب ، من بني كنانة ، وهو من الفضلاء والأدباء الشعراء ، سافرت في حجته من مكة إلى جدة ، وكان قد حج سنة ثلاثين (٧٣٠) .

ولما قدمت مدينته أنزلني وأكرمني ، وأقمت في ضيافته أياماً[3]» .

قلت : هذه مشاهدات ابن بطوطة ، وهو يذكر أنها مدينة كبيرة ، ولا شك أنها نشأت قبل ذلك بقرون عديدة .

ثم تطورت حلي المدينة (حلي ابن يعقوب) حتى أن الأحفاد يروون عن الأجداد أنه إذا أُذِّن على منارة جامع حلي أذنت على آذانه ثلاثون منارة من منا أحياء حلي ، فإذا عرفت أن هذا العدد حتى سنة ١٣٦٠ هـ تقريباً ما كان يوجد في مدينة جدة ، عرفت أية منزلة بلغت حلي ابن يعقوب .

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٢٧١ ، .

(٢) بنو حرام فرع من كنانة ، ولكن ابن بطوطة لا علم له بالأنساب .

(٣) انظر الاستدراك بعده .

ونستدرك هنا فنقول :

إن صاحب سمط النجوم العوالي ذكر (حلي بن يعقوب)[١] قبل ابن بطوطة حسب ما وقع في يدي من مراجع ، فيقول : ثم في سنة اثنتي عشرة ، حج الناصر فقرا منه (يقصد : حُميضة ورُمَيثة ابنا محمد بن أبي نمي الأول) . ثم في سنة (٧١٣ هـ) وصل عسكر من صاحب مصر المذكور نحو ثلاثمائة فارس ، وأمدهم صاحب المدينة بخمسمائة فارس ووصل معهم أبو الغيث ، فلما سمع بهم حُميضة ورُمَيثة خرجا إلى (حلي ابن يعقوب) .

وفي سنة ٧٥٠ هـ ، يذكر العصامي[٢] أن الشريفين : ثقبة وأخويه سند ومغامس عزموا إلى اليمن ، وتلقوا الجلاب[٣] ونجّلوها بحلْي .

وهذا هو ميناء حلي بن يعقوب .

أما في سنة ٧٦٣ هـ فيذكر العصامي[٤] بني حرام بحلي فيقول :

وكان عجلان ـ ابن رميثة بن أبي نمي الأول ـ في سنة ٧٦٣ هـ حارب أحمد بن عيسى الحرامي[٥] صاحب حلي بمكان يقال له (فجرة)[٦] ، فظهر عجلان على أحمد بن عيسى المذكور . وكان عجلان ـ رحمه الله ـ شيخاً صالحاً سعيداً اتفق له ما لم يتفق لأسلافه من السعودات فإنه أول من ملك بلاد حلي من أهله السابقين .

ثم نجد في سمط النجوم العوالي[٧] : وكان الملك الناصر أحمد بن اسماعيل الغساني صاحب اليمن تشفع الى الشريف حسن بن عجلان سنة (٨٠٧ هـ) في

---

(١) ٤/٢٢٧ .
(٢) ٤/٢٣٩ .
(٣) جمع جلبة : اسم كان يطلق في تلك العصور على السفن ، ونجلت السفينة في المنجل أي رست في الميناء .
(٤) السمط : ٤/٢٤٥ .
(٥) نسبة إلى بني حرام من كنانة .
(٦) صواب اسمه (المفجر) .
(٧) ٤/٢٦٢ .

ترك التشويش على موسى صاحب حلي ، وحثّه على الموافقة على ذلك القاضي شرف الدين بقصيدته النونية

وهي ـ منها ـ :

أحسنت في تدبير ملكك يا حسن — وأجدت في تحليل أخلاط الفتن
ما كُنتَ بالنَّزِقِ العجولِ إلى الأذى — عند النزاعِ ولا الضَّعيفَ أخا الوَهَنْ
تمسي ورأيُك عن هواك معوَّقٌ — والغِرُّ مُلقٍ في يدِ الأهوا الرسنْ
داءُ الرِّياسةِ في متابعةِ الهَوى — ودواؤ ها في الدفع بالوجه الحسنْ
وإذا الفتى استقصَى لنُصْرةِ نفسِه — قَلَبَ الصديقُ لحربِهِ ظهرَ المجنْ
لا تُصغْ إنْ شرٌّ دعا فالشرُّ إنْ — تنهضْ له ينهضْ وإنْ تسكنْ سكنْ
وسديدُ رأيٍ لا يحرِّكُ فِتنةً — سكنتْ وإنْ حرّكتهُ الفتنُ اطمأَنْ
رَدُّ العدوِّ إلى الصداقةِ حكمةٌ — صَفَتْ من الأكدار عيشَ ذوي الفِطَنْ
بالسيف والإحسان تُقتنصُ العلا — وحصولُها بهما جميعاً مرتهنْ
لا خيرَ في مِنَنٍ ولا سيف بها — ماضٍ ، ولا في السيف من غير مِنَنْ
أما حَلِيٌّ فإن خوفك لم يدع — أهلاً بها للزائرين ولا وطنْ
جلّيتهم مَنها وجسمُكَ وادعٌ — في مكَّةَ لم يُحْوِجُوكَ إلى ظعنْ
تركوا لك الأوطان غير مُدَافَعٍ — وتعلقوا بذُرَى الشوامخِ والقُنَنْ
حَفِظوا نُفُوساً بالفِرار أظلَّها — سيف على الأرواح ليس بمؤتمنْ
ولحفظها بالفَرِّ أكبر شاهدٍ — لك بالعلا فلِمَ التأسف والحَزَن
فاغمد سيوفَك رغبةً لا رَهْبةً — ما في قتيلٍ فرَّ مرعوباً سِمَن

الى أن يقول :

موسى هَزَبْرٌ لا يُطاقُ نزاله[1] — في الحرب لكن أينَ موسى من حسنْ
هذاك في يمنٍ وما سلمت له — يمنٌ وذا في الشام لم يدعِ اليمنْ
فانظر إلى موسى وقد لعبت به — ـ لما سخطتَ عليه ـ أحداث الزمنْ
ذاق المرار لفوته أوطانه — فَقِهِ مرارةَ فرقة الروح البدن

---

(١) موسى الكناني سلطان حلي .

وهكذا تقص علينا هذه القصيدة أن أهل حلي قد فروا خوفاً من بطش الشريف حسن بن عجلان ، وكانت هذه حالتها في بداية القرن التاسع ، ويبدو أنها لم تفلح بعدها ، غيرْ أن المدن لا تندثر في سنة أو سنين ، إنما تأخذ في التقهقر والانحطاط التدرجي إلى أن تنمحي . وفي أعالي حلي قرب محايل عشيرة تدعى آل دريب، فلعلها ممن جلا عن حلي وقد فُصلت في هذا الكتاب.

وعند الحديث عن بركات بن حسن ، قال العصامي[1] :

ومما وقع في زمانه أن أمير اليمن أحمد بن اسماعيل الغساني كتب إليه أن يفرغ له دور مكة وأن يلقاه إلى حلي ، صحبة قصيدة هي قوله :

مَنْ لِصَبٍّ هاجه نشر الصِّبا لم يزده البَيْنُ إلا طربا

وأقول : إيراد القصيدة في هذا السياق وهم من العصامي ـ رحمه الله ـ فهذه القصيدة لها قصة سنذكرها ونذكر طرفاً منها فيما بعد .

فلما وصل المكتوب[2] الى الشريف بركات بن حسن ، تصدى لجواب أحمد بن اسماعيل الغساني ، السَّيد الأمجد فصيح الفصحاء عفيف الدين : السيد عبد الله بن قاسم الذِّرْوي ، فكتب إليه القصيدة ـ التالية ـ على لسان الشريف بركات بن حسن بن عجلان ، ومنها :

بالقنا الخُطِّي والبِيضِ الظُّبا	وبخَيْلٍ تتبارَى سَرَبا
سابحاتٍ مُغْرباتٍ ضُمَّرٍ	أَعْوَجيَّاتٍ عِتاقٍ شُزَّبا
بُريت آذانُها من جودةٍ	مثل أقلامٍ بهاكم كُتُبا
داحسياتٍ إذا ما طَرَدَتْ	فائتاً ما بانَ عنها هربا
وإذا ما انحدرت عن طاردٍ	سبقَتْ لم يبغِ منها أربا
عُوِّدتْ بالحرب حتى أنها	لم تزلْ تَهْوَى التلاقِي طربا
بدروعٍ سابغاتٍ زُغُفٍ	شاهدات أيام عادٍ وسبا

(١) السمط : ٤/ ٢٧٠ .

(٢) السمط : ٤/ ٢٧٣ .

إلى أن يقول :

نَحْمي البَيْتَ ونحمي جُدَّة ... وربا حَلْيَ وأكناف قُبَا
بسيوفٍ جُرِّدتْ من غُمَدٍ ... كبروقٍ يخترقن الحُجُبا
قل لمن رام يناوينا ومن ... رام يأتي بيتنا مغتصبا
لا تحج البيت إلاّ خاضعاً ... دافعاً عُشراً لنا ثم (جَبَا)[1]
وإذا ما حجّه ذو عزّةٍ ... ترك الأمر وجا مصطحبا
وإذا ما كان رأساً لم يعد ... عندنا يا صاحِ إلاّ ذنبا
سورةُ الفِيل لنا كافيةٌ ... أترك الجهل وخلِّ الكذبا

فلما بلغ الغساني هذا الجواب تخلف عن الحج ، وأمر من يترصد للذروي في بلاده صبيا ، فترصدوا له حتى إذا نزل ساحل جازان تحيّلوا عليه حتى ركب معهم فساروا به الى الغساني ، فحبسه وضيّق عليه ، فانشأ القصيدة التي ألمحنا إليها ، ومطلعها :

من لِصَبٍّ هاجه . .

ومنها :

مَنْ لِصَبٍّ هاجه نشر الصِّبَا ... لم يزده البَيْن إلاّ طربا
وأسيرٌ كلما لاحَ له ... بارقُ القِبْلة من صبيا صَبا
وَلِطَرْفٍ أَرِقٍ إنسانُه ... دونَ مَن يشتاقُه قد حُجِبَا
لم يزل يشتاقُ (نَخْلان) وإن[2] ... قَدِم العهدُ ويهوَى الطُّنُبا
ما جرى ذكر المغاني في ربا ... صَبَواتِ الشط إلاّ انتحبا

---

(١) في مطبوعة سمط النجوم العوالي (حُبَا) وهو فيما يبدو اجتهاد من المحقق ، ولكن الذي في لهجة أهل الحجاز (جبا) وهي كلمة كالمرادف للإكرامية والهدية ، غير أنها لا تعطي معناهما تماماً ، فالجبا ما يكرمك به الإنسان عن طيب خاطر ولا تكلف ، وفي بعض المطاعم يكتبون : الجبا ممنوع .

(٢) نخلان : وادٍ يمر شمالي صبيا .

حبذا صلب القيسا وطني[1] … ولويلات بها ما أعذبا
وربا البيرين من قبليّة … وشراب بهما ما أعذبا
يا أخلّائي بصبيا واللوى … وأحبائي بِتَيَّاك الرُّبا
هل لنا نحوكُمُ من عودةٍ … لنرى سدركم والكثبا
فلكم خادعتُ قلبي جاهداً … يتسلّى عن هواكم فأبى
فاذكروا صبّاً بكم ذا لوعةٍ … بان عنكم كارهاً مُغْتَصَبا
وإذا عنَّ له ذكراكُمُ … صاح واغنصّ الحِسا وانتحبا
وإذا ما سجعتْ قُمْريّةٌ … صاح من فرطِ الأسَى : واحَرَبا

إلى أن يقول :

أخوتي بالشام[2] بل يا سادتي … وأعز الناس أُمّاً وأبا
ومساعير الوَغَى من حَسَنٍ … وبنو الحرب إذا ضاقَ القبا

ومنها :

أيها الرائح بالشام على … قَلَقٍ السيرُ كهبّات الصَّبا
أو كسهم طار عن مَحنيَّةٍ … ذات زورين إذا ما ركبا
قل لمن كان لمأذون القضا … ولأحداث الليالي سببا
والذي أوقد نيران الغضا … زد على نارك يا ذا حَطَبا
واستلب ما شئت عمداً فعسى … عن قريب أن تحط السلبا
إن يكن سرَّكَ ماسا فعسى … كي ترى من بعد هذا عجبا
إن ظننت الدهر يوماً واحداً … فلقد حاولتَ أمراً كذباً
ربَّ صدعٍ كان أعيى شعبُهُ … أدركته رحمةٌ فانشعبا

فلما بلغ الشريف بركات أمر الذروي ، أمر بفدائه بمائة ألف ناقة .

ثم أطلق الذروي ، غير أن المصدر لا ينص صراحة على قبول الفداء ، وذكر أن أحمد الغساني أقسم ألاَّ يُخرجه من الحبس حتى ينشعب هذا الصدع

---

(١) موضع قرب صبيا ، أيضاً .

(٢) يقصد بالشام صبيا ونواحيها والعرب تقول لكل ما هو جهة الشمال شام .

وأشار إلى صدع في الصخر ، وإن الذروي بعد أن أنشأ قصيدته التي مرت معنا أرسل الله المطر فأصبح الصدع وقد انشعب ! فأطلقه وأحسن إليه .

ونلمح من قصيدة الذروية بيتاً وكأنه يعرض بهذا الخبر إذ يقول :

ربَّ صدع كان أعيى شعبه   أدركته رحمة فانشعبا

على أننا لا نريد أن نمر بأريحية الشريف بركات دون أن نذكر الفضل لأهله ، فإن فدائه الذروي بمائة ألف ناقة لهو ذروة الوفاء ، مائة ألف ناقة ؟ ! إن هذا الرقم قد لا تفي به كل واردات الحجاز آنذاك ، فإذا بركات يقدمه بطيبة خاطر فداء لصديق وقف معه ضد أحمد الغساني ، وبسبب هذا الموقف سجن ، فإذاً فالشريف يرى نفسه شريكاً في تسبيب الأذى للذروي ، ولذا فإن عليه فداءه .

وفي سيرة محمد بن بركات نجد العصامي[1] يُعدد حروبه ومن فتك بهم من الخارجين ، فيقول :

كقتال أهل الينبع لما لم يوافقوا على الخضوع ، وأجلى الجميع من بلادهم وكفهم عن مقاصدهم ومفاسدهم .

وكأهل جازان لما وقع منهم ما وقع من عصيان فقتلهم واستبى ، وملك بلادهم واجتبى . وكقتل أهل (حلي) والعبيد ، وتشريدهم كل تشريد ، وإخراجهم من البلاد ، والقبض على أميرهم (الحرامي) وجعله مع أهل الجرائم والعناد ، إلى غير ذلك مما لا يحصله قلم كاتب ولا ديوان حاسب .

وكانت وفاة محمد هذا سنة ٩٠٣ هـ .

وفي ذكر ولاية حسن بن أبي نمي الثاني ، نجد العصامي يقول :[2].

فتقلد ـ أي حسن ـ حماية الحرمين الشريفين وجدة المعمورة وينبع وخَيْبر وحلي وجميع ما شمله اسم الأقطار الحجازية وذلك من خيبر إلى أطراف أعمال

---

(١) السمط : ٢٧٨/٤ . ومحمد هذا ابن بركات بن حسن بن عجلان ، وعجلان أول من ضم مقاطعات من اليمن إلى الحجاز كما تقدم معنا .

(٢) السمط ص ٣٣٠ .

(٣) نفس المصدر : ٣٩٥ .

جازان طولاً ، ومن أعمال الينبع (ينبع) المبارك إلى حجاز ثقيف وما اتصل به من أرض نجد عرضاً ، وكان ذلك سنة ٩٦١ هـ .

ويبدو أن سلطنة بني حرام انقادت للأشراف - في الغالب - منذ أن فتح عجلانُ حَلْيَ كما قدمنا - وإن كان الحراميون كانوا يحاولون الخروج من وقت إلى آخر . فنرى في حوادث سنة ١٠١٩ هـ الشريف محسناً ابن حسين يغيث عمه الشريف إدريس ، ومعه أمير حلي محمد بن بركات الحرامي ، وكان - لا شك - يقود جموعاً من أهل تهامة .

وفي ترجمة الشريف حسن بن عجلان بن رُمَيثه بن محمد أبي نمي بن أبي سعد بن حسن بن قتادة ، نجد صاحب العقد الثمين يذكر أخباراً[(١)] ذات فائدة عن حلي ، فهو يذكر خروج بعض الأشراف على حسن ، فيقول : وكانوا قد اجتمعوا بدُرَيْب بن أحمد بن عيسى صاحب حَلي ، وخوفهم من حسن في مرورهم عليه إلى وادي مَرّ (مر الظهران) .

ويقول[(٢)] : في سنة أربع وثمانمائة في صفر ، توجّه - أي حسن - إلى حَلْي ، لأن كنانة استدعوه إليها عقيب فتنةٍ ، كانت بينهم وبين دريب بن أحمد بن عيسى صاحب حلي وجماعته .

وفيها قُتِلَ دُرَيْب يوم عرفة من سنة ثلاث وثمانمائة .

قلتُ : كذا ورد في مطبوعة العقد ، أن حسناً توجّه الى حلي سنة (٨٠٤ هـ) لتهدِئَة فتنة دريب وجماعته ، ثم يقول بعد ذلك مباشرة : وفيها قتل دريب سنة ٨٠٣ هـ . ولعل في أحدهما وهماً ، أو أن كنانة استقدمت حسناً في آخر سنة ٨٠٣ بعد مقتل دريب ثم توجّه حسن سنة ٨٠٤ هـ .

وفي سنة (٨٠٦) هـ فيما أظنه[(٣)] ، بعث حسن رتبة إلى حلي ، مقدمهم

---

(١) العقد الثمين : ٤/٨٩ .

(٢) العقد : ٤/٩٦ .

(٣) نفس المصدر : ١٠١ .

عليّ بن كُبَيْش، فاستغفلهم بعض جماعة (موسى صاحب حلي) ، وفتكوا بهم .

أي أن موسى خَلَف دريباً في إمارة حلي ، وأن الأمر لا زال وراثياً ، ولصاحب مكة الجباية والدعاء .

وفي سنة ست أو في سنة سبع وثمانمائة ، توجه الحراشي إلى حلي ، وبنى فيها مكاناً يتحصن فيه أصحاب حسن ومن انضم إليهم .

وفي سنة ٨٠٧ هـ شفع إليه الملك الناصر أحمد بن اسماعيل صاحب اليمن ، في تركه التشويش على موسى صاحب حلي ، فيما أبعده ، وحثه على الموافقة أديب العصر ، القاضي شرف الدين اسماعيل بن المُقري اليمني بقصيدة مدحه فيها ، أولها :

أحسنت في تـدبير ملكـك يـا حسن وأجـدت في تحليـل أخـلاط الفِتَنْ

وهي القصيدة التي ذكرنا شطراً منها في أول هذا البحث ، وهي لعفيف الدين عبد الله بن قاسم الذروي ، وليست لشرف الدين المقري .

وفي حوادث سنة ٨٢٢ هـ يقول الفاسي[1] : وقصد ـ أي حسن ـ صوب اليمن ناحية الخريفين[2] ، وجاوز ذلك وراسل صاحب حلي محمد بن موسى بن أحمد بن عيسى الحَرَامي ، في أن يزوجه أخته ، ورغب في أن تُزفّ إليه ، فأجابه إلى تزويجها بشرط حضوره إليهم ، فأعرض عن الحضور إليهم .

وفي حوادث سنة ٨٢٣ هـ نرى الشريف حسناً يتوجه في صفر إلى حلي ، وتلقاه صاحبها محمد بن موسى بالحَسَبَة[3] (الأحسبة) ، وبنى في حَلْي بأخت محمد بن موسى الحرامي .

---

(١) نفس المصدر : ١٣٤ .

(٢) الصواب الخريقين ـ بالقاف ـ وتسمى اليوم الخرقان ، وهي عادتهم في جمع المثنى ، وهي قرب الليث .

(٣) نفس المصدر : ١٣٨ .

وفي سنة ٨٢٨ هـ نجد الشريف حسناً مقيماً بحلي تاركاً مكة والملك .

ومن مداومة الشريف حسن على دهل اليمن ومصاهرة سلاطين بني حرام ، توطن بنوه في حَلْية وعُلْيَب وما والاهما إلى اليوم ، وقد تقدم الحديث عنهم .

ولم تصل إلينا أخبارٌ عن إنجابه من بنت موسى الحرامي وعدمه .

وأخبار حلي في العصور المتأخرة كثيرة ، غير أن لها ذكراً لطيفاً سابقاً بعض الشيء ، أردت أن أختم به هذا البحث .

فلإبن هُتَيمِل مدائح تسمى (الكنانيات)[1] .

جاء في أولها : الأمير فخر الدين أحمد بن علي الحَرَامي الكناني (أمير حلي بن يعقوب) . يقول في مدحه :

بَعَثَتْ إليك بطيفِها المَكْذُوب   مِنْ خوفِ رؤيةِ كاشحٍ ورَقيب

واستمسكتْ ريح الصَّبا فَتَجَلْبَبَتْ   بطواف ريش غرابه الغربيب

إلى أن يقول :

أقسمتُ ما الدنيا وبهجة أهلِها   وجمالها إلاّ بنو (يعقوب)

المؤثرون ـ على الخصاصة ـ ضيفهم   بخصائص المطعوم والمشروب

ومن هذه الأبيات نعرف أن أسرة بني حرام الحاكمة في حلي كانت تنتمي إلى جدٍّ يُسمى يعقوب ، وأنه مؤسس هذه الأسرة ، لأن الأسر الحاكمة تنتمي عادة إلى الَجدّ المؤسس ، وأن يعقوب هذا ـ ربما ـ هو الذي أسس مدينة حلي ، ولذا نَسَبَها إليه .

ويذيل شارح ديوان ابن هُتَيْمِل ، وهو الأستاذ محمد العقيلي ، بما يفيد أن لأحمد هذا أخاً كان غاية في الجود يدعى موسى بن علي الكناني ، وأنه عاصر عمر بن علي الرسولي ، وأن عمر أطلق عليه لقب أمير .

---

(١) ديوان ابن هتيمل : ١٥٨ .

فهل هذا هو أول أمير كناني من هذه الأسرة ؟ قد يكون ، وقد يكون إطلاق الرسولي هذا اللقب من باب الاعتراف .

وعمر بن علي هذا توفي سنة ٦٤٧ هـ .

الخلاصة

مما تقدم من بحث ونصوص تجد أن :

١ ـ قامت مدينة حلي بن يعقوب بعمارة وهمة سلاطين بني حرام .

٢ ـ اضمحلت باضمحلالهم .

٣ ـ المراجع المتيسرة لا تعطينا وقتاً معيناً لخراب هذه المدينة ، وإن كنا ألمحنا إلى أنها تقهقرت ثم اضمحلت ، وقد قامت القنفذة ـ فيما يبدو ـ على أثر اضمحلال حلي ، على أنها تبعد عنها مسافة (٦٠) كيلاً .

٤ ـ حالة المدينة الآن : رموس وبقايا أساسات لا تكاد ترى ، وبعض مُخلفات الإنسان ، وتوجد بويتات على هذه الأنقاض مكونة من عشش وصنادق ، ولا شيء يذكر غير هذا ، حتى مدرسة ابتدائية أو مسجد صغير ليس فيها شيء منهما .

٥ ـ على أن ذكراً هاماً لهذه البلدة لا يمكن اغفاله ، وهو يرجعها ويرجع بني حرام كدولة الى القرن الرابع .

ذلك هو قول الهمداني[١] :

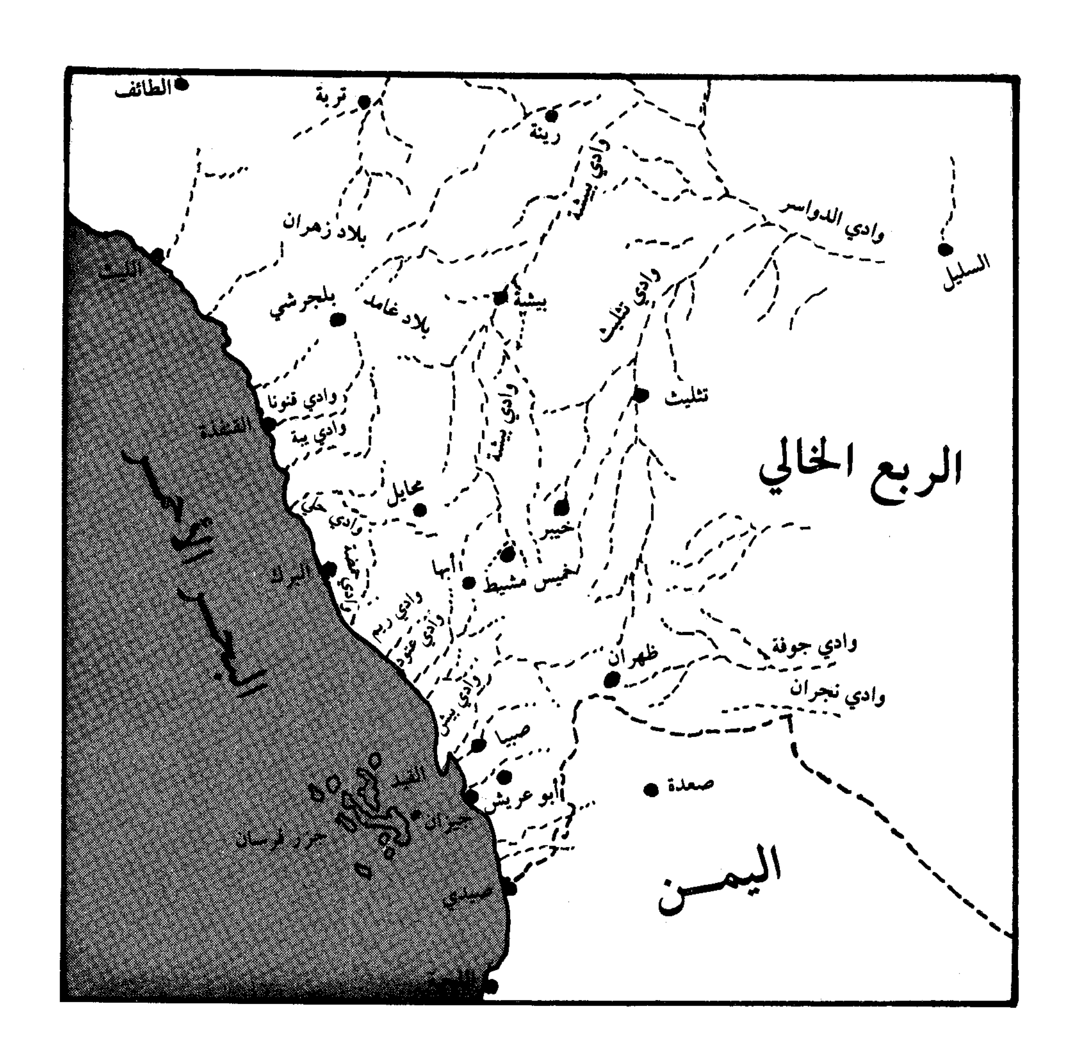
وحلي وهو مخلاف وقصبتها « الصحارية » موضع رؤساء بني حرام[٢] .

ويُطلق اليوم عليها اسم (حلي قديم) .

---

(١) صفة جزيرة العرب : ٢٥٩ .

(٢) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، توفي في أول القرن الرابع الهجري .



مصور يوضح اودية عسير

وادي حَلْي

تحدثنا في الفصل السابق عن (حلي ابن يعقوب) أي مدينة حلي ، وبحثنا هذا هو في حلي الوادي .

ضبطه المتقدمون بفتح الحاء المهملة ، وسكون اللام ، فقال ياقوت : حَلْيٌ : مدينة باليمن على ساحل البحر ، بينها وبين السِّرَّيْنِ يوم واحد ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام ، ثم خلط بين حَلْي وحَلْيَةَ .

وأورد شاهداً يدل على وادٍ لا على مدينة حين أورد شعراً لأعرابي ، يقول فيه :

فـــوالله مـــا أحْـبَبَـتُ سِـــدْراً بـبـلدةٍ   من الأرض ، حتى سِدْرَ حَلْي اليمانيا

أما صاحب المفيد في القرن السادس فيقول[1] : ويتلو ابن طرف[2] من ملوك تهامة في الخطبة والسكة لابن زياد وحمل إتاوة مستقرة، الحرامي صاحب حلي ، وهو دون ابن طرف في المكنة ، وكانت حدود صاحب حلي تصل ما بين البرك جنوباً إلى دوقة شمالاً .

---

(١) المفيد في تأريخ صنعاء وزبيد ص ٦٢ .

(٢) هو سليمان بن طرف من بني حكم من سعد العشيرة من مذحج ، كان ملكاً على ما بين الموسم إلى البرك ، وسميت هذه الأرض (المخلاف السليماني) نسبة إلى سليمان هذا .

وكانت حلي إحدى محطات طريق الحج اليماني ، وسيأتي ذكرها في الطرق .

مآتي حلي :

يأخذ أعلى مساقط مياهه من رأس عقبة تَيّة وما يقع شمالها وجنوبها من شعوف سروات ربيعة ورفيد من عسير غربي مدينة أبها ، وسعوف سروات بني شهر وغيرهم من آل حجر من شمالي أبها إلى قرب النماص .

وتصبّ فيه أودية فحول تجعله من كبار الأودية بل أكاد أقول أكبر وادٍ في تهامة يجري ماؤه غيلاً لا ينقطع ، ومن هذه الروافد :

١ ـ وادي تَيّة : وهو الامتداد الرئيسي لوادي حلي ، وأكثر الناس تسميه حلياً ، وحلي هو الوادي الوحيد الذي لا يتغير اسمه من منبعه إلى مصبه من هذه الأودية ، رأسه عقبة تَية ، يعمل الآن فيها لتكون موصلة بين أبها ومحايل في تهامة ، وهذا الوادي يصبّ بطرف مدينة محايل من الجنوب ، ويسكن أعلاه ربيعة ورفيد ، ووسطه آل موسى كلها من عسير .

٢ ـ وادي قنا والبحر : وادٍ فيه بلدة قَنَا ، وفيه بلدة بحر أبو سُكَينة ، وهما يجمعان فيقال قنا والبحر ، وسيأتي الحديث عنهما عند مروري بهما في آخر الرحلة .

٣ ـ وادي الريش : وادٍ يمر شمال محايل فيصب في حلي بعدها ، وسكانه الرِّيْش .

٤ ـ وادي بَقْرة : وادٍ كبير متعدد الروافد يمر في ديار بارق ، وهو كثير القرى والمزارع ، وله روافد عديدة من أهمها :

أ ـ وادي جبال ، يصبّ فيه من اليمين ، لبارق أيضاً .

ب ـ وادي الهَيَجْة : يصب فيه من اليمين أيضاً ، وروافد أخرى أصغر مما تقدم .

٥ ـ وادي شَرِي : من الأودية الكبار ، ومن أقوالهم في تحديد وادي حلي : (حلي من شري إلى حلي) . أي من وادي شري هذا في آخر الشمال ، إلى وادي حلي الذي مر معنا قرب محايل ، ويقابل وادي شَرِي هذا بالرأس وادي شري الذي يصب في وادي يبة .

وسكان شري هذا بارقٌ أيضاً ، وفيه زراعات كثيرة وقرى تتراءى، وله روافد عديدة منها :

أ ـ شعيب: يصب في شَرِي من اليسار ، وهناك شعيب آخر يقابل هذا بالرأس ويصب في بَقْرَة .

ب ـ وادي الحَقْبة : يصبّ في شري من اليمين .

هـ ـ وادي الرَّدَّة : يصب في شري من اليسار .

ويسمى أسفل وادي شري وادي الحمض ، ولكن هذا الأسم ليس بغالب .

وكل هذه الأودية : بقرة وروافده ، وشري وروافده من بلاد بارق .

وتجتمع هذه الروافد الكبار في موقع قرب جبل ثربان من الجنوب ، وهذا الموقع يُسمى (سهول) .

مررت به في عودتي ورسمت له مخططاً ، وبه جرت معركة بين جيش الحسين بن علي وأهل بارق ، سأذكر موجزها مع رسم المخطط إن شاء الله في آخر الرحلة .

سكان حلي :

سكان وادي حلي في فروعه الجبلية قبائل عديدة معظمها ينتمي إلى عسير سواء بالحلف أو النسب وبعضها أزدية كأهل بارق .

أما اسافله في الساحل فجلّها كنانية ، وإن لم تعد حتى بني حرام تُعرف أنها من كنانة .

وإليك موجز عن السكان :

١ ـ ربيعة ورفيد : تسكن أعلى وادي تية ، وتميل إلى شرق السراة وأبها .

٢ ـ أهل قنا : فروع تسكن وادي قنا ، وسنذكرها عند مرورنا هناك .

٣ ـ آل مسهر : تضم إلى عسير ، شمال بحر أبي سُكينة ، وستذكر أيضاً .

٤ ـ آل خَتَارش : ستذكر عندَ العودة .

٥ ـ آل موسى ، ويرجعون في داعية عسير ، ويسكنون محايل وما حولها ، ولهم بحث خاص ، وهم غير آل موسى بن علي البارقيين .

٦ ـ آل دُرَيب : أسفل وادي محايل ، سيأتون في العودة .

٧ ـ آل الرَّيْش : من عسير (داعية عسير)[1] ، وستأتي .

٨ ـ آل مَشْوَل : شرق محايل ، ولم أصل إلى أرضهم إنما أشير اليها من بعيد ، وهم من عسير .

٩ ـ بنو ثوعة : من عسير ، جيران آل مَشْول .

١٠ ـ أهل بارق ، يسكنون معظم وادي بَقْرة ووادي شري ، ولهم بحث خاص .

سكان حلي في السهل :

١ ـ قبيلة العمور ، المذكورين في يَبَة : وهم حوز السهل من الجبل ، ويسمون هنا عمور السَبَطة ، وهي قريتهم التي ينتشرون حولها .

٢ ـ جِرّ الأَحمري : يلوُن العمور مما يلي السهل ، على الحرف الجنوبي لوادي حلي ، وهي قبيلة مستقلة .

٣ ـ السَّلاَلِمة : على الحرف الشمالي المقابل لجر الأحمري ، ويخالط السلالمة بعض النواشرة ، هذه القبائل كنانية لا شك .

---

(١) إذا قال أهل الجنوب : في الداعية أو الشمل ، فمعنى ذلك أن القبيلة مستقلة لا يشملها إلا ما يشمل جميع فروع القبيلة ، وهذه الفروع صغيرة إنما أخذت تستقل عنوة على الشيوخ الكبار .

٤ ـ الغَوَانِمة : على الحرف الشمالي بعد السلالمة مما يلي البحر ، ويقال أنهم يعودون إلى حرب الحجاز (الخولانية) وهم أقرب إلى الجبل من البحر .

٥ ـ قبائل الصُّحَب : والنسبة إليهم صُحَبي ، والصحيح أنهم من الغوانمة ، انفردوا عنهم في المشيخة ، وهم على حرفي وادي حلي ، ويمر الطريق المزفت بأسفل ديارهم ، ولهم قرية الصُّفَّة ، مقر إمارة حلي على الطريق وينسبون الى حرب ، نسباً أو صيحة .

٦ ـ الزيالعة الملقبون بالمتاحمة : يخالطون الصُّحب في قرية الصُّفّة ، وكذلك بعض فقهاء المشاييخ .

وينضم إلى الصحب فئة يقال لهم (الهُيَلَة) .

٧ ـ بنو حرام : بقايا تلك القبيلة ذات المجد الغابر التي تقدم ذكر أمرائها في حلي بن يعقوب ، تسكن قرية كِيَاد على الحرف الجنوبي حيث يمر الطريق .

وبقيتهم قليل ، ولهم موالي عديدون يحمون لهم ، وسيأتي بعض ذلك عند الحديث عن كِيَاد .

٨ ـ العلاونة : واحدهم علوي ، كانوا يعترفون بكنانيتهم إلى عهد قريب ، ويخالطهم الفقهاء الزيالعة ، وهم بنو عم الزيالعة المتاحمة ، وتسكن هذه القبيلة على حرف الوادي الشمالي غربي الصُّفَّة .

٩ ـ الغُبَشة : وهم من الجدعان من زُبَيد من حرب ، ويسكنون على الحرف الجنوبي للوادي ، وينضم إلى مشيخة العلاونة ، فئات :

أ ـ الحوادثة من المقاعدة في بلعير .

ب ـ الدراهمة .

جـ ـ الخوالدة ، وهذه كما يظهر من بطون كنانة .

١٠ ـ المشاييخ : وهم ينسبون إلى الشيخ : علي بن عبد الله الطواشي ، ويسكنون البَيِّضيْن وتوابعه .

١١ ـ السادة العَراقِيَة : ويسكنون على أنقاض حلي ابن يعقوب ، ويتبعون مشيخة كنانة .

١٢ ـ قبائل كنانة : هذه قبيلة تفردت باسم كنانة ، ولذا فمعظم قبائل كنانة

الأخرى لا تنتمي إلى كنانة ظناً منها أن الانتساب إلى كنانة هو انتسابٌ إلى هذه القبيلة المنفردة ، وسألت أحد موالي بني حرام : أليس بنو حرام مِنْ كنانة ؟! فقال ـ بامتعاض وإنكار ـ لا ! لا ! .

تقع ديارها على امتداد مجرى وادي حلي إذا تجاوز الطريق المزفّت وعلى جانِبِه إلى البحر .

ولقبيلة كنانة (المسماة بهذا الاسم خاصة) فروع عديدة وقرى ، ولها إمارة خاصة غير إمارة عموم حلي في (الصُّفّة) ، وقد تقدم أن إمارتهم في (مخشوش) .

ومن فروعها :

١ ـ المَعَايشة : وتقع أرضهم غرب المشاييخ، وغرب الطريق المزفت مباشرة .

٢ ـ الشواعِرة : واحدهم شاعري : وتقع أرضهم غرب المعايشة مما يلي البحر .

٣ ـ الصَّلاَبِنة : وهم سكان الأرض المعروفة بالصُّلْب ، وقد تقدمت معنا قرب حلي بن يعقوب ، شمال السادة العَرَاقِية .

٤ ـ الفُلَحة : وهم يجاورون الغبشة من الغرب ، وقد قدمنا الغبشة .

٥ ـ بنو يحيى : وسكناهم جنوب الشواعرة .

٦ ـ ويتبع كنانة فئات صغيرة ، منها :

أ ـ السادة الأفاهمة : وهم هاشميون ـ كما يقول أخونا حسن الفقيه ـ ولديهم مشجرة بذلك .

ب ـ السادة العَرَاقِيَة : وقد تقدم الحديث عنهم .

جـ ـ الأشراف البراكيت ـ قسم منهم ـ المُسمّون بالبهاليل ، وقومهم في وادي يَبَة .

د ـ بيت من الأشراف ذوي رُمَيْثة، نازل معهم ويتبع العلاونة.

٧ ـ بنو حَرَام : وهم سكان قرية كِيَاد على المزفت ، ويُقال أنهم قلة ،

والكثرة في مواليهم ، ومواليهم لهم اعتزازٌ واعتزاء بأسيادهم بني حرام ، فإذا اعتزى أحدهمْ ، قال : (أنا عبد الحَرَامي) . وكأن أخي الأستاذ حسن الفقيه أراد أن يؤكد لي ذلك سماعاً ، فسأل مولىً أسود في مقهى بكياد ، فقال له : ماذا تقول إذا اعْتَزَيْتَ ؟! قال ـ بابتسامة ولمعان في عينيه ـ أقول : (أنا عبد الحرامي)، وبنو حرام منفصلة عن كنانة .

ويبدو أن بني حرام في بقايا من مجد تليد ، لأنّا وجدنا القوات التي حاربت الشريف حسين وقدمناها في موقعة عجلان ، منها قائدان حَراميّان .

وهذا يدل على أن لهم بقية من زعامة في نفوس القبائل المجاورة .

ويخالط بني حرام في كياد ـ غير مواليهم ـ بيت من الحضاريت ، الذين ذكرناهم قرب الوسقة . وفخذ يُقال لهم : الخُرَيزات ، منهم قسم مع الغبشة المتقدم خبرهم .

انتهت حلي مدينة ووادياً وسكاناً .

بنو كنانة

إحدى كبريات القبائل العربية في الجاهلية ، وأُمٌّ لقبائل كبيرة في الإسلام ، ظلت تُخرّج أجيالاً من عباقرة الإسلام وقادته ، فكان منها رسول الله ﷺ ، وخلفاؤه الأربعة ، ومنها خلفاء بني أمية وبني العباس ، ومنها أُسرٌ حكمت بقاعاً بعيدة من العالم الإسلامي ، مثل الأندلس ، والمغرب والفلبين وغانا والحجاز ، وغيرها .

وكل من عددنا كان من قريش ، لبّ كنانة وخلاصتها .

نسب كنانة :

هم بنو كنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان .

كان لكنانة من الولد[1] :

عبد مناة بن كنانة ، وعامر بن كنانة ، وعمرو بن كنانة ، ومالك بن كنانة ، والنظر بن كنانة ، وهو أبو قريش .

وقال في الجمهرة[1] : وُلِدَ لكنانة بن خزيمة بن مدركة : النضر ، ومَلْك ،

---

(١) سبائك الذهب ص ٦١ . جمهرة أنساب العرب ص ١١ .

وملكان ، وعبد مناة . لم يعقب لكنانة ولد غير هؤلاء .

قلت : لعل (مَلْك) هذا هو مالك ، وهو ـ كما سيأتي ـ ذو فروع وكان نسله قبيلة كبيرة .

وقال البلاذري[1] :

وُلِدَ لكنانة بن خزيمة : النضر ، ونضير ، ومالك ، وملكان ، هذا عن الكلبي .

ويقول غيره : وُلِدَ له : ملكان ، وعامر ، وعمرو، والحارث، وسعد ، وعوف وغنم ، ومخرمة ، وجرول ، وغزوان ، وجذال .

قال المؤلف : بعض هؤلاء من الأحفاد كما سترى في فروع كنانة .

فروع كنانة :

كانت كنانة ، قبيلة كبرى واسعة الديار والانتشار ، كثيرة الفروع ، فمن فروعها :

١ ـ عبد مناة بن كنانة ، كانت ذات ديار واسعة وفروع كثيرة ، فمن فروع بني عبد مناة : أ ـ بنو بكر : قبيلة كبيرة ،كانت تملأ ما بين بدر إلى ساحل جدة ، ومنها بنو ضمرة: في وادي الصفراء وما حوله ، والدئل بأسفل مرّ الظهران ، ومدلج : بين أمج والجحفة ، وفي وادي ينبع ، وليث ، ومن لَيْث : عامر : ذات فروع . أي أن بني عبد مناة بن كنانة كانت تملأ ما بين مكة وينبع .

٢ ـ مالك بن كنانة : كانت ديار بعض فروعها أمج وغران[2] ، وبعضهم كان يقيم جنوبي مكة ، وفي بني مالك هذا يقول مسافع الجمحي ـ يحرضهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) أنساب الأشراف ص ٣٦ .

(٢) انظر عن هذه المعالم (معجم معالم الحجاز) .

يـا مـال ، مـال الحسب المُقـدَّم أنشـد ذا القُرْبَى وذا التَّـذَمُّـم
من كـان ذا رُحْمٍ ومن لم يَـرْحَـم الحِلفَ وَسْط البلدِ المحـرَّم
عند حطيم الكعبة المُعظَّم

ومن مالك كان بنو غنم ، ومن بنو غنم كان بنو فراس بن غَنْم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة .

وفي بني فراس هؤلاء كان يقول علي رضي الله عنه ـ لجيشه يوم صفين وكان عشرة ألآف ـ : وددت والله أنّ لي بكم ألفاً من بني فراس بن غنم ، صرف الدينار بالدرهم ! .

وكان من بني مالك بنو جذيمة الذين أوقع بهم خالد بن الوليد على ماء يدعى الغميصاء جنوب مكة[1] .

ومن بني جذيمة قبيلة بني شعبة لا زالت في ديارها حتى اليوم .

٣ ـ كان من فروع كنانة : ملكان ، وبهم سمي وادي ملكان جنوب مكة[2] . ولعل بقاياهم دخلت في بني شعبة عدا بني حرام .

٤ ـ وكان منهم (أي كنانة) بنو حرام ، كانت باليمن وكوّنت دولة هناك ، وقد تقدم الحديث عنها ، قُبيل هذا البحث[3] .

٥ ـ على أن أشرف وأشهر قبائل كنانة : بنو النظر بن كنانة ، وعُرفوا بقريش ، ومنهم كان بنو هاشم وبنو أمية[4] ، ولا يتسع المجال في هذا البحث لغير هذا .

ولا زال لبني هاشم فروع تملأ كثيراً من بقاع الإسلام .

---

(١) انظر معالم مكة التأريخية والأثرية .

(٢) انظر عن هذه المعالم (معجم معالم الحجاز) .

(٣) وهم بنو حرام بن ملكان بن كنانة .

(٤) انظر عن قريش (معجم قبائل الحجاز) .

شرف كنانة :

رُويَ عنه ﷺ ، قوله : « اختار الله كنانة من العرب ، وأختار قريشاً من كنانة ، واختار بني هاشم من قريش ، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيارٌ من خيارٍ من خيار » .

وجاء عن الشافعي رحمه الله : إن الكنانية ليس لها كفء في الزواج إلاّ كناني أو قرشي ، وليس للقرشية كفء إلاّ قرشي .

وبهذا وبانتساب صفوة الخلق إلى كنانة شُرِّفَتْ كِنانة على غيرها .

ديار كنانة :

كانت ديار كنانة تمتد من بطن ينبع شمالاً أخذت على التهائم ملاصقة لسيف البحر إلى وادي بيض قرب بَيْش جنوباً ، وهي مسافة تقدر بما يقرب من ألف كيل ، وتدخل ديارها في تهامة الحجاز بخط متعرج ، ففي الشمال كان لها معظم وادي الصفراء ، والأبواء وأودية : دوران وكلية وأمج وغران ، وأسفل مرّ الظهران ، وفي كل هذه الناحية كانت تتداخل ديارها مع ديار خزاعة ، ثم تتوغل في تهامة عند مكة حيث كانت تطيف بها إلى ذي المجاز والمغمّس ، وهكذا ديارها في الجنوب تميل إلى الساحل ثم تدخل في الأودية بين حين وآخر إلى ما حددناه من جهة اليمن .

بعض تأريخ كنانة :

١ ـ في الجاهلية . نظراً لاتساع ديار كنانة فإنه ما كان يمكنها أن تشترك في حادثة واحدة ، ولذا فإنّنا نجد كل قبيلة منها أو قبائل متجاورة لها حوادث وأيام مع من يجاورها من القبائل .

وأعظم أيام كنانة كانت أيام الفجار ، كانت بين كنانة وعلى رأسها قريش وبين هوازن .

كان اليوم الأول من أيام الفجار بين كنانة وعجز هوازن بعكاظ ، أما الثاني

فكان بينها وبين بني عامر وعموم هوازن ، ثم كان الثالث مثل ذلك .

وينقل بعض المؤرخين أن بين كنانة وخزاعة يوماً بعتود ؛ وفي هذا نظر ، لأن ديار خزاعة ما كانت تصل إلى هناك .

وكان يوم البـرزة ، ويوم الكديد بين بني فراس بن غَنْم وبني سليم[1] وكان يوم بين ربيعة بن مُكدَّم في الأخرم وبين دريد بن الصمّة ، فيه سُمِّي ربيعة حامي الضغينة[2] . وربيعة بن مكدّم من بني فراس بن غَنْم .

وكان بين كنانة وخزاعة يوم بالتلاعة من جنوب مكة[3] .

وكانت لهم أيام مع هذيل ، ومع الأزد ، ومع خولان ، وغيرهم من القبائل .

٢ - في الإسلام : ناصبت كنانة الدعوة عداءها عند أول انبثاقها ، وحاولت وعلى رأسها كفار قريش وأد الدعوة في مهدها ، ولكن الله مُتِمّ نوره ولو كره الكافرون فكان لهم يوم الوتير على خزاعة[4] ، وكان لرسول الله معهم يوم بالأبواء بلا قتال ، ثم يوم لهمعهم فيذي العشيرة بلا قتال أيضاً .

وكان لخالد يوم على بني جُذَيمة بعد الفتح ، أوقع بهم في مكان يدعى الغميصاء[5] .

ثم كونت كنانة ممثلة في بني حرام دولة لها بحلي بن يعقوب ، وقد تقدم الحديث عنها . أما تأريخ قريش من كنانة فقد أصبح تأريخ العرب والمسلمين .

---

(١) انظر ذكره في موضعي البرزة والكـديد من معجم معالم الحجاز .
(٢) المرجع السابق (الأخرم) .
(٣) نفس المرجع التلاعة .
(٤) انظر معالم مكة ، الوتير .
(٥) نفس المرجع (الغميصاء) .

بقايا كنانة اليوم :

أدرك الإسلام كنانة وقد شاخت ، وأصبح بعض فروعها مستقلاً عنها تماماً ، كقريش مثلاً .

وكانت هناك عوامل كثيرة جعلت مقاومة هذه القبيلة للحفاظ على وحدتها مستحيلة ، من أهمها :

١ ـ فتح الإسلام مجالاً للإندفاع نحو الأرض الخضراء في مصر والشام والعراق، فهاجرت قبائل من كنانة كبني ضمرة التي ظلت قروناً تعرف باسمها في مصر .

٢ ـ إتساع ديار هذه القبيلة ومجاورتها لقبائل عديدة قوية أصبحت تسدد إلى أطرافها ضربات قوية .

٣ ـ موقعها المختار : شعرت قبائل السراة وعرضية تهامة أنها في حاجة إلى الموانىء البحرية التي تجلب منها الأرزاق ، ثم وجدت كنانة حاجزاً بينها وبين تلك الموانىء فأخذت تضغط عليها .

٤ ـ تأثر وضع كنانة خلال قرون طويلة بقوة جيرانها وضعفهم ، وكذلك قوة القبيلة نفسها وضعفها .

وكان أهم عاملين في تجزئة كنانة ودخولها في جيرانها هما :

١ ـ في صدر القرن الثاني للهجرة جاءت قبيلة حرب من اليمن[1] اثر قتال بينها وبين أخوتها قبائل خولان ، فكانت قبيلة مطعمة بتلك الحرب تبحث عن وطن جديد ، فحطت رحالها في وسط الحجاز حيث قبائل كنانة وخزاعة الشايخة .

ومن هنا أخذت تبتلع تلك البطون التي ألجأها حب الوطن والمال

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في كتاب الإكليل ج ٢ .

والعشيرة إلى الإنضمام إلى القبيلة الوافدة ، ولذا فإننا نجد قبائل في حرب تحمل أسماء وسمات كنانية لا شك فيها ، ومن هنا انمحى اسم كنانة مما بين مرّ الظهران إلى ينبع وكذلك خزاعة ، وحلّت محلهما حرب .

٢ ـ قوية قبائل زهران وبني شهر وبلقرن وعسير وغيرها في عصور قديمة ـ بعد القرن الرابع إلى القرن الثالث عشر ـ وظهرت فيها مشيخات وصل بعضها مركزاً يحكم منه بمفرده ، فتطلع هؤلاء الشيوخ إلى موانىء البحر ليجعل كلٌ منهم له ميناء يصل إليه مباشرة .

وما كان هذا يحصل إلاّ بالاستيلاء على أرض كنانية .

فضغطت زهران على كنانة منحدرة مع وادي دوقة فضمت أقساماً من كنانة تسمى الأحلاف ، فوصلت إلى دوقة واتخذتها ميناء تورد منها البضائع إلى المخواة وقلوة ، وبقية مدن زهران وغامدٌ .

وضغطت عسير على بني كنانة في أودية يبة وحلي وشفقة فضمت إليها قبائل من كنانة ، ووصلت عن طريق وادي شفقة إلى البحر ، ثم ضمّت كلاً من بني هلال ومنجحة ، ووصلت بواسطتهما إلى مينائي البرك والقحمة . وكانت ألمع الأزدية قد انضمت إلى عسير هي الأخرى ، فضغطت على ساحل الشقيق ، فضمت قبائل من كنانة إليها ووصلت إلى ميناء الشقيق .

وتتمثل لنا كنانة اليوم في العديد من القبائل الممتدة من مكة إلى بيش ، بعضها صريح معروف وبعضها تدل عليه دلائل واضحة ، وهنا نستعرض هذه القبائل ابتداء من جنوب مكة شارحين أوضاعها وحالتها الاجتماعية ، وهي :

١ ـ بنو شعبة الشمال : هذه القبيلة من قبائل كنانة القديمة ، وتقسم بنو شعبة في سكناها إلى : شعبة الشام ، وشعبة اليمن ، فشعبة الشام تمتد ديارها من وادي الأبيار (٥٥ كيلاً جنوب مكة) جنوباً إلى دوقة شمالاً ، مع فاصل جغرافي سنذكره ، أما شعبة اليمن فستأتي معنا في الدرب وعتود .

وأهم فروع بني شعبة الشمالية[1] :

أ ـ الجحادلة : وديارها وادي الأبيار وإدام وطفيل ، وما صاقب ذلك .

ب ـ عَضَل : القبيلة القديمة[1] ، انضمت إلى بني شعبة ، وديارها حول وادي مركوب .

جـ ـ رحمان : على الجانب الأيمن لوادي الليث .

د ـ الزنابحة حول الغالّة .

هـ ـ الجبرة : والنسبة إليهم جُبَيري ، وديارهم حول غُميقة من وادي اللّيث وقد تقدم بعض الحديث عنهم، ومن الجحادلة قسم في حرب[2] .

و ـ بنو شهاب : ديارهم دوقة ابن خير ، وقد تقدم الحديث عنهم هناك .

٢ ـ بنو هلال عفف : هم اليوم ينتسبون إلى بني مالك ، ولكن جيرانهم يقولون : إن أصلهم وبني هلال البرك واحد ، فلما انقطعت هذه القبيلة هنا انضمت إلى جيرانها بني مالك تهامة (من بجيلة) .

٣ ـ الخيرة : في دوقة ابن خير ، وإليهم منسوبة دوقة ، وهم رأس لا ينضمون إلى أحد ، وهذه ديار كنانة ، فيغلب أنهم كنانيون .

٤ ـ بلهيثم : جيران الخيرة ، وينطبق عليهم ما ينطبق على الخيرة .

٥ ـ المساعيد : وتجمعهم وبلهيثم مشيخة واحدة .

٦ ـ الروايقة : هذه أسرة ليست كبيرة ولها شق في خُلَيص مع زُبَيد ، ويظهر أنها جذع قديم محتفظ باسمه ، وأنه كناني .

٧ ـ الأحلاف : سكان صدر دوقة من زهران يسمون الأحلاف ، والقبائل العريقة كزهران إذا انضمت إليها مجموعة من القبائل حلفاً ، تأنف أن تخلطها

---

(١) انظر عنها معجم قبائل الحجاز .

(٢) انظر نسب حرب .

بنفسها ، إنما تكوِّن منها إتحاداً تطلق عليه اسم الأحلاف ، وله ما للقبيلة المنضم إليها وعليه ما عليها .

ويبدو أن فروعاً من كنانة آثرت الإبقاء على أملاكها والبقاء في ديارها فانضمت إلى زهران تحت هذا الاسم ، مضافٌ إليها بطون من هذيل أهل عُلَيْب ، لأن صدور عُلَيْب وحلية كانت من ديار هذيل .

٨ ـ اليعاقيب : وأحدهم يعقوبي : ويسكنون وادي الأحسبة .

٩ ـ الشملة : يسكنون أسفل وادي الأحسبة .

١٠ ـ بنو زَيْد : قبيلة كبيرة تسكن وادي قنونا حوز الساحل من الجبل وقد مرّت هناك .

١١ ـ الصفاصيف : فرع صغير يسكن ضواحي القنفذة الشمالية .

١٢ ـ السوابطة : فرع صغير أيضاً يسكن ضواحي القنفذة .

١٣ ـ بلعير : قبائل كبيرة تسكن وادي يبة ، وقد مرّ بحثها هناك .

١٤ ـ بنو يعلى : من صريح كنانة ، وقد مرّ الحديث عنها هناك .

١٥ ـ العمور : ويقال عمور السبطة ، وقد تقدم الحديث عنهم ، ويسكنون وادي يَبَة حوز السهل من الجبل .

١٦ ـ جر الأحمري : كلمة جر فلان عند أهل اليمن تعني (ذِرّ فلان) ، وهذه القبيلة يجوز أن تكون من غير كنانة ، وإنما نزلت ديار كنانة ، مثل : قبائل حرب والأشراف المنتشرة هناك .

١٧ ـ السلالمة : يجاورون جر الأحمري في وادي حلي ، وقد تقدم الحديث عنهم .

١٨ ـ بنو حرام : هؤلاء من صريح كنانة ، ويسكنون قرية كياد بوادي حلي ، وقد قدمنا الحديث عنهم .

١٩ ـ العلاونة : وأحدهم علوي : كانوا يعترفون بكنانيتهم إلى عهد قريب ، وتقدم الحديث عنهم في سكان حلي .

٢٠ ـ الخوالدة (خالدي) : من سكان وادي حلي .

٢١ ـ الصوالحة وبنو ذيب : قبيلتان تسكنان جنوب حلي ، منضمتان إلى آل موسى من عسير ، وترى بحثهما فيما يلحق .

٢٢ ـ كنانة : هذا قسم كبير يحتفظ باسمه وله إمارة خاصة ، ويسكن على العدوة اليسرى لوادي حلي قرب الساحل ، وقد ذُكر .

٢٣ ـ بنو هلال: قبيلة متوسطة تسكن حول بلدة البرك، ولها إمارة خاصة ، تتبع عسير في الصيحة ، ولا شك في كنانيتها ، ولها بحث يلحق .

٢٤ ـ منجحة : وديارها حول القحمة ، وتتبع صيحة عسير ، ولها بحث يلحق .

٢٥ ـ قبائل الشقيق : كنانية منضمة إلى ألمع ، وألمع : أزدية منضمة إلى عسير ، ولهما بحوث ملحقة .

٢٦ ـ قبائل مخلوطة : في وسط وادي ريم ساحله وداخله ، وهي منضمة إلى ألمع .

٢٧ ـ بنو شعبة اليمن : وهنا نصل إلى نهاية ديار كنانة من الجنوب ، وتمتد ديار بني شعبة هذه من شمال وادي عتود إلى قرب بيش ، وقد قدمنا بحثاً عنها فيما يلحق .

٢٨ ـ كِنانة : بطن في بنيوس (بني الأوس) ولعل هذا قديم في زهران .

٢٩ ـ كنانة : بطن من بني شهر لهم ثمان قرى بأعلى وادي نحيان[1] .

---

(١) كتاب رجال الحجر لعُمَر العمري : ص : ١٨ .

٣٠ ـ الحضاريت : قبيلة صغيرة تسكن أسفل وادي حلية ، والوسقة ، بين الليث ودوقة على الساحل .

الخلاصة :

لا زالت كنانة تملأ ديارها القديمة ، غير أن كثيراً من فروعها لا يعرف الانتساب إليها ، وبعضها الآخر انضم إلى قبائل أخرى فنسي نسبه .

بين حَلْي بن يعقوب وكِيَاد

تجولنا في آثار حلي ابن يعقوب ، فشاهدنا بعض الآثار المتناثرة ، ثم خرجنا منها باتجاه مطلع الشمس حيث يمرّ الطريق المزفّت ، ثم انحرف بنا الطريق شمالاً ، وعلى ما يقرب من كيلين مررنا بآثار (الثاية) وبها كثير من الخزف الملون كالقوارير والبرام ونحوها ، وحجارة على شكل مستطيل يعتقد أنها آثار مسجد ، ثم تجولنا للبحث عن الآثار بين أشجار : العرج والأثل التي يضِلُّ فيها السائر إلى أن وصلنا إلى قرية :

بَدْرَة

وهي آثار ومبان بسيطة من الصنادق ، وبعض بيوت مبنية حديثاً من الطوب الإسمنتي ، ويقال إنها البلدة التي كانت تلي مدينة حلي بن يعقوب في زمن ازدهارها .

وتقع قرية (بَدْرة) إلى الشمال الشرقي من آثار حلي بن يعقوب بحوالي خمسة أكيال ، وفيها بعض الآثار ، وكثير من آثارها لم يظهر لنا وهو ـ لا شك ـ مطمور تحت التراب .

باقلة

ثم وصلنا إلى قرية باقلة الجديدة ، وهي قرية متسعة ، ومساكنها خليط من الصنادق والعشش ، وبعض الأبنية الحديثة ، ذلك أن السائر على هذا الطريق يرى أن التقدم العمراني يتناقص كلما تقدم على هذا الطريق، ففي المضيلف ـ مثلاً ـ أصبحت العشش مهجورة تماماً ، أما هنا فلا زال لها سكان .

وسكان باقلة هم الزيالعة العقيليين (عقيل بن أبي طالب) .

وفي القرية بئر كبيرة مطوية ومطلعة ، وعليها آلة معطلة ، وهي لسقيا القرية .

الصُّفّة

وعلى ١٥ كيلاً من حلي شرقاً وصلنا إلى قرية الصُّفَّة ، وهي قرية كبيرة عمرانها حديث وبها حركة نشطة .

وسكانها قبيلة الصُّحَب المتقدم ذكرهم ، وأخلاط من العاملين الأجانب كأي قرية كبيرة عندنا اليوم .

والصُّفّة : مقر إمارة حلي ، ويتبعها معظم حلي الساحل ، عدا بني كنانة فلهم إمارة سيأتي ذكرها .

وبها محكمة شرعية ، ومسجد تقام فيه جمعة ، ومدرستان ، وبلدية ، وبعض شوارعها مزفت ، وتحيط بها أراضٍ زراعية واسعة ، وبها حوانيت وورش إصلاح ، وغير ذلك .

وكان بهذه القرية إمارة كل حلي الساحل ، ثم أُنشئت إمارة بني كنانة في مخشوش فاستقلت عن الصُّفة .

كِياد

مشتق اسمها من المكايدة ، ولعل الحراميين سموها كذلك عندما انتقلوا من حلي ابن يعقوب إليها ، أي اختطوها مكايدة لخصومهم . خرجنا من قرية الصُّفة عبر غابات من الطرفاء والأشجار التي تنمو عادة في السواحل ، ثم هبطنا مجرى وادي حلي ، وكان سيله يسابقنا ، فجزعناه مع أول السيل ، ونظرت إلى مجراه فإذا هو شاقة واسعة مخيفة ، فإذا بعض قثيه على ارتفاع يزيد على المترين ، وهذه النقطة تبعد (٦٢) كيلاً من القنفذة ، ويمر هنا الطريق المزفت وقد وصل تمهيده إلى هنا الآن .

وعلى ضفته الجنوبية وصلنا بلدة كياد ، وهي بلدة مبنية من خليط من حجر الحرة والقش والطوب الإسمنتي ، وسيل وادي حلي يؤثر في بعض مبانيها الشمالية ، بينما ترتكز في الجنوب على حَرَّة سوداء ، وهي أول حرة صادفتها في الجنوب بعد حَرّة العُليان ، وآخر حرة ـ فيما يبدو ـ في اليمن ، وهي حرة بني كنانة ، وهذا أولها ، وآخرها يصل إلى قرب الشقيق على قرابة ١٠٥ أكيال من هنا .

وبلدة كياد متسعة ممتدة على طول الوادي ، وموقعها ذو حصانة حربية ممتازة ، وسكانها بنو حَرَام الذين كانوا سلاطين هذه المنطقة ، وكانت سلطتهم تمتد إلى دوقة شمالاً وإلى ما وراء البرك جنوباً ، وتتوغل في جبال تهامة ، ولا شك أن اتساعها وضيقها يخضع لقوة سلاطينها وضعفهم ، وقوة جيرانهم وضعفهم .

ولبني حرام موالي كثيرون حتى أن البلدة ظهرت لنا كلها سوداء ، فالأرض حجارتها من حجر الحرة ، والسكان سود البشرة ، ولهؤلاء الموالي اعتزاز ببني حرام ، وقد ألمحنا إلى أنهم يعتزون : (أنا عبد الحرامي) .

وبالبلدة مقاهٍ ومطاعم ، وبها مدرسة ابتدائية للبنين ، وأخرى للبنات .

وقد تشهد تقدماً أكثر بعد أن يمر بها هذا الطريق الذي سيربط مكة بجميع أجزاء اليمن إلى عدن .

بين كِيَادٍ والبِرْك

تناولنا طعام الغداء في كياد ، واستأجرت أحد موالي بني حرام لعلي أجد عنده معرفة لما يواجهنا من معالم ، ثم ودّعت الأخوين : حسن بن إبراهيم الفقيه ، وجابر القرني ، وشكرت لهما سعيهما ، وما عسى أن يبلغ شكري من هذا الصنيع ، فجزاهما الله عني خير الجزاء .

خرجنا من قرية كياد نؤمُّ الجنوب ، وعارضنا الطريق الممهد ، وكان طرف الحرة على يسارنا ، والساحل إلى يميننا ، وهذه الحرة في هذه الناحية منها يسمونها حرة كياد ، وأهل اليمن يطلقون على الحرة إسم (الحَيْل) ، ولعل له أصل في اللغة ، فأهل الحجاز يطلقون على المكان من الحرة الذي تتراكم فيه الحجارة بلا تراب يخالط الحجر ولا نبات اسم (الحَيْلَة)، وأهل الشمال، يطلقون على الأراضي الجدباء كثيرة الحزوم والأضلع (الحَالَة)، ويجمعونها (حُوْل)، ومنها حالة عَمّار: البلدة الشهيرة على حدودنا مع الأردن، كانت حالة ثم أُنْشِئَتْ فيها محطة للسكة الحديد ثم أُنْشِئَت فيها الجمارك فصارت مدينة[1].

ثم سرنا في خبت - بين وادي حلي ووادي شفقة - يسمى خبت كياد ، ولم نطل السير فيه فمررنا على خمسة أكيال من كياد بأرض تسمى الصُّحُون .

وهذه الصُّحون ذكرتني بمزارع للحبحب في أرضنا تسمى الصُّحون

---

(١) انظر عنها كتابي (رحلات في بلاد العرب) .

كذلك ، وكنا في صغرنا نتلذذ بطعم حبحبها ، فأنشدت قول الأعرابي :

لقد ذكرتني عن حُبَابٍ حَمَامةٌ بمُشفان أهلي فالفُؤاد حزينُ
فوَيْحكِ كم ذكّرتِني اليومَ أَرْضَنا لعل حِمَامي بالحِجاز يكونُ

ثم مررنا بقرية (خضراء) تركناها إلى يميننا .

ولم نلبث أن رأينا إلى يميننا بعيداً قرية مخشوش : قاعدة بني كنانة ، وهي في منتصف المسافة بين الحرة والبحر ، وسرنا والحرة تسايرنا ، فإذا هي تبتعد إلى اليسار في فجوة واسعة ، هذه الفجوة يجري فيها وادي (شَفْقة) ، ثم مررنا في أرض تسمّى (الجُوَيِّف) وبها غابات من الأراك والسَّلَم وغيره ، وهي من وادي شَفْقَة .

وعلى (١٤) كيلاً هبطنا وادي شَفْقة : وادٍ متوسط يسيل من حَرّة بني كنانة ، ثم يدفع في البحر ، وسكانه : الصوالحة وبنو ذِيْب ، وسيأتي ذكرهم في بحث آل موسى من عسير ، وعلى الغالب إن هذه البطون المتناثرة على طول الحرة هي كنانية ، فالحرة حرة بني كنانة ، وسيلحق بحث لها .

عَمق

وواصلنا سيرنا ، فإذا الوادي دمث الأرض قد دقته السيارات وغرَّزت سيارتنا ولم تخرج إلّا بعد محاولات ، ثم لم نلبث أن وجدنا قرية تسمى شفقة أيضاً بطرف وادي شفقة من الجنوب ، ثم بئر للصوالحة تدعى (شُلَيْلاء) بين غابات من الأشجار ، وإلى اليسار أخذت الحرة تعود مرة ثانية ، وترى منها بعض الشعاب التي تصب إلى وادي شفقة أو وادي عَمِق .

ثم خرجنا في الطريق المزفت قبل عَمِق بقليل فدخلنا في أرض بني هلال .

وعلى ٢٧ كيلاً من كِياد ، و (٩٠) كيلاً من القنفذة وصلنا قرية جلها مستحدث ، هذه قرية عمق ، وهي قرية فيها محطات للوقود وحوانيت ، ونزلها قليل ، وبها إصلاح لعجلات السيارات وغير ذلك ، وتقع في ديار بني هلال القبيلة الكنانية ، وتشرف عليها الحرة من الشرق رأي العين ، وتسمى هنا (حَيْل بني هلال) أيّ حرّة بني هلال .

وادي دَبْسا

مررنا في عَـمِق ، ولم نر ما يوجب التوقف فخرجنا على نفس الطريق فإذا بالحرة قد اقتربت من البحر ، وعلى سبعة أكيال مررنا على جسر يفسح مجالاً لماء البحر ليدخل من تحته إلى يسارنا ، فلم يعد هنا ساحل ، إنما حرَّة وبحر .

وعلى منتصف المسافة بين عَمِق وبِرْك الغِماد ، وعلى (١٥) كيلاً من كل منهما مررنا بوادي دَبْسا : وادٍ فيه نخل ودوم ، لقبائل من بني هلال الكنانية ، يسيل من حرة بني كنانة ، ويدفع في البحر ، ويتبع إمَارة البرك إدارياً .

برك الغِماد

بين وادي دبسا والبرك تميل الحرّة إلى البحر وتدخل خلجان منه في فجوات منها ، والطريق يمرّ على جسور يدخل تحتها ماء البحر ، وشعاب هذه الحرة مليءُ بغابات من أشجار الدوم مما يذكر بحرار خيبر ، وعلى شاطىء البحر غابات حرجية كثيفة ، وكان البحر يبدو ـ تحت شمس الأصيل ـ أزرق صافياً رقراقاً ، ورغم ضيق المكان فالمناظر جميلة .

بيـن هذه المناظر بزغت أمامنا مدينة البرك ، فإذا هي على ركبة من الحرة ، يصفق ماء البحر في حجرها ، على ثلاثين كيلاً من عمق ، وعلى قرابة (١٢٠) كيلاً من القنفذة جنوباً ؛ فهي مدينة قديمة تأريخية تتربع على حرة سوداء لا سهل لها ، حتى أن الطريق يصعد إليها صعوداً تاركاً قميمة من الحرة إلى جهة البحر ، بينما يدخل خليج في جوفة من الحرة تشرف عليه البلدة . وللبرك إمارة تتبع مكة ، وأمراؤ ها (آل عبده) من بني هلال ، والموجود منهم على هذه الإمارة اليوم : إبراهيم بن عبد الرحمن آل عبده .

وهم يتوارثون إمارتها كتوارث آل مبيريك إمارة رابغ ، وفيها مدارس ومحكمة وشرطة وبلدية ، وجميع مرافق الدولة ، غير أن جميع المرافق (غير الإمارة) تتبع القنفذة . ولإمارتها مبنى جميل جديد قبيل المدينة على مرأى منها ، مررنا عليه فوجدناه مفتوحاً ، ولم نجد به أحداً، وكان الوقت قرب الغروب .

وإمارة البرك محصورة على قبيلة بني هلال فقط ، التي تمتد ديارها من عَمِـق شمالاً إلى وادي ذهبان جنوباً .

وقد رأيت في البلدة عدداً من المآذن مما يدل على كثرة مساجدها ، وظهر في الحرّة ما يشبه أثر السور ، فلعلها كانت مسورة .

ولأن مدينة البرك لا محيل عنها ، فالبحر يمينها والحرّة يسارها وضع فيها مركز للتفتيش ، فهي من مناطق الأمن المهمة ، ولها مرسى ترسو فيه السفن ، وبها بعض القطع البحرية الحربية، وأعطاها إشرافها على مساحات واسعة من البحر جمالاً جذاباً ، ويبدو أنها قامت وعمرت على مهنة الصيد ، حيث ليس لها من مقومات الحياة غير ذلك .

برك الغِماد في كتب المتقدمين :

أول من رأيته ذكرها عثمان بن مظعون رضي الله عنه ، وهو مهاجر بالحبشة ، حين قال[1] :

أَتَـيْم بن عَمْـرو لَلَّذي جـاء بغضـة ومن دونـه الشَّـرْجَان والبَـرْك أكتـع

فقال : البَرْك . فإذا عرفنا أنه ليس في ذلك العهد نقط ولا شكل ، عرفنا أن ضبطه هذا تصحيف . وهي برك الغِماد ، ولكن الاسم يختصر من قديم الزمان فيقال : البِرْك .

وفي غزوة بدر تكلم خطباء الصحابة من مهاجرين وأنصار أمام رسول الله ﷺ ، فقال المقداد بن عمرو[2] : فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى (بَرْك الغماد لجالدنا معك) .

ثم نرى أبا دهبل في خروجه من مكة يقول من قصيدته الميمية التي ذكرنا بعضها في عُلَيب :

---

(١) السيرة : ١/٣٣٢ ، طبعة البابي الحلبي .

(٢) نفس المصدر : ١/٦١٥ .

فقلت لها : قد بعتِ غير ذميمةٍ   وأصبح وادي البِرْك غيثاً مديّما

وليس لبرك الغماد وادٍ ، ولكنه كلام الشعراء يحسنون به اللفظ ويقومون به الوزن ويطابقون به القافية ، وهذا القول حدا بي أن أقول في أحد مؤلفاتي[1] : إن للبرك وادياً ، لأني لم أرها أنذاك فعولت على قول أبي دهبل باعتباره مشاهداً . وضبطها ياقوت بقوله (بِرْك الغِمَاد) بكسر الغين المعجمة : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جُدْعان التيمي القُرشي ؛ قال الشاعر :

سقى الأمطارُ قَبرَ أبي زهير   إلى سَقْفٍ إلى بِرْك الغِمَاد

كذا ضبطها بكسر الباء ، وهو الصواب ، ويرحم الله ياقوتاً ، فهي وراء مكة بأكثر من عشر ليال ، لا خمس ليال .

وعرب الحجاز ونجد يضربون بهذه النواحي المثل في البُعد ، ومنه الحديث (إتق الله ولو كنت في ضمد وجازان) .

وقول المقداد المتقدم . ومن هذا القبيل قال ابن دُرَيد :

لستَ ابنَ عمّ القاطنين   ولا ابنَ أُمّ للبلاد
فاجعل مقامك ، أو مقرَّ   كَ جانِبيْ بِرْكِ الغِمَاد
وانظُرْ إلى الشمسِ التي   طلعتْ على إرمٍ وعادِ
هل تؤْنِسنَّ بقيَّةً   من حاضرٍ منهم وباد ؟

ثم يورد ياقوت رجزاً :

جاريةٌ من أشعرٍ أوعَكٌ   بينَ غماديْ نبَّةٍ وبَرْك

قلت : نبَّة . أراه تصحيف (يَبَة) .

وعن أبي الدرداء : لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها عليَّ إلَّا ببرك الغماد لرحلتُ إليه .

---

(١) بين مكة وحضرموت .

ويفيدنا ياقوت في اشتقاق اسم البلد ، فيقول : والبرك حجارة مثل حجارة الحرَّة خشنة يصعب المسلك عليها وَعِرة .

قلت : ومدينة البرك تقوم على حجارة حرّة كما قدمنا .

وقال محقق ديوان ابن هتيمل[1] : جاء في (العقود اللؤلؤية) ص ٨٥ جـ ١ ما نصه :

وأمر السلطان عمر بن علي الرسولي بعمارة (البرك) وهو جبل متصل بالبحر فيما بين مكة واليمن ، ورتب فيه العساكر الجيدة لمحاربة الأيوبيين ، وأرسل الشيخ معيبد بن عبد الله الأشعري إلى الشيخ موسى بن علي الكناني . . إلى أخر الرواية ، وقد ألمحنا إليها عند بحث حلي .

وقد اعتبرها الهمداني من الآثار العظيمة ، إذ قال[2] ، معدداً هذه الأثار : . . وبَيْنُون وغيْمان ، وبرك الغِماد ، وإرم ذات العِماد . ويقول : إن العرب لها أمثال في البعد[3] ، ومنها : ولو بلغ برك الغماد ، ثم يورد قصة المقداد التي قدمناها .

مما تقدم ترى أن للبرك ذكراً غير خامل ، ولم نستقصه إنما آتينا منه بما يعطي فكرة عن شهرة هذه البلدة في الأزمان الغابرة .

---

(١) الديوان حاشية ص ١٥٨ .

(٢) صفة جزيرة العرب ص ٧ .

(٣) نفس المرجع : ٣٦٦ .

حَرّة بني هلال

من حرار العرب الكبار ، إذ يبلغ طولها قريباً من (١١٠) أكيال ، تبدأ من ضفة وادي حلي الجنوبية ، وتمتد جنوباً حتى وادي نَهْب الذي يصب قرب بلدة الشُقَيق .

ويبلغ عرضها من البحر إلى مسافة في الشـرق تقرب من (٥٠) كيلاً أو تزيد ، فهي غابة سوداء وسط هذا الإقليم ، والسير في الحرار من أصعب مـا يكون ، ولذا تجد الطريق يمر بشاطىء البحر حتى أن الناس قبل تزفيت الطريق كانت تطأُ ماء البحر .

وتتخلل هذه الحرة أودية ليست بالكبار ، منها : وادي شَفْقـة ، ووادي دبسـا ، ووادي ذَهْبان ، ووادي حَمْضـة ، وبعض فروع وادي نهب ، وأوديـة أخرى صغار مرت معنا أثناء الطريق .

وقد مر معك أنهم يسمون الحرّة (الحَيْل) فأهل اليمن لا يعرفون الحرار .

ويسكن معظم هذه الحرة قبيلة بني هلال الآتي الحديث عنها ، ولهم في الحرة وأوديتها قرى ومزارع ، وتجـاور بني هلال قبيلة منجحـة من الجنوب ، وستأتي . ذكر الهمداني حرة كنانة فقال[1] : وضنكان والبِرك والمعقدوحرة كنانة ، وفي مكان آخر، قال: ووادي أتمة وضنكان وهو معرّف، والحرّة حرّة كنانة .

---

(١) صفة جزيرة العرب : ١٠٨ ، ١١٨ .

قبيلة بني هلال

قبيلة متوسطة الحجم تضرب قوساً حول البرك وتشمل مساكنها معظم حرة بني كنانة ، حيث تمتد من عَمِق إلى وادي ذهبان بمسافة تقارب الخمسين كيلاً ، ثم تمتد في العمق إلى الشرق قرابة ستين كيلاً ، كل سكان إمارة البرك والإمارة من هذه القبيلة ، وقد قدمناها في البرك ، ولها أودية ولكن زراعتها قليلة ، وبالتالي فإن ديار بني هلال من أجدب أراضي اليمن ، إذ تتكون من حَيْل ـ كما يقولون ـ قليل المياه قليل الأراضي الصالحة للزراعة .

ولم أر من ذكر هذه القبيلة من المتقدمين ، ذلك أنها ـ فيما يبدو ـ كانت فرعاً من كنانة ، فلما تضعضع أمر كنانة استقلت بنفسها في هذه الحرة ، وربما توجد في رحلات اليمنيين أخبار لها لم تصل إلينا ، وهي اليوم تنضم إلى داعية عسير .

أما الهمداني الذي وصف جزيره العرب في القرن الرابع ، وذكر من آثارها (البرك) وذكر : حرة كنانة ، وأتمة ، وضنكان ، وغيرها وكلها اليوم من ديار بني هلال فقد وصف هذه الأرض بأنها بلد بني حرام من كنانة ، فلم يذكر بني هلال هذه ، فلعلها كانت فرعاً صغيراً .

نسب بني هلال : من هنا نجزم أنها من كنانة ، واحتمال كبير بأنها من بني حرام خاصة ، لعدة أسباب :

١ ـ كونها تسكن وسط ديار كنانة التي لا زالت بقاياها متناثرة في هذه المنطقة .

٢ ـ لأن القبائل لا تهجر ديارها ، ولكن قد يضطرها حب البقاء والمحافظة على المال والأهل الى الانضمام إلى أقرب قوة تخافها ، وهذا ما يبرر قولهم : (بني هلال بيرق من عسير) .

٣ ـ لم نجد ذكراً لقبيلة بهذا الاسم تجاور هذه المنطقة فنقول : زحفت إليها .

أما تهويمات العامة التي تلصق كل قبيلة تُسمّى بني هلال ببني هلال القبيلة الشهيرة الهوازنية ، فهي تهويمات لا ينظر إليها ، خاصة إذا عرفنا أن كثيراً من القبائل اليوم فيها بطون تسمى بني هلال .

مما تقدم ، نقول : إن قبيلة بني هلال القاطنة حول البرك هي قبيلة من كنانة ، مثل بني شعبة وبني يعلى وغيرها ، وقد تقدم بحث كنانة وذكرناها هناك .

فروع بني هلال :

هذه القبيلة منتشرة في عدد من الأودية كما قدمنا ، ولم نجد من يشفي في تفريعها ولكن عرفنا منها :

١ ـ بني صبيح : ولها فروع .
٢ ـ بني بجاد : ولها فروع أيضاً .
٣ ـ آل يحيى : ولهم الوجه الشمالي من وادي ذهبان ولهم قرى ومزارع هناك .

بين البرك والقحمة

تجولت في بلدة البرك ، ثم غادرتها باتجاه الجنوب ، وعلى ستة أكيال مررت بوادٍ يدعى : (المُرّة) وادٍ فيه نخلٍ ودوم ، يأخذ من حرة بني هلال ، ثم يصب في البحر . وعلى ثمانية أكيال تقريباً مررت بوادٍ يدعى اللُّعَيْب : وادٍ صغير يمر بين واديي المرة وذهبان ، وهو لبني هلال أيضاً .

وعلى (١٥) كيلاً كلٍّ من البرك والقَحْمة وصلت إلى وادي ذهبان أو بالأصح مرّ الطريق على جسر وادي ذهبان وسنبحثه بعد هذا .

وقبل القَحْمَة بقرابة خمسة أكيال مررت بوادٍ صغير يسمى (نَجْل) فيه زراعة ودوم ، وهو من ديار قبيلة مَنْجَحة أهل القَحْمة .

ثم (الجِرْمَة) على أربعة أكيال قبل القحمة بينها وبين ذهبان : أرض متسعة في جوفة من الحرة ، بشمالِها قرية تسمى (العَيْن) وسكانها : المَعْرفة من منجحة ، وفي الشمال الشرقي منها قرية (القَعْرة) ويسكنها : المَعْفِرة ومُديد من منجحة ، ولهم فيها زراعة .

وقبيل الغروب كنت والشمس نستبق قرية القحمة ، وعلى جال الطريق بناية من طابقين رأيت عليها لوحة تشير إلى أنها إمارة القحمة ، فأنخت بفنائها ، ولم يلبث أن جاء أميرها الكريم الشهم ، الشيخ : محمد أبو لبدة القحطاني ، وكفاك بقحطان كرماً فقد عرفت منهم : منصور وناصر الكوادرة أميري سامطة

والأحد ، وكانا أجود من الريح ، وعند هذا الأمير في القحمة عرفت أن ناصراً قد توفي إلى رحمة الله . كنت عجلاً ، غير أن الشيخ أبا لبدة ـ حفظ الله ـ أصر على أن نتناول طعام العشاء على مائدته ، وهكذا كان .

وقد أخلى لنا مكتباً لنأخذ بعض المعلومات من بعض الحاشية ، وعندما عدنا إلى المجلس قدم لنا خروفاً حنيذاً ، فجاء على فاقة ، وكان قد نزل عليه بنزولي نفر من قومه قحطان .

وما ذخر عنا مذخوراً من علم أو كرم فجزاه الله خير الجزاء .

وادي ذهبان

وادٍ متوسط يسيل من حَرَّة بني هلال ـ حرة كنانة ـ ثم يدفع في البحر ، يمر في منتصف المسافة بين البرك والقحمة ، وعلى (١٥) كيلاً من كل منهما ، وعلى (٤٧٧) كيلاً من مكة جنوباً ، وهو الحد الفاصل بين أمارتي مكة وجازان ، فضفته الشمالية يسكنها بنو هلال ، ويتبعون البرك ، والبرك تتبع مكة ، وضفته الجنوبية تسكنها قبيلة مَنْجحة ، وهي تتبع القحمة ، والقحمة تتبع جازان .

فروعه :

يفترق وادي ذَهْبَان في أعلاه إلى شعبتين كل منهما تُعَدُّ وادياً ، أحدهما :

(ضَنْكان)

وادٍ متوسط أيضاً يتعلق في الحرة ، حرة كنانة ، وتأتي أهميته قديماً وحديثاً من أثاره ووجود المعادن فيه في الزمن القديم .

قال الهمداني[١] . . ثم بلد حرام من كنانة : وهو وادي أتمة وضَنْكان ، وهو معدن غَزير ولا بأس بتبره . وفيه اليوم بناء كبير حجارته ممثلة كالقوالب ، ولونها يميل إلى الحمرة، وهي حجارة كبارٌ؛ ويبدو أن هذا هو معمل تحويل التبر

---

(١) صفة جزيرة العرب : ٢٥٩ .

إلى ذهب ، وهو مهجور الآن ، وله شهرة أكبر من شهرة ذهبان نفسه ، وسكانه اليوم بنو هلال ومنجحة من كنانة ، وثانيهما : أَثْلَة : وهو وادٍ يضاهي ضنكان في الحجم ، وفيه زراعة ونزل .

القرى في ذَهْبان :

١ ـ قرية الطِّرْق : قرية قرب الطريق بها نخل وزراعة .

٢ ـ قرية الصَّانِف : على البحر ، ولها مرسى صغير فيه صيادون .

٣ ـ قرية الحرّة : قرية في الحرّة في أعلى الوادي .

وقرى أخرى عديدة .

سكانه :

تسكن الوادي قبيلتان من كنانة ، هما : بنو هلال ، ولها الضفة الشمالية ، وقبيلة مَنْجحة ، ولها الضفة الجنوبية ، وقد تقدم الحديث عن بني هلال .

قبيلة مَنْجحة :

قبيلة كنانية ـ لا شك ـ تسكن القسم الجنوبي من حرَّة بني كنانة ، وتُسمّى هنا (حَيْل مَنْجَحة) وتتبع إمارة القحمة ، وكما أن جميع توابع إمارة البرك هم بنو هلال ، فإن جميع توابع القحمة هم (مَنْجَحة) ، وتمتد ديارها على طول الشاطىء من ذهبان شمالاً الى ما وراء وادي حمضة ، ثم تأخذ في عمق الحرة موغلة الى قرب (قنا والبحر) قرب محايل مسافة تقرب من سبعين كيلاً ، ولها قرى ومزارع في أودية ذهبان وحمضة ، وجلها بادية ، ومنهم سكان القحمة وصيادو سمك .

ولهذه القبيلة فروع عديدة ، غير أن من وجدناهم عند الأمير لا ترقى معرفتهم الى ما نَصْبُو إليه .

ومن فروع مَنْجحة .

١ ـ آل الحَمَضي : ويسكنون ضفة ذهبان الجنوبية .

٢ ـ آل قُرَى : هم جيران آل **الحمضي** .

٣ ـ آل حَذّاف : ولهم قرية المَطْعن شمال شرقي القحمة بحوالي سبعين كيلاً ، أي قرب قنا والبحر .

٤ ـ آل بوَّاح : ويسكنون قرية الواتدة وما جاورها .

٥ ـ المَرْضَعة : ويسكنون مع أقاربهم آل بواح في الواتدة وما جاورها .

٦ ـ آل وعيران : من المرصعة ، شرق القحمة .

٧ ـ آل نوتي : شرق القحمة .

٨ ـ آل فضيل : أعلى وادي حَمَضة .

٩ ـ الذبائح : في حَمَضة .

١٠ ـ آل حَيْلة : شمال حَمَضة ، ويسكنون الجب ، ولهم فيه مزارع .

١١ ـ المَعْرفة : ويسكنون قرية العين شمال القحمة إلى الشرق .

١٢ ـ المَعْفِرة : ويسكنون قرية القَعْرة : شمال شرقي القحمة .

١٣ ـ آل مُدَيد : يسكنون قرية القعرة ، المتقدمة .

وذكرهم الجاسر في (فهرسه) الذي سماه معجم قبائل المملكة ، وضبط اسمهم (المُنْجِحة)وهووهم ، وعدّد فروعاً ماوجدت من يعرف أكثرها ، ولم يذكر مرجعه ليعاد إليه .

أما العقيلي في (المخلاف السليماني) فقد ذكر اسم القبيلة فقط ولم يذكر لها فروعاً[1] .

وذكر الشيخ : **محمد بن هادي** شيخ ولد أَسْلَم من فروع مَنْجحة :

١ ـ آل مَعْيوف : سكناهم بين قنا والبحر (بحر أبو سكينة) وهم بدو رحل يتبعون قضاء محايل .

٢ ـ آل العَوَض : سكناهم نواحي محايل ويتبعونها إدارياً .

---

(١) المخلاف ط ٢ : ٨٢ .

٣ ـ آل الخرَيص : ويسكنون نواحي محايل .

٤ ـ آل مَحْبوبة : يسكنون (حَيْل) منجحة، أي الحرة .

فهذا ذكر القبائل العرضية التي تتبع محايل ، بينما ذكر جماعة أمير القحمة القبائل التي تتبع القحمة .

وهذه القبيلة ـ لا شك ـ كنانية ، غير أنها تنضم إلى داعية عسير ، ذلك أن جميع القبائل بين حلي الى عتود تعلقت بعسير بعد ضعف كنانة .

ولم أجد من المتقدمين من ذكر هذه القبيلة ، غير أن أحد المتأخرين كتب اسمها (منجمة) ولعلّه تطبيع .

القَحْمَة

بليدة أصغر من البرك مساحة وأقل ـ فيما يبدو ـ أهمية تقع على طرف حرّة بني كنانة ، بين البرك والشقيق ، وقوام سكانها قبيلة مَنْجحة المتقدمة .

بها إمارة ومسجد ومدارس ابتدائية ، وهي تبعد عن البرك (٣٠) كيلاً جنوباً وعن مكة (٤٩٣) تقريباً ، وهي تتبع إمارة جازان إدارياً ، وعمرانها لم يتقدم لعدم وجود بلدية فيها ، وبها سوق ومحطات وقود وما يلزم روادها .

ولم أجد من ذكرها من المتقدمين ، ولعلها ظهرت في العصور الحديثة ، وربما ظهرت إثر خلاف بين القبيلتين الكنانيتين : بني هلال ، ومنجحة .

ولما كانت بنو هلال تسيطر على البرك فقد اتخذت منجحة هذه القرية سوقاً لها وقاعدة .

وأول من رأيته ذكرها (الملك عبد الله) في مذكراته ، فحرفها تحريفاً ـ فيما يبدو ـ سماعياً فقال : (   ) .

وهذا دليل على عدم شهرتها في عهده .

ولم يزد العقيلي في معجمه على أن قال : القحمة : مؤنث القحم : بلدة في شمال منطقتنا ، وهي قاعدة بلاد قبيلة المنجحة، وميناء معروف .

والعقيلي لم يزرها قبل تأليف معجمه ، وحتى قبائلها لم يذكر منها ما يذكره المشاهد .

وصف جغرافي للقحمه .

تشرف عليها من مطلع الشمس حرّة كنانة ، وهي على نعـف منها متدلّ إلى البحر ، ومن الغرب تشرف البلدة على البحر بمياهه الزرقاء الجميلة ، وفي هذا الجانب يقع مرفأ القحمة ، ويبرز على شاطىء البحر في الغرب إلى الشمال قليلاً جبل من نوع الحرّة بارزٌ حاد الرأس يشرف مباشرة على موقع الإمارة والمسجد ، هذا الجبل يسمى جبل (الدَّسم) وهو من أبرز المعالم هنا[١] .

أمّا من الشمال ، فسهل ، جئت معه ، ثم جبل قريب الشبه من جبل الدسم ، هذا يسمى القرن ، يُرى من هنا بارزاً بين القحمة ووادي ذهبان .

أما في الجنوب فيضيق السهل حتى تختلط الحرّة بالبحر ، والطريق بينهما في ضياقٍ من الأرض .

---

(١) وهذا النوع تسميه العرب مُجْمراً ، وسيأتي تعليل هذا في العودة .

اليوم الخامس للرحلة
١٨ صفر سنة ١٤٠٣ هـ

بين القحمة وجازان :

عندما أذّن مؤذن الفجر استيقظت فتوضأت ، فإذا بمضيّفنا يتجه نحو المسجد ، فاهتبلت الفرصة فصليت مكاني ثم تحركت باتجاه جازان .

ولو أدركني الشيخ أبو لبدة لأَخَّرَني - لكرمه - إلى أن يضيع عليّ وقتاً ثميناً .
وعلى عشرة أكيال من القحمة مرّ الطريق على جسر على وادي حَمَضة ، ورأيتُ مع غطاليس الظلام رؤوس الدوم المتشابك ، وهذه المنطقة بين القحمة والشُّقَيق قليلة العمران والزراعة ، جدباء .

وقبل أن أصل إلى الشُّقيق بخمسة عشر كيلاً قصّرت الحرّة وإنداحت إلى اليسار فصار السهل واسعاً ، ولا تكاد جبال تهامة تُرى بالعين ، ويبقى هذا الاتِّساع - مع تفاوت - إلى داخل اليمن .

وفي أول هذا السهل فرق طريق مزفّت إلى اليسار ، هذا الطريق هو الذي فرق عنا من المضيلف ، ثم طوَّف مع جبال العرضية مروراً بالمخواة ونمرة وساحل (قاعدة بارق) ومحايل وبحر أبو سُكينة ، ثم عاد إلينا هنا .

وكانت عودتنا عليه وسنصفه هناك .

ثم مررت بأودية : نَهْب وعَرَمْرم وريم ، على التوالي ثم وصلت على (٥٠) كيلاً من القحمة إلى بلدة الشقيق .

أودية ما بين القحمة والشقيق :

١ ـ وادي حَمَضَة :

وادٍ متوسط يمر جنوب القحمة على عشرة أكيال ، فيه نخل ، ودومه كثير ، وفيه قرية حَمَضَة ، وسكانه قبيلة مَنْجحة ، المتقدم ذكرهم ، وهو بعيد المدى ، إذ تصل نواشغه إلى قرب السراة ثم يخترق حرة كنانة حتى يصب في البحر .

فروعه : ينقسم وادي حَمَضَة في أعلاه إلى شعبتين :

أ ـ وادي يتمة (أُتمة) : وهي الشعبة الشمالية منهما ، وتبلغ إلى قرب قنا والبحر من الغرب ، وسكانها قبيلة منجحة ، وتصب فيها شُعَب كبار ، منها :

وادي المُلَيح ، ووادي المُلَيْحة ، والمَعْقر ، والكبب .

ب ـ وادي خَيم : وهو وادٍ فحل يبلغ سفوح السراة ، وهو الشعبة الجنوبية من شعبتي حَمَضَة ، وينقسم في أعلاه إلى شعبتين صغيرتين : وادي السعادة (وادي الرمادة) وهو الذي وجدنا مضيفنا نازلاً فيه ، وهو الشيخ : **محمد أبو عطرة** شيخ وَلَد أسلم ، والشعبة الثانية تسمى عَسَلان ، يطلع رأسها على بحر أبو سكينة .

ولوادي خُيَم روافد عديدة منها :

وادي العُشَير : أهمها وأكبرها ، ووادي حَيَاوة ، وهي تأتي من الجنوب من الحرّة ؛ حرة كنانة ، ووادي ضَلْعة ، من الشمال ، وكل هذه الروافد تسكنها قبيلة منجحة ، وتشاركهم في أعاليها قبائل وَلَد أَسْلم .

وكذلك يصب في خيم من الجنوب وادي اللُّعَيْب من الحرّة ، ووادي الظَّهْرة من الشمال ، ووادي ذي الأعرج ، من الشمال أيضاً .

أما وادي السعادة السابق ذكره ، فتصب فيه أشعبٌ صغارٌ منها : الفاتح ، والصدارة ، والحلفاء ، وعينين ، وظَرْفَين ، ووقرة .

٢ ـ وادي نَهْب : بين حمضة وعرمرم ، ويلح في الحرّة من الجنوب ، على شفيره تقف نعوفها الجنوبية ، فهو لها في الجنوب كحَلْي في الشمال ،

كلاهما يقطع عليها طريق سيرها الذي يمتد كثيراً، ثم يصب في البحر .

وهو لا يبعد كثيراً في الجبال العرضية ، ويفترق في رأسه إلى شعبتين :

أ ـ ضَمُوًّا ـ كذا ينطقونه ـ تسيل أعلى نواشغه من جبال (حرفان) **شمال** شرقي الشقيق .

ب ـ وادي الأحسن ، ولا يختلف عن سابقه ، وسكانه قبائل تدعى قبائل الشقيق ، وهي من بقايا كنانة على الراجح ، وقد تصل إليه قبائل منجحة .

٣ ـ وادي عَرْمَرَم : رأسه (قَدْران) يسيل من جنوب قنا ، وهو من الأودية العرضية الكبار ، وله روافد عديدة منها :

أ ـ أخلال . ب ـ الرَّبعة . جـ ـ السَّاقِرة .
د ـ أفْكا هـ ـ ضَهْيَان . و ـ الصُّدرة .

وسكان أعلاه قبائل مَخْلُوطة ، التابعة لرجال ألمع .

وبعض بادية المنجحة . أما ساحله فلقبائل الشقيق .

٤ ـ وادي رِيم : هو وادي الشقيق الذي يصب بالقرب منه ، وادٍ يأتي من الجبال القريبة من السراة إلى الشمال من عِتود ، ويسمى رأسه(كيسان): وادٍ كثير القرى والزروع ، يدخل في بلاد رجال ألمع ، وأسفله لقبائل الشقيق ، ووسطه قبائل مخلوطة .

الشُّقَيق

قرية كبيرة على (٥٠) كيلاً من القحمة جنوباً وعلى (٥٤٣) كيلاً من مكة ، يصب عليها وادي ريم ، المتقدم .

وهي قرية ساحلية متسعة غير أن عمرانها تكثر فيه الصنادق والعشش ، ولها مرسى ترسو فيه صغار السفن ، وفيها إمارة تابعة لمنطقة جازان ، ومدارس للبنين والبنات ، ومحكمة شرعية ، وبها محطات للمحروقات، وسوقٌ صغير .

ورغم كثرة الأودية المحيطة بها فإن أرضها قليلة الزراعة ، ويتبعها بوادٍ رحّل كثيرون يُطلق على معظمهم قبائل الشقيق .

قبائل الشقيق :

قبائل عديدة تنتشر بين وادي نهب إلى قرب وادي عتود ، وتتوغل في الساحل إلى قرب الجبال حيث ديار قبائل (مخلوطة) .

ويقول البعض : إن اسم الشقيق هو اسم القبيلة ، ثم أطلق على قريتهم ، أي قرية بني الشقيق .

وقد يكون هذا أو غيره، غير أنهم ـ لا شك ـ من بقايا كنانة ، ذلك أن جيرانهم من الجنوب قبائل بني شُعبة ، وهم ممن نسبهم ثابت في كنانة ، وديار كنانة ـ كما ألمحنا مراراً ـ كانت تمتد إلى وادي بيض الذي سيمر معنا جنوب الشقيق ، ولا زال بنو شعبة يسكنونه .

ومن فخوذهم[1] :

١ ـ المشاييخ : وهذا الاسم يطلق على قبائل أو أسر تنتسب إلى الأنصار ، وقلما تجد قبيلة ليس فيها هذا الاسم ، خاصة في الحجاز وعسير .

٢ ـ الفَلَاتية : سكان شرق الشقيق .

٣ ـ العصارة : سكان أسفل وادي ريم إلى نهب .

٤ ـ الصَّبَانية :

٥ ـ المطامية : قرب الشاطىء .

٦ ـ آل زياد : حول الشقيق .

٧ ـ القِرَب : وفيهم مشيخة القبيلة .

قبائل بني شعبة :

وبنو شعبة فرع شهير من كنانة ، انقسم في سكناه إلى موضعين : قسم بين مكة والليث، وقسم هذا الذي نحن بصدده ، وكل هذه الأرض كانت لكنانة ، وفي بحث كنانة تحدثنا عن هذه القبيلة ونسبها .

ومن فروعها اليوم :

١ ـ آل حَدْرَة : بادية في معظمهم ، وديارهم وادي بيض وما حوله إلى وادي بيش ، وهي فلاة تتخللها أودية كثيرة ستأتي معنا ، وحزوم مشجّرة .

٢ ـ الشرفاء : وهم يخالطون آل حدرة وتمتد ديارهم على وادي رملان إلى البحر .

٣ ـ آل هيازع . في عتود وفي الدرب .

٤ ـ الصبانية[1] : ٥ ـ آل إلياس . ٦ ـ آل شار بن مرعي .

٧ ـ آل زيد ٨ ـ آل أبي سلة . ٩ ـ الأشراف : كذا ذكرهم العقيلي ، ولعلهم هم الشرفاء ، فالاسمان مترادفان .

وقاعدة بني شعبة ، بلدة الدرب ، وتسمى درب بني شعبة ، وستأتي ،

---

(١) المخلاف السليماني : ٨٢/١ ط ٢ ، بتصرف .

وشيخهم : علي بن محمد الشُّعْبي مقيم في بلدة الدرب وله تجارة ومكتب على جال الطريق .

أخذت جولة في الشُّقَيق ، ولم أتوقف ، ثم واصلت سيري باتجاه دَرْب بني شُعْبة ، ولم ألبث أن عبرت على جسر وادي ريم ، وهو وادي الشقيق .

وريم هذا ونهب وأتمة ـ أعلى وادي حمضة ـ ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب. وهنا اتسع الخبت فأصبحت الجبال لا تُرى ، وانحرف الطريق باتجاه الشرق الجنوبي ،وعلى (٧٤) كيلاً من القحمة وصلت إلى بلدة الدرب (دَرْب بني شُعْبة) ، فمررت على جسر ضخم لوادي عتود ، وهو وادي الدرب ، وجلّ مَدَر بني شعبة على هذا الوادي .

الدَّرْب

يقال الدرب تخففاً ويقال درب بني شعبة نسبة إلى سكانها ، وقد تقدم الحديث عنهم ؛ وهي بلدة واسعة على جانبي الطريق ، وعلى ضفتي وادي عتود ، وعمرانها خليط من بيوت مسلحة جميلة ، وصنادق وعشش ، غير أن الغالب عليها التغيير السريع . وهذا الطريق يقسمها إلى شمال وجنوب ، وعلى الطريق مقاهٍ ومحطات ومعارض ، منها معارض سيارات ، وهي بلدة داخلية بعيدة عن البحر ، وأزقتها ضيّقة ، والوادي يحف بالقسم الجنوبي منها حتى يلح في بعض البيوت ، وكان سيله يمشي ذلك اليوم ، ومجراه يدل على أنه وادٍ فحل ، والجبال بعيدة من هنا والساحل واسع .

كان هذا اليوم يوم جمعة ، فسألت عن بيت الأمير فقيل لي : أنه في الجهة الشمالية ، وبعد تجوال في تلك الجهة ، قيل : بل في الجهة الجنوبية ، فعدت وقطعت الطريق ثم مجرى الوادي فدخلت في أزقة وعرة ضيقة ، وفجأة وجدتني خارج البلد ولم أجد منزل الأمير حيث نُعت لي ، ومن لطيف ما حدث لي إنني سألت شاباً من أهل البلد : أين الإمارة؟ فقال : أيّ إمارة؟ كل الدنيا أماير ! .

ذلك أن أهل اليمن يقلبون العين ألفاً ، فكان يظنني أقول أين العمارة !

وسألت سودانياً يعمل في محطة محروقات : أين الإمارة ؟ فقال : إذا خرجتَ من شارع ـ أشار إليه ـ تنظرها دارة واسعة جميلة .

فاستغربت فصاحة السوداني وقتمة الكناني أو القحطاني .

وتذكرت قول صديق لي مرّ على عرب يشربون شاياً فلم يدعوه ، ومرّ على هنود فباشروا عليه بكأسٍ من عصير الفواكه ، فقال :

زمـن بـه الـهـنـود كـرام   والأعـاريـب أشحَّـةٌ بـخـلاءُ

وفي البلد : إمارة ومحكمة وشرطة ، وبها مدارس للبنين والبنات ، وبها عدد من المساجد تقام الجمعة في إثنين منها ، وبها ورش وحركة تجارية نشطة ، والبلد مأهول ، وجل سكانه من بني شعبة الكنانية ، المقدم ذكرها .

خرجت من الدرب وقد أخذ الطريق يشرّق على الضفة الشمالية من وادي عتود ، وكانت قُلَع من الذرة على جانبي الطريق ، منها ما يصرم ، ومنها ما هو مُسبِّل ، ومنها ما يصل إلى الركب ، وعلى جانبي الطريق الأطيان الخصبة والزروع النضرة .

وعلى أربعة أكيال من الدرب فرق إلى اليسار طريق مزفت يذهب إلى أبها ، وهناك يفترق إلى عدة طرق[1] .

واستمر طريق جازان إلى الجنوب الشرقي محاذياً لضفة وادي عتود الشمالية ، ثم وصلت إلى وادٍ ليس كبيراً ، كثير شجر الدوم والسلم كان قد سال تواً ، هذا هو وادي (رَمْلَان) أحد أودية بني شعبة من كنانة ، ثم خرجت في حزون تشبه الحرة قد مطرت الليلة البارحة وكان الأضاء يترآى هنا وهناك مما أعطى الرحلة بهجة .

ثم عبر الطريق على جسر وادي (بَيْض) ، وكان قد سال البارحة أيضاً ، ودومه كثيرة أما زراعته فبعيد من هنا قرب البحر ، والبحر بعيد من هنا والجبال تشاهد ، بل بعض الأكام بجانب الطريق .

ثم مررت على وادٍ ضخم يسيل ماؤه ، كثير الدوم ، مما جعلني أطلق

---

(١) تحدثت عنها في كتابي (بين مكة وحضرموت) .

على هذه الأودية أودية الدوم ، فهي تذكرك ببعض أودية خيبر ، هذا الوادي هو وادي الردحـة، وهو يبعد عن الدرب عشرين كيلاً .

وكان بين عتود وبيض أودية أخر صغيرة كثيرة جلّ شجرها الدوم والسمر ، وكلها تسكنها بنو شعبة ، وهذه فلاة واسعة لا زراعة فيها ولا قرى .

ثم وصلت إلى أمّ الخشب في وادي بيش على (٥٣) كيلاً من الدرب

واديِ عِتْود

وادٍ فحل من أودية تهامة ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من السراة الواقعة غرب وجنوب أبها حيث يتقاسم الماء مع أعالي فروع وادي بيشة ، ويأخذ مياه جبال عسلان الجنوبية ، وله حوالب وفروع عديدة ، منها : وادي ضُلَع حيث تصعد عقبة ضُلَع إلى أبها ، وقد زفتت اليوم ، كما يصب فيه وادي العكارية من الجنوب ، ويصب فيه بعد الدرب مما يلي البحر وادي الحَضَر .

وهو كثير المياه والزراعة ، وكلّه ملك بني شعبة ، يصب في البحر بين وادي ريم ووادي رَمْلان ، جنوب الشقيق .

عتود في كتب المتقدمين :

قال الهمداني - وهو يتحدث عن عثر - وسيأتي - وإلى حازه عَثَّر تنسب الأسود التي يقال لها أسود عثر وأسود عِتود ، وهي قرية من بواديها ، وقد ذكرها ابن مقبل ، فقال :

جُلوساً بها الشمُّر العِجافُ كأنَّهم   أُسودُ بتَرْجٍ أو أُسودُ بعِتْودِ

ترج : أحد روافد وادي بيشة ، ويرد ذكره بعد ذلك كثيراً .

وضبطه ياقوت بكسر العين وسكون التاء وفتح الواو ، فقال : كذا حكي عن ابن دريد ، وقيل : هو اسم موضع بالحجاز قال : ولم يجىء على فِعْوَل غير

هذا وخِرْوَع . والأزهري ذكره بالراء (أي عتور) ، وهو ماء لكنانة ، لهم ولخزاعة فيه وقعة .

قال بديل بن مناة :

ونحن منعنا بين بيضٍ وعِتْود إلى خيف رَضْوَى من مَجرّ القبائل

قلت : هذه كانت ديار كنانة ، وما كانت خزاعة تصل إليها ، وانظر تعليقنا على شعر بديل هذا في (المعالم الجغرافية في السيرة النبوية) ، فقد ناقشته هناك .

أودية ما بين عِتود وبَيْش

مررت بين عتود وَبَيْش بأودية عديدة كثيرة شجر الدوم والسمر مياهها تجري غبّ مطر ، أطلقت عليها أسم أودية الدوم ، من أهمها :

١ ـ وادي رَمْلان : وادٍ متوسط لبني شعبة من كنانة ، يسيل من الجبال العرضية الواقعة جنوب جبال عسلان ، فيه أبار للشرب في أعلاه ، ويصب في البحر بين وادي عتود ووادي بَيْض .

٢ ـ وادي بَيْض : واد أكبر من سابقه وأصغر من عتود ، ويقرن مع عتود كما تقدم في بيت بديل ، وأهله كنانة في الجاهلية والإسلام وإلى اليوم ، وهو كثير الدوم وفي أسفله نزلٌ جلّه من الموالي السود كانوا يعملون على صناعة السَّعَفِيات ، وينتسبون (بيضي) إلى الوادي ، وعند التقائِهِ بوادي سمرة قرية للشرفاء المنضمين إلى بني شعبة .

من أهم روافده وادي سمرة : يصب فيه عند قرية الشرفاء قرب الطريق .

وفي سمرة هذا قُريات لآل حَذْرة والجناح وكلاهما من بني شعبة .

وقد ألمحنا إليه في عتود بما يفيد أنه كان بهذا الأسم منذ الجاهلية .

٣ ـ وادي الرَّدْحة : يعترض الطريق قرب منتصف المسافة بين بَيْش وعِتود ، يأتي من جبال ربيعة من عسير ، وهو أقصر من بيض ، ثم يصب في البحر بين

بيض وبيش ، وسكانه آل حدرة من بني شعبة الذين تصل ديارهم إلى بيش ، ولهم قُريّة على عدوته اليمنى .

وفي أمّ الخشب من بيش وعلى جانب جسرها الجنوبي وجدت مطعماً جميلاً ، ما أن دخلته حتى خلتني في أرقى المدن ، فأثاثه حسن ونظافته جيدة ، وطعامه منوع .

وهناك تناولت طعام الإفطار ، ثم سألتهم ما إذا كانوا يقدمون الشاي كبعض مطاعم الطريق فأشاروا إلى مقهىً بجانب المطعم ، فعمدت إليه فإذا كراسيه من حِبَال السعف والخزم أسرّة مريحة نظيفة ، وهذه الأسّرة هي التي كانت شائعة في مقاهينا ثم أخذت تندثر وتحل محلها الكراسي الجلّاسي .

كانت الأرض قد مطرت البارحة مما لطّف الجو ، لأن هذه الأرض لا تبرد حتى في فصل الشتاء ، إنما يتلطف جوها بهطول الأمطار ، وبجوها هذا وكثرة أمطارها تجود فيها الذرة على مدار السنة .

ثم تجولت في بلدة أُمِّ الخشب للاطلاع على حالتها وعمرانها ثم واصلت سيري بإتجاه جازان .

أُمُّ الخَشَب

وصلت إليها على (٥٣) كيلاً من بلدة الدرب ، وهي قاعدة وادي بيش ، ومقر الإمارة وتعود معرفتي بَيْشاً عموماً وأمّ الخشب خصوصاً إلى سنة (١٣٧٤) هـ حين كان لي أصدقاء من هذه المنطقة لا يفتأون يتغنون ببيش وأمّ الخشب والسلامة ، ويقولون : (بَيْش ديرة العَيْش) ! وعندما رأيت بيشاً اليوم وكثرة زورعه عرفت معنى ذلك المثل ، فليس في هذه الناحية أخصب منه ولا أحسن أطياناً .

وكان يقول أصدقائي : ـ متندرين ـ إن بيش من الرواء والخصب إلى درجة أن المرأة لا تستطيع أن تحلب البقرة ! .

وأمّ الخشب بلدة كبيرة عامرة بها مدارس عديدة للبنات والبنين ابتدائي ومتوسط وثانوي ، وبها إمارة تشمل كل وادي بيش بقراه العديدة من البحر إلى الجبل ، ومحكمة شرعية متكاملة ، وشرطة ، ومركز لمرور السيارات ، ومركز لهيئة الأمر بالمعروف ، وبها بلدية أثرها واضح على النظافة ، وشوارع البلد بعضها مزفّت ، وقد أخذ البناء المسلح يحلّ محل القديم في كلّ شيء .

وهي تقع في فرشة وادي بيش ، ولكن حيموله يمر شمالها ، ذلك أن الأودية الزراعية تفرش ماءَها بين الأطيان ليتقاسمه الزراع .

وقد وصل إلى بيش الهاتف الآلي من جازان ، فبإمكانك من أُمِّ الخشب

أن تتصل بكل أطراف الكرة الأرضية ، بعد أن كان أصدقاؤنا لا يجدون من يوصل رسائلهم إلى ذويهم في بيش .

وقد أخذت الدوائر الحكومية ـ هنا ـ تطلق على أم الخشب اسم بيش ، استحساناً واختياراً لبيش على أم الخشب ، فكل اللوحات هنا : الإمارة ببيش ، الهاتف الآلي ببيش ، شرطة بيش ، وهكذا .

ولم أر من ذكر أم الخشب من المتقدمين ، إنما الذكر لبيش ، وإذا أرادوا ذكر البلدة ذكروا (عَثَّر) وهي من غربي أمّ الخشب ، وستأتي .

ولعل أمّ الخشب قامت على أنقاض عثر ، فإن أية مدينة تخرب يتحول أهلها إلى أقرب منزل مناسب حفاظاً على العشيرة والديار والأموال الراسية .

وادي بَيْش

وادٍ فحل من أودية تهامة كثير القرى والزروع والأهل ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من سراة (جنب) جنوب أبها ، وله هناك فروع كثيرة ، وأعلى مساقطه ارتفاعاً قمة تدعى (قُلَّة الموت) يتقاسم ماءها واديا بيش وجبونا ، وفي سراة أبها يتقاسم وادي بيش الماء مع وادي بيشة الكبير .

وتصب في بيش أودية كبار أقل منه مدى ، منها :

١ ـ وادي قُرَى : وادٍ متوسط يسيل من جبال (العَزِّيين) ثم يمر جنوب (الحقو) فيصب في وادي بيش بعد قرية السلامة .

وهو كثير الزرع والسكان .

٢ ـ وادي غَوَّان : أطول من سابقه مدى وأكبر فرشة وزراعة ، يسيل من جبال العزِّيين أيضاً والسلاسل المتصلة بجبل شهدان ، ثم يصب في وادي بيش قرب قرية (الملحة) .

٣ ـ وادي شَهْدَان : وادٍ زراعي يشبه وادي قُرَى ، يسيل من جبل شهدان ، ثم يصب في وادي (وِسَاع) الذي يصب بدوره في وادي بيش في الخبت .

٤ ـ وادي وساع : أكبر الروافد وأكثرها قرىً وسكاناً ، وينقسم في رأسه

إلى شعبتين[1] : تسيل إحداهما من جبال الصهاليل الشرقية ، والأخرى من جبال الصهاليل الغربية . وهذه الأودية من بيش الى صبيا يطلق عليها وعلى الخبوت التي تمر فيها (اسم المخلاف) ، وليس هو المخلاف السليماني ، ذلك أن المخلاف السليماني يشملها ويشمل أودية : صبيا وضمد وجازان إلى حرض .

ولعلّ تسمية هذه الأرض بالمخلاف اختصاراً لأسم (مخلاف عثر) الذي سيبحث بعد هذا .

وفي هذا المخلاف من القرى كباراً وصغاراً ما لا يلزمنا ذكره هنا ، إنما من أهمها :

١ ـ أُمّ الخشب : قاعدة المخلاف تتوسط وادي بيش ، وحيمول سيله يمر شمالها ، وقد ألمحنا إليها سابقاً ، ويقدر العقيلي سكانها باثني عشر ألفاً .

٢ ـ السَّلاَمة : وتقع على وادي بيش غربي أمّ الخشب في فرشة الوادي ، وهي أكبر القرى بعد أمّ الخشب ، فيها مدارس ومحكمة .

٣ ـ المحلة القديمة : وتقع قرب التقاء وادي قُرى ببيش .

٤ ـ السلامة السفلى : تقع في فرشة وادي بيش قرب البحر .

٥ ـ العالية تلي السفلى مما يلي البحر .

٦ ـ الدَّهْناء : تلي العالية مما يلي البحر ، وقربها آثار (عثر) المدينة الشهيرة .

٧ ـ الملحة والجارة والعَشَّة : كلها قرى في فرشة وادي بيش .

ونجد للأستاذ العقيلي بحثاً ضافيـاً عن بيش في معجمه ، نورد مختصره للفائدة :

---

(١) المخلاف السليماني . ط ١ ص ٤١٨ .

بَيْش : بفتح الباء وسكون الياء وآخره شين معجمة :

وادٍ من أكبر الأودية ، مآتيه من جبال السراة ، وترفده أودية وشعوب ، فهو من أشهر الأودية ـ في تهامة ـ ويعد في درجة وادي (مَوْر) الذي يسمى ميزاب تهامة الأعظم ، ويسقي ـ بيش ـ من المزارع والمحاريث ما يقدر بستين كيلاً طولاً ، وخمسة أكيال عرضاً ، ويجلب معه نوعاً من الطمي يورث الأرض خصوبة .

ومن أشهر روافده : الرَّجْفة ويخرف ، وأول عَقْم على مجراه[1] هو عَقْمُ محراث مسلِّية .

ومن أشهر قراه ومحاريثه :

١ ـ قرية مُسلِّيَة ، ومحاريثها[2] .
٢ ـ قرية المطعن ومحراثها .
٣ ـ قرية بيش : وهي قرية قديمة أعطت اسمها للوادي أو أخذت اسمها منه ، ثم تَدمّر قسم منها فانتقل جلّ أهلها إلى أُمّ الخشب .
٤ ـ أُمّ الخشب ، ومحاريثها ، وقد سبق الحديث عنها .
٥ ـ قرية السلامة ، العليا ، وقرية السلامة السفلى .
٦ ـ قرية المحلة .
٧ ـ قرية العالية .
٨ ـ قرية الدهناء .
٩ ـ قرية الجارة .
١٠ ـ قرية العَشَّة .
١١ ـ قرية الجمَّالة .
١٢ ـ قرية جُمَيْمة .

---

(١) العقم عند أهل تهامة : سد ترابي يحجز الماء ويدفعه إلى جهة مخصوصة .

(٢) استصلحها : طامي بن شعيب العسيري سنة ١٢٢٥ هـ .

١٣ ـ قرية ساحل الجعافرة : وقربها آثار (عَثّر) .
ويطلق اسم بيش على كل ما يسقيه وادي بيْش .

بيش في كتب المتقدمين :

ذكره البكري ، وأورد للأحوص :

أمِنْ آلِ سَلْمَى الطارقُ المتأَوِّبُ ... ألَمَّ وَبَيْشٌ دون سَلْمَى وحُبْحُبُ

وكسر ياقوت أوله ، وهو وهم ، وقال : من بلاد اليمن قرب دهلك[1] ، قال أبو دهبل :

لا تخالي أنِّي نسيتُك لما ... حال بيشٌ ومن به خلف ظهري

وفسر ياقوت ـ رحمه الله ـ شعر أبي دهبل تفسيراً خاطئاً .

وذكر الهمداني بيش ـ في صفة جزيرة العرب ـ فقال : ومخلاف عثَّر ومن مدنه بيش .

وقال ربيعة اليمني (القرن الخامس) يمدح الملك علي بن محمد الصليحي :

قرنتَ إلى وقائع يوم بَيْشٍ ... فكان أجلَّها يومُ السباقِ

---

(١) دهلك : جزائر بالبحر بعيدة عن بيش ، قرب الساحل الغربي عند مصوّع .

عَثَر

قال الهمداني[1] ، وهو يعدد بعض أودية وقرى تهامة : ثم بَيْش ، وبه موالي قريش ، وساحله عَثَر ، وهو سوق عظيم شأنها ، وقد تثقّله العرب فيقولون : عَثَّر ، وإلى حازة[2] عَثَّر تنسب الأُسود التي يقال لها : أسود عثّر وأسود عتود .

وكانت عثر مدينة عامرة ومقر حاكم تلك الناحية ، فتسمى تلك الناحية مخلاف عثر ، وكانت تضرب فيها العملة فيقال : الدينار العثّري .

ويقول الهمداني : وعرض عثر ست عشرة درجة وربع ، وطولها من المشرق مائة وتسع عشرة درجة وربع .

أي أنها كانت من المدن التي تقاس بها نواحيها في خطوط الطول والعرض .

وكانت على البحر ، لقول الهمداني[3] : إلى عَثَّر فرأس عَثّر ، وهو كثير الموج .

ويتردد عثر في طرق الحج بين مكة واليمن .

---

(١) صفة جزيرة العرب : ٧٦

(٢) الحازة ـ بالتشديد ـ ما حزّ في الجبل من السهل ، وكأنها سفوح الجبال حين تخلط بالسهل .

(٣) صفة جزيرة العرب : ٦٨ .

وفي تأريخ عمارة اليمني[1] : وممن امتنع من أعمال أبي الجيش بن زياد سليمان بن طرف صاحب عثّر ، وهو من ملوك تهامة وعمله مسيرة سبعة أيام في عرض يومين .

وهو من الشرجة[2] إلى حلي ، ومبلغ ارتفاعه في السنة خمسمائة ألف دينار عثّريّة .

وكان مع امتناعه الوصول إلى ابن زياد يخطب له ويضرب له السكة على اسمه ، ويحمل إليه مبلغاً من المال في كل سنة وهدايا لا أعلم مبلغها .

وفي مكان آخر ، يقول : ثم عثّر ، وهي مقر ملك قديم[3] .

ويعلق الشيخ الأكوع ، قائلاً : هو مخلاف عظيم وثغر جميل وساحل جليل . وقال البشاري ، في أحسن التقاسيم : وناحية عثر ناحية جليلة عليها سلطان يرأسها ، وعثر مدينة طيبة مذكورة لأنها قصبة الناحية وفرضة صنعاء وصعدة وبها سوق حسن وجامع عامر يحمل إليها الماء من بعد .

قلت : في قوله : وفرضة صنعاء وصعدة نظر ، إذ أن الطرق الطبيعية بين صنعاء والساحل لا تقرب عثر ، وخير سواحل صنعاء زبيد وما جاوره ، مثل الحديدة وغيرها ، والفرق بين صنعاء وزبيد وبين صنعاء وعثر قد يستغرق شهراً ذهاباً وإياباً .

أما ياقوت فأورده مرتين (عَثْر ، وعَثّر) ظاناً أنهما اثنان ، وقال في الأول : قال عمرو بن زيد أخو بني عوف يذكر خروج بجيلة عن منازلهم إلى أطراف اليمن :

مضت فرقة منا يحيطون بالقُنا ... مشاهرُ أمست دراهم وزبيدُ

---

(١) المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، وسليمان هذا هو الذي نسب إليه المخلاف السليماني ، كما تقدم .

(٢) هي آثار قرب بلدة الموسم على ساحل البحر .

(٣) المفيد : ٦٦ ، ٧٧ .

وصلنا إلى عَثْرٍ وفي دار وائل　　　بها ليل منّا سادةٌ وأسود

وعلى الثاني أورد لعروة بن الورد :

تبغاني الأعداء إما إلى دَمٍ　　　وإما عُراضَ الساعدين مصدّرا
يظلّ الإباءُ ساقطاً فوق متنه　　　له العدوة القُصوى إذ القِرْن أصحرا
كأن خواتَ الرَّعْد رِزُّ زئيره　　　من اللائي يسكنَّ الغريف بعثّرا

موقعها :

ذكر العقيلي مدينة عثر في معجمه ، فقال : (عثّر) وبعض أهل جهتنا ينطقونها مخففة :

مدينة تأريخية قد دثرت وطغت الرمال على أطلالها ، وإنما موقعها معروف عند أهل جهتها فيما يعرف الآن بساحل (الجعافرة) .

لم يبق لها إلّا أهميتها التأريخية وتحقيق مكانها علمياً ليسهل على هواة البحث وعشاق التأريخ ورواد التنقيب عن الآثار موقعها والنبش عن أطلالها .

وهنا ترى أن العقيلي ـ فيما يبدو ـ لم يرَ الآثار ، وإن المكان ليس معروفاً بالتحديد وإنما ناحية موقعها معروفة .

وفي مكان آخر من بحثه يقول : تقع شمال مدينة جازان بأربعين أو خمسة وثلاثين كيلاً .

ويبدو أن عثّر كانت معروفة حتى القرن الثامن ، وسبب اختفائها بهذه السرعة له عدة عوامل ، من أهمها :

١ ـ قربها من الشاطىء حيث تكثر الرمال فتغطي المباني المهجورة .

٢ ـ أهل تهامة يبنون بيوتهم من العُشش التي قد تعيش ثلاثين سنة ، وإلى عهد قريب كانت حتى المدن التهامية مبنية من العشش مما يعجل باندثار آثارها .

٣ ـ في حالة بناء بعض القصور بالحجر فإنهم يبنون بحجر البحر ، وهو أيضاً لا يصمد لعاديات الزمن .

وخير مثال مدينة حلي ، فلو أنها هجرت تماماً على قرب العهد بها لاختفت ، ولكن المنقبين سيعثرون على عثر ولو بالاستدلال بما خلفه الإنسان في مدينة كهذه كالنقود وغيرها .

وإذا لم نوف مدينة عثر التأريخية حقها من البحث ، فعذرنا أن هذه رحلة ، والرحلة قوامها المشاهدات وما يسمع من الناس ، غير أن الرحّال الذي يعرف ما يشتهيه القارىء يعرف أنه يتشوق إلى ما قل ودل عن المواضع التأريخية والأثرية .

قبائل منطقة بيش[١] :

١ ـ البناية .	٢ ـ الملاحة .
٣ ـ الفقهاء .	٤ ـ العوارضة .

ورئيسهم ـ في وقتنا الحاضر ـ حسن بن قاسم عُكفي .

قبائل المخلاف .

يطلق اسم المخلاف حالياً على القبائل الواقعة من شمال صبيا إلى جنوب أمّ الخشب ، وأشهر أوديته : وادي نخلان ، ووادي قُرى ، ووادي وساع ، ووادي شهدان .

ومن قراه : الجمّالة ، والملحة ، وأبو القعايد ، والعَشَّة ، والشاجر ، والسلامة[١] .

وأهم القبائل في هذا المخلاف :

١ ـ الملحاوية ، وتتألف من سكان : الملحاء ، وأبو القعايد ، وأبو السلع ، والشاجر ، ومنهم : القباب ، آل العبد ، عماري ، الزباني ، الموكلي ، العطافي ، الشيخيني ، الكوسي ، الربحة ، العطوي ، آل مشني ،

---

(١) المخلاف السليماني ط ٢ ، ص ٨٢ . ، ٨٠ .

الصمادحة ، النعامية (سادة) ، آل جَبْبين ، آل بوحيَّة ، الهراشِنة ، آل مقدام ، آل أبو هادي ، المشيرة ، المثمي ، المعافي ، الخديشي ، أبو مكي .

٢ ـ المحلتان : العليا والسفلى ، وأشهر عشائرهما :

النُّمازي ، الزُّغَيبي ، آل الصدام .

٣ ـ السلامتان : العليا والسفلى ، وأشهر عشائرهما :

الشمامخة ، آل الكبش ، القباب ، الجواحلة ، وآل الوالد ، والخواجِيّة ، والهَتّانة ، والمكاتلة .

٤ ـ عشائر قرية الجارة :

آل مهنا ، وآل موسى بن علي عماري[1] ، والعمارين ، والخداشية ، والسمانة ، وآل عقيل ، والدلاكمة ، والمحاصة .

٥ ـ عشائر قرية العَشَّة :

العوامرة ، والجعابير ، والهتانة ، وآل جبران ، والنواصرة، والفغافة ، وآل حيدر ، وآل علان .

وترى أن اسماء القبائل هنا تتكرر ، لأن القرى متجاورة فتنقسم العشيرة في السكنى إلى أكثر من قرية .

٦ ـ عشائر قرية الجَمّالة :

آل البر ، والبكارية ، والنمازي ، والمناعة ، والجواهرة .

٧ ـ قبائل السادة وأشهر قراهم :

أ ـ العالية . ب ـ الدهناء . وهي قرب البحر حيث تقيم قبائل الجعافرة . ورئيس السادة : الحسن بن عرار النعمي .

---

(١) ليست هي آل موسى بن علي من بارق .

قبائل الجعافرة

قبيلة الجعافرة تسكن ساحل صبيا إلى قرب الدهناء من بيش ، وتمتد ديارهم جنوباً إلى قرب جازان ، ممتدة على ساحل البحر .

وأهم فروعهم :[1]

١ ـ آل شعلان : ومن فروع آل شعلان : المشايخ ، وآل سلطان ، وآل سوادة .

٢ ـ آل خبرين : ومن فروعهم : السباعية ، والصراخبة ، والجرابية ، والأثالوة ، والحقاوية ، والطُّمَحة ، والمقارية .

ولم يذكر الأستاذ العقيلي ـ كعادته ـ إلى من يرجع هؤلاء ، غير أن شيخاً منهم قال إنهم من آل جعفر بن أبي طالب .

قبائل عصيرة

تقع ديار هذه القبيلة شرق صبيا وشمال ضمد ، وتمتد شرقاً إلى الجبال ، وينتسَبون حسيني ، وقاعدتهم بلدة الحسينين ، ومن أهم فروعهم[1] .

١ ـ الذروة : (والنسبة إليهم ذروي ، وهم هاشميون حسنيون) سليمانيون .

٢ ـ الحوازِمة : وهم أشراف ، وتقع أرضهم بجانب صبيا[2] وشرقها على الحسيني ، والصهلبة إلى ضمد والظبية، وهم منسوبون إلى الشريف حازم بن يحيى الصغير من الأشراف السليمانيين .

ومن أهم فروعهم :

أ ـ آل بشير .　　ب ـ آل زهير .　　جـ ـ آل طاهر .

د ـ آل إبراهيم .　　هـ ـ الجعابير .　　و ـ آل أبو شريعة .

---

(١) المخلاف السليماني ط ٢ ص ٨٠ .

(٢) عن القاضي الشريف عيسى بن علي ، المقدمة ترجمته

ز ـ المطاهرة .　　　ح ـ آل حمود .

ويرجع نسب السليمانيين إلى سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ، كرم الله وجهه . كانت لهم دولة بالحجاز ، وأول من خطب منهم لنفسه : محمد بن سليمان ـ وليس هو سليمان بن داود ـ سنة (٣٠١) هـ في عهد المقتدر العباسي .

وكان محمد هذا زيدي المذهب فلقب بالزيدي ، وتوارث بنوه الإمرة وادعى بعضهم الخلافة، ثم زالت دولتهم سنة **٤٥٣** هـ على أيدي الهواشم بمساعدة الصليحي ملك اليمن، فأجلى السليمانيون إلى اليمن فنزلوا المخلاف السليماني فأسسوا فيه إمارتين ، وذلك في أواخر القرن الخامس ، وكانت إحدى الإمارتين بحرض ، أسسها عيسى بن حمزة بن وهاس السليماني ، والثانية في (عثر) أسسها يحيى بن حمزة المذكور ، ولا زالت أسر منهم كثيرة منتشرة هناك .

(سمط النجوم العوالي ، العقد الثمين ، تأريخ المخلاف السليماني مشاهدات وسماعات المؤلف) .

٣ ـ الشراحية .	٤ ـ السباعية .	٥ ـ القصارية .
٦ ـ الدرامحة .	٧ ـ الوحاشية	٨ ـ البصالية .
٩ ـ الطواشية .	١٠ ـ العنابرة .	١١ ـ آل طيران .
١٢ ـ العقالية .	١٣ ـ النحوس .	١٤ ـ الحدارية .
١٥ ـ العوامرة .	١٦ ـ آل الأسدي .	

وهذه البطون لا تربطها الا مشيخة قرية الحسيني ، فبعضها من الأشراف ، وبعض بطونها يرجع إلى سعد العشيرة من مذحج .

قبائل الحقو

تقع ديارها بين وادي بيش ووادي صبيا إلى الداخل قرب الجبال ، وجلّهم يرجع إلى مذحج وتجمعهم مشيخة واحدة ، ومن فروعهم :

١ ـ السلاطين ٢ ـ النهارية . ٣ ـ الصبيانية . ٤ ـ آل مؤيد . ٥ ـ آل غشوم
٦ ـ الخواجية . ٧ ـ آل رُشَيدة . ٨ ـ آل قُطينة . ٩ ـ الشتافية .
١٠ ـ أهل الملحاء . ١١ ـ آل عثوان . ١٢ ـ حفلة . ١٣ ـ آل ابن معرشة
١٤ ـ آل ابراهيم . ١٥ ـ آل ابن غالبة . ١٦ ـ آل ابن طينة . ١٧ ـ آل ابن زالف

الوصول إلى صبيا :

خرجت من بلدة أمّ الخشب فأخذ الطريق في الانحراف التدرجي باتجاه الجنوب الغربي ، وما أن أخرت مزارع بيش ورائي حتى فرق الى اليسار طريق الحقو ، والحقو: أرض بجانب الجبال مما يلي بيشاً بها قرى عديدة وزراعة ، وتبعد من هنا قرابة (٢٠) كيلاً ، ويفترق طريق الحقو من قرية المحلة ، جنوب وادي قُرى .

وقبله مررت بوادي (قُرى) وادٍ كثير الزرع أخضر نضر ، ثم قرية المحلة ، المتقدمة ، وجاءني بعدها من اليسار وادي (غوّان) وهو وادٍ كثير الأراك كوادي قُرى ، ومن هنا أرى جبل شَهْدان مطلع شمس ، وهو جبل جميل معترض من الشمال إلى الجنوب كثير القرى ، وتتصل بشهدان هذا جبال تشبه السراة غير أنها دونها ومن هذه الجبال تسيل أودية: قُرَى وغَوّان ووِسَاع وشَهْدان وغيرها.

ثم مررت بقرى عديدة ، ثم هبط الطريق وادي شهدان ، وهو يسيل من جبل شهدان نفسه ، ومن جبال العَزِّيين ، ثم مررت بوادي وِسَاع ، وقد سبق وصف هذه الأودية في روافد بيش ، ووساع وشهدان يجتمعان عند الطريق .

من التقاء وساع وشهدان خرجت في خبت الملحاء ، وهو خبت كثير الأراك والعبش ، وعلى ثلاثة أكيال كان على يمني قرية أبو السلع ، ولها طريق مزفت .

ثم مررت بوادي (نَخْلان) : وادٍ جميل كثير الزراعة ، يأتي من جبال عكوة الشامية ثم يسيل بين بيش وصبيا فيصب في الخبت ، وهو ديرة الشاعر السيد عبد الله بن قاسم الذروي ، الذي سبقت قصته في بحث حلي ، وعندما سجنه

الغساني ، قال يتشوق دياره :

من لصبٍّ هـاجـه نشـر الصبا	لـم يَـزِدْه الـبيـنُ إلا طـربـا
وأسـيـر كـلـمـا لاح لـه	بـارق القبـلة من صَبْيـا صَبَـا
ولـطرفٍ أَرِقٍ إنـسـانُـهُ	دون مَـن يشتـاقُـهُ قـد حُجُـبـا
لـم يـزل يـشـتـاقُ نَـخْـلانَ وإنْ	قَـدِمَ الـعَهْـدُ ويـهـوَى الـطُّنُـبـا

إلى أن يقول :

يـا أخـلّائي بـصـبـيـا والـلـوى	وأحـبّـائـي بـتـيّـاك الـرُّبَـى

وقد ألْمَمْنا بشيء من هذا فيما سبق .

ثم مررت بمصنع المياه الصحية في منطقة جازان ، وعليه لوحة كتب عليها (المصيف) .

ومن هنا بدت عمائر صبيا ظاهرة للعيان ، وبعد ذلك المصنع هزعت يميناً عن الطريق ، وكانت الساعة العاشرة صباحاً ، وقد أخذ مني التعب كل مأخذ ، وفي خبت غطّاه العشب فصار كالبساط السندسي توقفت، وعملت الشاي والقهوة ، وكانت أذواد من الابل تروح وتجيء في ذلك السهل ، ومربي شيخ قال إنه من الجعافرة ، وتقع ديارهم غرب موقعي هذا ، فحلب ناقة ملحاء وشربنا وتحدثنا ملياً . وقِلْتُ في مكاني هذا إلى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وهذا هو اليوم الخامس للرحلة، ثم تحركت من مقيلي باتجاه صبيا التي ترى من هنا.

وقبيل صبيا كان إلى اليسار أطلال مهدمة ، وهذه صبيا التي اختطها الإدريسي وأطلق عليها الإدريسية سنة ١٣٣٨ هـ ولا زال بها قصره أطلالاً متداعية . ومررت في مدينة صبيا ، ثم عبرت على جسر وادي صبيا الضخم ، وكان السيل يجري تحت الجسر ، وسار الطريق بين الزروع والسدر، وفرشة واديها واسعة ومزارعه كثيرة جايدة بالذرة التي هي عظم زراعة المنطقة ، وأطيان واديها كأطيان بيش ، وهي مقسمة إلى أحواض كبار تسقى بالسيـل، وهذا أمرُ كلّ تهامة .

صبيا

مدينة عامرة مزدهرة عمرانياً وتجارياً ، ذات بيوت من طبقتين وثلاث وشوارع منسقة ومزفتة ، وبها متاجر ومقاهٍ من طبقتين ، وبها : إمارة ، ومحكمة ، وشرطة ، ومدارس ثانوية ومتوسطة للبنين والبنات .

وتعتبر صبيا ثانية مدن مقاطعة جازان ، وهي قديمة العهد ، فقد ذكرها الهمداني فقال[1] : وفي بلد حكم[2] قرى كثيرة يقال لها المخارف وصبيا .

أما مدينة صبيا الحالية فيقال : إن أول من اختطها[3] هو الأمير دُرَيب بن مهارش الخواجي سنة ٩٥٨ هـ ، ثم صارت عاصمة المنطقة من سنة ١٣٢٦ - ١٣٥١ هـ في العهد الإدريسي ، ويقدر عدد سكانها عام ١٣٩٧ هـ بنحو (٣٠) ألفاً ، وترتفع نحواً من (٥٠) قدماً عن سطح البحر . أما صبيا الجديدة ، فقد اختطها الإدريسي سنة ١٣٣٨ هـ وأطلق عليها الإدريسية .

وهي اليوم آهلة بالسكان وفي تقدم سريع بديع ، وتنسيق جميل .

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٧٦ .

(٢) الحكم بن سعد العشيرة من مذحج ، كانوا ملوك هذه الأرض .

(٣) معجم المخلاف السليماني ، صبيا .

وادي صبيا

وادٍ فحل من أودية تهامة كثير الزرع والأهل ، إلا أنه أقل من وادي بيش شأناً؛ يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال هروب ، في السفوح الغربية من السراة إلى الشرق من صبيا المدينة ، وقد تتناوش نواشغه العلى السراة ، ثم ينحدر مغرّباً ماراً بين وادي نخلان شمالاً ، ووادي ضمد جَنوباً بقرى عديدة من أهمها : الحسيني ، وصهلبة ، وغيرها ، ثم يمر بمدينة صبيا ، ثم يفرش حتى يشمل أراضي واسعة ومحاريث لا تُحصى ولا تُعد ، وقرى متناثرة تبلغ العشرات .

ويرفده في أعلاه رافدان كبيران وَشِعاب كثيرة ، ورافداه هما :

١ ـ وادي دَامِس : يصب فيه من الجنوب ، آتياً من جبال الحُسَّاب ، وما جاورها .

٢ ـ وادي قِصِي ـ يكسرون قافة وصاده ـ يأتي من جبال بني الغازي ، وجبال آل أحمد ، وهروب ، ويصب في وادي صبيا في مكان يُسمّى المجمع ، وتكون الثلاث الشعب صبيا ، ودامس، وقصي ـ قد اجتمعت .

صبيا في كتب المتقدمين وأقوال الشعراء :

مرَّ معنا ذكر الهمداني لصبيا ، ومرَّ في نخلان تشوق الذروي لها، ويقول الجراح بن شاجر[1] :

---

(١) معجم العقيلي

ولي في ربا صَبْيا حَبيبٌ عَشِقْتُه   ومـلّكتــه رقِّي وأصفـيتــه ودّي

وقال الإمام محمد بن علي الإدريسي .

أتلكَ بــروقٌ مـا أراهــا لـوامــع   تضيء بدوراً أم شموساً طوالعا
أم النور من (صَبْيا) سرى متألّقاً   فحيـا فؤاداً كـان بــالحبِّ والعا

قبائل صبيا

وتسكن حول مدينة صبيا وتتبعها إدارياً قبائل متناثرة كقبائل عصيرة أو الحسيني ، لا يجمعها إلاّ مشيخة واحدة ، ومنها :

١ ـ الخواجيّة : وكانت لهم إمارة في هذه المنطقة في القرن العاشر .
٢ ـ آل شافع .
٣ ـ الحكامية ، وهم فرع من الحكم بن سعد العشيرة من مذحج :

وعظمهم اليوم أهل المضايا ـ يأتون ـ وكان لملوكهم (بني عبد الجد) حكم هذه المنطقة زمناً وبهم سمي المخلاف السليماني ، باسم سليمان بن طرف .

٤ ـ الشباعنة .   ٥ ـ آل شيخين .   ٦ ـ فاسخ .
٧ ـ الحرابية .   ٨ ـ الفرادية .   ٩ ـ أهل العداية .
١٠ ـ الصلاهبة .   ١١ ـ العناتية .   ١٢ ـ آل مربع .
١٣ ـ أهل قرية الباحر .

وكلهم يتبعون صبيا .

مواصلة السير إلى جازان :

خرجت من وادي صبيا وزروعه وخضرته فسرت في فياح من الأرض كثير الرمال كثير الأشجار ، وكان الطريق بين صبيا وجازان مزدحماً بالسيارات ، وهو يوم جمعة ، فلعل هؤلاء أتوا من جازان إلى (صبيا الخضراء) للنزهة ، فصبيا ـ بحق ـ أجمل مدن هذا الساحل ، ولها ضواح كثيرة منتشرة جميلة .

وكانت الغدر على جانبي الطريق لهطول المطر ليلة البارحة ، ثم فرق طريق أبي عَرِيش يساراً ، وعليه لوحة تشير أنه على ٢٧ كيلاً جنوباً ، وعلى عشرة أكيال من صبيا ظهرت ـ على بعدٍ شاسع ـ قلعة الدوسرية على قمة جبل جازان . والأرض بين صبيا وجازان قليلة الزراعة إلاّ إذا فاض واديا ضمد وجازان فيزرع على سيلهما عثرياً ، ثم سار الطريق منحرفاً بالتدريج باتجاه البحر ، وابتعد كثيراً عن الجبال .

ثم مررت على جسر على وادي ضمد عندما يدفع في الساحل ، ومن هنا تحولت الأرض الى رمال سائبة تكسوها أشجار كثيفة معظمها الأثل والسدر والأراك والعصلاء ، وعلى (٢٠) كيلاً مررت بجسر على وادي جازان .

وادي ضَمَد

وادٍ فحل يسيل من جبال فيفـا ومن سراة جنب حيث سراة بني مالك من جنب ، ثم يتجه غرباً ماراً بين وادي صبياً شمالاً ووادي جازان جنوباً ، ثم يدفع في البحر شمال مدينة جازان .

وعليه مزارع وقرى عديدة ، ويفترق في رأسه الى شعبتين[1] : ضمد ، وجورا .

وعليه من القرى عدد من أهمها :

١ ـ بلدة ضمد نفسها، وكانت تسمى (هَجَر) ثم سميت بالوادي ، وهي قرية كبيرة فيها مركز إمارة ومحكمة شرعية ومدارس للبنين والبنات .

٢ ـ الجهو : تقع شرق ضمد إلى الشمال .

٣ ـ الملحة : عند التقاء ضمد بجوارا .

٤ ـ عَيْبان : وتقع على وادي جورا .

وقرى أخرى عديدة .

قبائل ضمد :

تسكن وادي ضمد بطون عديدة تشملها مشيخة واحدة ، منها :

---

(١) المخلاف السليمان ص ٤١٦ ط ١ .

١ ـ الحوازمة : وقد تقدم ذكرهم في قبائل عصيرة ، وهذا قسم منهم .
٢ ـ القضاة . ٣ ـ المشايخ . ٤ ـ الهوادية .
٥ ـ المعافين . ٦ ـ المطاهرة : وهم من الأشراف الحوازمة .

من تأريخ ضَمَد :

جاء في معجم العقيلي :
بلدة ضمد تسمى باسم الوادي ، وقد كانت قاعدة ضمد قبلها تسمى (هَجَر) ولا نعلم موقعها على وجه التحقيق .

أما بلدة ضمد الحالية ، قال صاحب كتاب (الذهب المسبوك) : إن أول عمرانها في زمن القاضي محمد بن علي بن عمر ، وبنى فيها مسجد الحجر ، وعمر جامعه القديم الذي جحفه السيل عام ١٢٠١ هـ ، وبلدة ضمد القديمة كانت بموضع قرية (مختارة) وكانت فيما سلف تُسمّى (نجران) وبها كان الشاعر القاسم بن هُتَيمل .
واستمر بنا الطريق ، ولا زال البحر لا يُرى بوضوح تام ، ثم مررت بقرية تدعى بحيقة ، ثم فرق إلى اليسار طريق الخَصَاوِيَة ، من قرى وادي جازان .

ثم ظهرت مزروعات الذرة التي يسقيها وادي جازان على جانبي الطريق ، ثم مررت بقرية القعارية ، ومدينة جازان ترى منها مغيب شمس ، وهي ـ القعارية ـ قرية بها مسجد ومدرسة للبنين وأخرى للبنات .

ثم وصلت الى جازان على قرابة (٧٠٠) كيلاً من مكة .

مدينة جازان

هي مدينة متطورة العمران بها قصور من ثلاث طبقات ، وشوارع منظمة وحدائق ومدارس للبنين والبنات من الابتدائي الى الثانوي ، وهي قاعدة مقاطعة جازان حيث تتبعها الأرض الواقعة من وادي ذهبان شمالاً إلى وادي حرض جنوباً ، ومن سراة جنب ـ بني مالك وفيفا وغيرهم ـ شرقاً الِى البحر غرباً .

وبها كل ما بالمدن الرئيسية من إدارات الحكومة ، مثل الشرطة والمرور وإدارة تعليم للبنين وأخرى للبنات ، وفروع لكثير من الوزارات وبنوك وغير ذلك ، وقد ازدهرت في العهد السعودي ، وكان قوام عمرانها من العشش كما هي الحال في تهامة .

وترتكز جازان ـ المدينة ـ على جبل مستطيل بمحـاذاة البحر ذو شعاب وقميمات تظهر هنا وهناك ، وعلى رأسه قلعة تسمى الدوسرية لها شهرة هنا .

وإمارة جازان يتبعها عدد من الإمارات الصغرى ، منها :

١ ـ إمارة صبيا ـ   ٢ ـ إمارة بَيْش .   ٣ ـ إمارة أبي عريش .
٤ ـ إمارة سامطة .   ٥ ـ إمارة ضمد .   ٦ ـ إمارة المسارحة .
٧ ـ إمارة بني مالك . ٨ ـ إمارة بني شعبة (الدرب) . ٩ ـ إمارة الشقيق .
١٠ ـ إمارة الـريث .   ١١ ـ إمارة القحمة .   ١٢ ـ إمارة الموسم .
١٣ ـ إمارة هروب .   ١٤ ـ إمارة الجعافرة .   ١٥ ـ إمارة العارضة .

ولمدينة جازان ميناء كبير ترسو فيه كبار البواخر ، ولها شواطىء جميلة ، غير أنّ حرّها شديد صيفاً ، حيث تصل الحرارة أثناء النهار إلى ٤٣ درجة ، أما في الشتاء فتعتدل حيث تهبط درجة الحرارة أثناء الليل إلى (٢٠) درجة .

وزيارتي هذه جاءت في الشتاء حيث كانت الحرارة متدنية وكان الجو غائماً بديعاً ، ونسبة الرطوبة هنا مرتفعة وخاصة في فصل الصيف ، وتؤثر في السيارات ، حيث تتآكل أجزاؤها بسرعة ، وحرّها يصيب بالحساسية ، ومن هنا نشأ تقليد التهاميين في اللباس ، وذلك بلبس المآزر بدل السراويل ، وذلك للوقاية من الالتهابات الداخلية ، أما في الشتاء فالأمر يختلف نوعاً ما .

وادي جازان

وادٍ فحل كثير القرى كثير الروافد ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من أعلى السراة داخل حدود الجمهورية اليمنية ، ويتقاسم الماء مع نواشغ وادي نجران شمال غربي صعدة[1] ، ثم يتعاكسان الاتجاه ، ثم يستمر جازان مغرباً فيمر بمدينة أبي عريش ،وهي تتربع أراضيه الخصبة ، ثم يدفع في البحر عند مدينة جازان المسماة به .

وتسيل بعض نواشغه الدنيا من[2] : جبل دبير ، وجبال العبادل ، وجبل سلا ، وجبال العر ، وجبال بني حريص ، وجبال فيفا .

أما العُلى فتأتي من سروات اليمن وجبال نيس ، وأهم هذه الروافد ، من آخر الجنوب إلى آخر الشمال ، هي :

١ ـ وادي الحنكة : من جبال دبير شمالي شُدا اليمن .
٢ ـ وادي القصبة : من جبال دبير أيضاً .
٣ ـ وادي مشرف من جبال العبادل ، شرقِي مدينة العارضة .
٤ ـ وادي الحبالة : من جبال العبادل أيضاً .

---

(١) انظر كتابي بين مكة وحضرموت .
(٢) معجم العقيلي : جازان .

وهذه الروافد الأربعة تجتمع مع غيرها في سهل شرقي جبل الدقم ، ثم تصب فوق السد .

٥ ـ وادي الحمـاطة : من جبل سلا .
٦ ـ وادي الزغبة ، من جبل سلا أيضاً .
وهذان الواديان يجتمعان ويصبان في وادي جازان فوق السد .
٧ ـ وادي عوجبة : يأتي جازان من الشمال من جبال العر .
٨ ـ وادي الشرمة : يأتي وادي جازان من الشمال ، أيضاً ، من جبل الشرقي .
٩ ـ وادي هرابة : وله عدة روافد ، يأتي من الشمال من جبل حَمُر .

فإذا اجتمعت هذه الروافد في فرعة واسعة تُسمّى (الحَزْن) وقعت في مضيق لجب بين جبلين، وفي هذا المضيق وضع سد وادي جازان الذي سيمر معنا ، ثم يدفع في سهل الساحل الواسع ، وبين المضيق والسهل حرة سوداء تمتد إلى بلدة أبي عريش ، التي تقع في أول السهل مما يلي الحزن .

أهم المدن والقرى على وادي جازان :

١ ـ مدينة جازان : وقد تقدم الحديث عنها .
٢ ـ مدينة أبي عريش ، وهي مدينة متقدمة ، وكانت عاصمة الإقليم إبّان حكم الأشراف ، وتقع شرق مدينة جازان على (٣٢) كيلاً تقريباً ، ويبدو أنها من أقدم مدن المنطقة حيث ورد اسمها في صفة جزيرة العرب باسم (العرش) .

وفي معجم العقيلي : إن أول من اختطها شخصٌ من آل الحكمي في القرن السابع ، فبنى فيها عريشاً ، وكان رجلاً صالحاً يزوره الناس لطلب العلم ، فكانوا يقولون زرْنا أبا عريش ، وهذا أبو عريش ، أي الرجل صاحب العريش .

وإن ابن حجـر العسقلاني ذكـرها ـ في رحلتـه إلى اليمن ، سنة (٨٠٠) هـ ـ باسم عُرَيش : بالتصغير .

٣ ـ العارضة : قاعدة الحزن ، وتقع على السفوح الغربية لجبال العبادل

وسلا ، في منطقة خضراء ذات زراعة حسنة ،وتحيط بها القرى من كل جهة ، ولها إمارة تراجع إمارة جازان ، ولها سوق أسبوعي سيأتي ، وتكتنفها أودية كبار من روافد وادي جازان، وبها قبائل: العبادل، وبنو سفيان، وبنو شراحيل، وغيرهم .

٤ ـ البَدِيْع : قرية لجالية من قبيلة حرب ، إلى يسار الخط الموصل بين جازان وأبي عريش ، وقرب منتصف المسافة .

٥ ـ القَرْفي : قرية لجالية حرب كالبديع ، تجاور البَدِيع من الغرب .

٦ ـ الواصلي : شرق جازان ، وعلى العدوة الجنوبية من الوادي .

٧ ـ الخَصَاوِيَة : شرق جازان أيضاً مع ميل إلى الشمال ، وشمال غربي الواصلي ، على الضفة الشمالية لوادي جازان .

٨ ـ الكُرْبُوس : ليست بعيدة عن جازان إلى الشرق ، وهي من ديار المغافير ، إحدى قبائل جازان .

وهناك عشرات القرى غير ما ذكرنا ، ولكن رائدنا في هذه الرحلة إعطاء لمحة عن المنطقة ، وقد تكفل بالشرح والإيضاح كتاب (المخلاف السليماني) للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي .

قبائل جازان :

يقصد هنا القبائل التي تتبع جازان إدارياً ، أما بقية القبائل المحيطة به فسنوردها باسماء جذورها مثل : خولان ، ومذحج ، ونحوها .

ويقسم العقيلي قبائل جازان الى : قبائل جازان الأعلى ، وهم من حول أبي عريش ، وقبائل جازان الأسفل ، وهم التابعون لمدينة جازان .

قبائل جازان الأعلى :

١ ـ القصامة : وهم مسارحة فيما يقال . ٢ ـ الحمازية : مسارحة أيضاً .

٣ ـ أهل البيض . ٤ ـ القواسمة . ٥ ـ الحكامية : وهم من بني حكم

بن سعد العشيرة ، مذحجية ، وسيأتي ذكر مذحج[1] .   ٦ ـ النمرة .

٧ ـ الصعادية ، ويقول أحدهم : إنهم من خولان من صعدة .

٨ ـ الرفاعية   ٩ ـ المجالية   ١٠ ـ الشراونة   ١١ ـ الشواذلة

١٢ ـ آل منى   ١٣ ـ الحوابنة   ١٤ ـ الجزارة   ١٥ ـ الموريّة : نسبة إلى مَوْر

١٦ ـ الحلابة   ١٧ ـ آل إدريس

قبائل وادي جازان الأسفل :

١ ـ آل الأسدي   ٢ ـ الفقهاء   ٣ ـ الخرادلة   ٤ ـ الخصاوية : سكان قرية الخصاوية

٥ ـ الهجارية   ٦ ـ الكواملة   ٧ ـ المقارية

٨ ـ العَقَارِيَة   ٩ ـ الدشانية   ١٠ ـ أهل العشوة   ١١ ـ العقالية

١٢ ـ العساونة   ١٣ ـ المغافير : سكان قرية الكربوس وما جاورها

---

(١) انظر عن مذحج : كتابي (بين مكة وحضرموت) .

أيام في جازان

عندما دخلت أول مدينة جازان أنكرت هذا البلد الذي أعرفه سنة ١٣٨٧ هـ . فقد كنت أرابط في (الدغارير) من بلاد بني شبيل ، وكنت أزور جازان مراراً ، غير أن ما نالته جازان في هذا العهد من تقدم وازدهار عمراني وتجاري فاق الحلم .

وأردت أن أسكن أحد الفنادق فسألت أحدهم الذي دلني على فندق ليس حسناً وإيجار الغرفة فيه (١٢٠) ريالاً ، والخدمة شبه معدومة .

وعلى السرير ارتميت بعد أن صليت المغرب والعشاء جمعاً ، ولم استيقظ إلّا في السابعة صباحاً .

وفي الصباح ، وكان يوم السبت وهو اليوم الخامس لرحلتي بكّرت إلى إمارة جازان ، ومن ثم تجولت في المدينة ، وعرجت على مكتبة العقيلي أسأل عنه فدللت على منزله .

وفي الساعة الثانية عشر قبيل الظهر طرقت باب الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي المؤرخ المعروف ، وكنت أتعشم أن أجد عنده ما لم أجده في الإمارة من مرافقة إلى ضواحي جازان أو الإرشاد إلى العارفين في تلك الضواحي ، ولكنه اعتذر بكبر السن وكثرة المشاغل ، فودعته من عند الباب فالوقت كان ضيقاً لا يتسع للدعوة والمجاملات ، واتفقنا على أن أزوره غداً في مكتبه بمطابع

جازان ؛ فأنا لست غريباً على هذه الديار ، ففي عامي ٨٦/ ١٣٨٧ هـ كنت ، كما تقدم أرابط في هذه الناحية وأقضي أوقاتاً في التجول بين أبي عريش وجازان وضمد والعارضة وسامطة ، وغيرها .

غير أني هنا أدون مشاهداتي وأردت أن أعتمد على العارفين من أهلها رغم ضيق الوقت .

خرجت من أمام منزل العقيلي فسرت على طريق أبي عريش والسد .

وكان العقيلي ذكر لي أثناء محادثتنا أمام بابه بأن اليوم هو يوم سوق العارضة فأردت أن أحضره ، وقد ظهر بعد ذلك أن السوق ليس يوم السبت .

وعلى ثلاثة أكيال افترق طريق صبيا إلى اليسار بينما استمر طريق أبي عريش مشرقاً ، وعلى (٨) أكيال - عند قرية الكربوس فرق إلى اليمين طريق سامطة ، واستمر طريق أبي عريش باتجاه مطلع الشمس ، وهنا مررت بمستشفى ضخم مكوّن من عدد من العمائر الجميلة البناء حسنة التخطيط والتنظيم، كُتب عليه أنه تم تواً ؛ ومسماه (مشروع المستشفيات الخمسة)ثم مررت بقرية العُسيلة على يمين الطريق ، تبعد عن جازان (١٤) كيلاً ، ثم فرق إلى اليسار طريق إلى قريتي البديع والقرفي ، المقدمتين في قرى جازان ، وهما - كما تقدم - قريتان تسكنهما جالية من قبيلة حرب ، ثم قرية بحرة على اليمين أيضاً على (١٧) كيلاً من جازان .

وعلى (٣٢) كيلاً وصلت إلى مدينة أبي عريش ، وكان قد شملها التطور ، فظهرت بحلة لم أعهدها فيها ، وقد زفّتت شوارعها وقامت فيها العمائر المسلحة .

ثم واصلت سيري صاعداً الحَرَّة السوداء التي تشرف على أبي عريش من الشرق وصار الطريق صعباً ، وفيه ترميمات وترقيعات ، ثم مررت على جسر على وادٍ يسمى وادي (عِذْلة) يصب في وادي جازان قبل السد ، وكان غيله يسيل على وجه الأرض ، وهو يأتي من الجنوب ، وعلى طرف السد من الغرب

وجدت قرية مخططة تخطيطاً حديثاً مبنية بالإسمنت ، يظهر أنها بنيت لعمال السد ، ويسمونها قرية السد ، وهي مغروسة بأشجار النيم ، وفي آخر القرية كان حارس يوقف السيارات ، ومن البديهي أنه سيطلب مني تصريحاً بزيارة السد ، ولما إني لم أحصل على شيء من إمارة جازان فقد توقعت العودة دون رؤية السد ، ولكن العسكري لم يؤشر لي بالتوقف فواصلت سيري ، وعلى (٤٨) كيلاً من جازان شرقاً وصلت إلى السد ، وهو سد محكم عمل في العهد السعودي قبل حوالي (١٧) سنة ، ويخزن وراءه بحيرة طويلة تمتد إلى الداخل مسافة لا يحدّدها النظر ، ومع أن السد وضع في مضيق بعد اجتماع روافد وادي جازان المتشعبة كأصابع اليد ، فقد تشعبت هذه البحيرة داخلة في أفواه تلك الروافد ، وتشرف على هذه البحيرة من الجنوب الشرقي جبال العبادل ، وجبل سلا ، وهي جبال عالية متصلة بالسراة ، ومنها تنظر جبل فيفا في الشمال الشرقي ، وتستطيع أن ترى جبال نيس على ظهر السراة في الشرق ، وبينك وبينها غمام .

ثم عدت على طريق أبي عريش ، وعند البوابة عاتبني العسكري الذي كان على خلقٍ حسن ، وكانت حجتي إنه لم يؤشر لي بالوقوف ، ومع تبادل الشكر والابتسام غادرته داعياً لأمثال هذا الحارس الذين يؤدون واجباتهم بلا رقيب ولا ملل أو تذمر .

العارضة :

وعند وادي عدلة ، ونطقه مرافقي (إدلى) على لهجتهم في قلب العين ألفاً ، فرق طريق العارضة يساراً إلى الجنوب في عقبات وعرة غير ممهدة ، وأخذت الطرق تتفرق يميناً وشمالاً ، وأمامنا جبال العبادل أو جبال العارضة ، وإلى الأمام يميناً ظهر جبل شُدا اليمن ، بنفس اسم شدا زهران ، وكانت السحب قد غطت رأسه ، وهو جبل ضخم على الحد بين السعودية واليمن فيه أشجار فواكه كثيرة ، ويشتهر بانتاج الموز ، وفيه تغرس شجرة القات .

وعلى (٥) أكيال من مفرق طريق العارضة هبطنا وادي حبنكة ، وهو من

كبار روافد وادي جازان ، وبعده مررنا بقرية تدعى (أَمْرخّة) أي (الرَّخّة) وهي في حزن من الأرض قبل سفوح الجبال ، ومن هنا ترى جبل الريث إلى اليسار بعيداً عالياً يلوح فيه بياض القرى ، وهو من سراة جنب .

ثم سار الطريق بين غابات من السمر والأراك والسدر وكثير من الأشجار الأخرى ، مثمرة وغير مثمرة ، وأشجار المطاط تنمو هنا ولكن لا تشكل مورداً تجارياً .

العارضة :

وعلى قرابة (٨٠) كيلاً من جازان وصلنا إلى بلدة العارضة ، وهي بلدة عامرة يُقام فيها سوق كل يوم خميس ، وسكانها خليط من خولان ، منهم العبادل من حرب ، والحُرّث من خولان السافلة ، وبنو سفيان من خولان[1] ، وبها مدرسة وشرطة ومركز إمارة ، وتحيط بها الأراضي الزراعية ، ويطل عليها من الشرق جبل سلا ، ومن بعيد جنوباً يُرى جبل شدا وبعض مزارع النخيل ترى إلى الشمال .

وتحيط ببلدة العارضة ثلاثة أودية هي : وادي زغبة ، ووادي أبو محناية ، ووادي الهيف ، وكلها تصب في وادي جازان ، ويمكن أن ترى من هنا مساقط وادي عَنَا ، ووادي عوجية ، وهما من روافد وادي جازان أيضاً ، ودونهما إلى الشمال من العارضة يمر وادي مشرف ، وكل هذه الأودية تصب في وادي جازان .

العودة إلى جازان :

عدت إلى أبي عريش بنفس الطريق بعد صلاة العصر ، ومنه سرت على طريق ضمد إلى الشمال الغربي من أبي عريش ، وبينهما أراضٍ زراعية واسعة ،

---

(١) هم يقولون أنهم من سفيان ثقيف ، وليس هذا بعيد إذ إن الهمداني وغيره ذكروا أن ثقيفاً كانت منها جالية باليمن . انظر (بين مكة وحضرموت ، وصفة جزيرة العرب) .

يسقيها وادي جازان ، وعلى سبعة أكيال من أبي عريش مررنا بقرية خضراء (أو الخضراء) ، ثم إلى وادي ضمد على (١٤) كيلاً من أبي عريش ، وعلى (١٥) كيلاً من أبي عريش وصلنا إلى قرية الطاهري ، فيها منائر ومدارس ، وتقع شمال أبي عريش على الطريق بينه وبين صبيا .

وعلى تسعة أكيال من الطاهري وصلنا إلى قرية الظَّبْيَة ، للأشراف الحوازمة، وعند منتصف المسافة تقريباً بين أبي عريش وصبيا فرق طريق ضمد شرقاً . وتقع بلدة ضمد على الضفة اليمنى الشمالية لوادي ضمد ، وهي مسماة باسم الوادي ، وفيها منائر ومدارس ، وبعض بيوتها مبني بالإسمنت المسلح ، وبعضها لا زال قديماً من العشش ونحوها ، وتبعد ضمد عن أبي عريش قرابة عشرين كيلاً .

وفي هذه الناحية لا زالت الجمال والحمير تستخدم كوسائل للمواصلات ، بينما هي قد انقرضت في معظم أنحاء الجزيرة العربية عدا اليمن وحضرموت ، وبعض مرتفعات عسير .

وهي في كل مكان أخذت في الاندثار .

ومن هنا عدت إلى جازان ، وصليت المغرب والعشاء جمعاً في الفندق ، ثم نمت .

اليوم السابع للرحلة

بكرت اليوم إلى مطابع جازان على ما وعدت الأستاذ العقيلي بالأمس ، وفي الثامنة والنصف كنت في مكتب العقيلي ، وبقينا نتباحث حتى الساعة الثانية عشرة والنصف ، وتناقشنا حول بعض القبائل وأصولها ، ووجدته يتفق معي في كثير من الآراء حول أنساب هذه القبائل كخولان ومذحج وغيرهما ، وخاصة كنانة ، غير أنه لا يميل إلى تسجيل الأنساب في مؤلفاته ، ولذا فهو كثيراً ما يضم القبائل إلى القرية التي تسكن حولها .

وعنده زارنا مندوب عن جريدة البلاد حيث أملاه العقيلي عنه وعني شبه مقابلة ، لعلها نشرت ، لا أعلم .

رحلة إلى سامطة والموسم :

خرجت من مكتب الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ، وأذان الظهر يتعالى من مآذن جازان ، متجهاً صوب مدينة سامطة ، فسرت على طريق أبي عريش ، وعلى (٨) أكيال وصلت إلى قرية الكُرْبُوس ، فافترق إلى اليمين طريق سامطة .

المضايا :

وعلى (٢٥) كيلاً من جازان وصلت إلى بلدة **المضايا** ، قاعدة قبيلة الحكامية (بني حكم بن سعد العشيرة) ، وكان العلم بها مبنية بالعشش ، فإذا

هي اليوم جلّ بيوتها بالإسمنت المسلح ، ومخططة تخطيطاً حسناً ، وكانت المسافة بينها وبين جازان (٣٠) كيلاً[1] على طريق ترابي ، فإذا هي اليوم ـ بعد تزفيت الطريق ـ تقل خمسة أكيال .

وفي البلدة مدارس ومساجد أرى مآذنها ، وبها محطات وقود وورش للسيارات . والجدير بالذكر أن بلدة المضايا خرّجت عدداً من القضاة والعلماء ، وخاصة في وقتها الحالي ، والذين عرفتهم من أبناء هذه البلدة ، ومن بني حكم عامة هم من خيرة أبناء هذه الناحية ، وكان لبني حكم دولة على هذا الإقليم ـ كما تقدم ـ وبأحدهم يسمي المخلاف السليماني . ثم سار الطريق جنوباً شرقياً، فمررت بقرية الخمس على (٤) أكيال من المضايا ، وبناؤها خليط من الإسمنت والعشش ، وعلى جانبي الطريق الزروع الخضراء ، وهذه الأرض تسمى خبت المسرحي ، وهي تشمل ما بين وادي جازان شمالاً إلى وادي خلب جنوباً ، ومن الحزن إلى البحر ، وتصب فيها أودية المسارحة الآتية بعده .

وتظهر ـ من هنا ـ جبال المسارحة إلى مطلع الشمس ، ومن أبرزها جبل مَحرّة .

الأحد (أحد المسارحة) :

وعلى (٥٠) كيلاً من جازان إلى الشرق الجنوبي وصلنا إلى بلدة الأحد ، وتسمى أحد المسارحة ، وهي قاعدتهم ، وهذا اليوم هو يوم سوقها ، فنزلت ومرافقي الذي ركب معي من المضايا ، وتجولنا في سوقها ، وفيه جميع ما يلزم أهل السهل والجبل ، وكان عسل شُدَا يباع فيه بسعر باهظ جداً ، فقد وجدت قدراً مَمْلُوءاً عسلاً حزرته بثلاثة أو أربعة (كلجم) لا يزيد أبداً ، فطلب صاحبه مبلغ (١٢٠٠) ريالاً .

وبلدة أحد المسارحة مقر إمارَة رئيسية تتبعها قبائل المسارحة الخولانية ،

---

(١) قستها سنة ١٣٨٧ هـ بعداد السيارة .

وتقع على الضفة الشمالية لوادي خُلب ، وبها مساجد ومدارس للبنين والبنات ، ومحكمة شرعية ، وشرطة وكل مرافق الدولة .

وكانت لي أيام فيها سنة ١٣٨٧ هـ مع عدد من الأصدقاء كان على رأسهم الشيخ منصور الكودري القحطاني أميرها آنذاك .

قرية الدغارير :

خرجت من الأحد فعبرت على جسر وادي خُلَب على مرأى من الأحد ، وعلى العدوة المقابلة تقع قرية الدغارير ، وهي لبني شبيل ، والحد بينها وبين الأحد وادي خلب ، وبالتالي هو الحد ـ هنا ـ بين المسارحة وبني شبيل .

وكنت سنتي ٨٦ ، ١٣٨٧ هـ أرابط في هذه الديار إبّان قيام ثورة اليمن واحتلال جيش عبد الناصر اليمن ، وقضيت جل عام ١٣٨٧ هـ ساكناً الدغارير هذه في عشتين إستأجرتهما ، وليس في القرية آنذاك بَناء غير العشش .

وجدت وادي خلب يسيل ، فعدت بذاكراتي إلى أيام مرابطتي فتذكرت أنني ما مررت بهذا الوادي إلّا كان سيله يجري ، وقد عددت سنة ٨٧ خلال ستة أشهر (٦٠) سيلة لوادي خلب ! ذلك أنه يستسيل جبل شُدا الطود الأشم الذي لا يكاد يفارقه السحاب .

وما أن صعدت الضفة الجنوبية حتى كنت في أول بيوت الدغارير ، ووجدتها قد تغيرت تغيراً بسيطاً فقامت في كل حوش غرفة أو نحو ذلك مع الإبقاء على تلك العشاش المخروطية الشكل كالصواريخ ، وهم يتقنون بناء العشاش حتى إنني رأيت العشاش التي كنت أسكن بعضها قبل (١٧) عاماً لم تتغير أبداً .

كنت أسكن عند شخص يدعى محمد عقّار ، فرأيت أنه من حسن العشرة والوفاء أن أزور هذا الشخص وأسرته ، وهكذا كان ، فقيل لي : إن محمد عقار ورائي في السوق وإن أسرته عند ابنتهم المتزوجة في حاكمة ـ قرية شرق الدغارير .

فواصلت سيري جنوباً في خبت بين وادي خُلَب شمالاً ووادي لِيَة جنوباً .

مدينة سامطة :

واصلت السير جنوباً ، وعلى قرابة عشرة أكيال من الأحد وصلت إلى سامطة المدينة المشهورة في هذه الناحية ، وتعتبر رابعة مدن مقاطعة جازان ، بعد الثلاث الكبار : جازان وصبيا وأبي عريش .

وهي مدينة متطورة ذات عمارات وشوارع منظمة ، وبها معهد مشهور كان يخرج مدرسين أكفاء ، وبها إمارة كانت لي صداقة مع أميرها الشيخ ناصر الكودري الذي نقل فيما بعد إلى مكان آخر أجهله ، وهو أخو الشيخ منصور الذي كان أيضاً أمير بلدة الأحد .

وتقع سامطة على الضفة الشمالية لوادي لِيَة ، ومنذ أن خرجت من الأحد رأيت جبل شدا الذي تصب مياهه إلى سامطة ولكنه بعيد من هنا ، وفي الجنوب الشرقي جبل (وعلان) وهو جبل أسمر من جبال الساحل حائز على الضفة الجنوبية لوادي تعشر، وكل قرية من القرى التي في هذه النواحي كنت قد رأيتها ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر : قرية سوق الليل بجانب خلب الشمالي ، وحاكمة ، بجانبه الجنوبي ، وأبو حجر في لِيَة ، والرَّكُوبة بليّة أيضاً ، والطوال بتعشر ، وقرية جُحَا ، بخلب ، وعشراتُ غيرها .

الحضرور والموسم :

ومن سامطة أخذ الطريق ينحرف إلى الجنوب الغربي بميل ملحوظ بحيث لو استمر على هذا الاتجاه وصل إلى البحر في نقطة ما .

ثم هبط الطريق وادي لِيَة بعد أن يتجاوز سامطة ، وفي هذا المكان أو بعده بقليل يجتمع وادي لِيَة وتَعْشَر ، وكانت الزروع الخضرة النضرة على جانبي الطريق .

وعلى الجانب اليماني لوادي تعشر مررت بقرية الحُضْرُور : قرية لبني

حُمَّد ، لا زالت على طرازها القديم ، وتركت وادي تعشر بيمين ، وعلى قرابة (١٥) كيلاً من سامطة وصلت إلى بلدة الموسم : البلدة الحدودية بالنسبة إلى حدود المملكة مما يلي الساحل ، وتقابل مما يلي اليمن بلدة (مَيْدي) اليمنية ، والحد بينهما .

وفي الموسم مسجد ومدارس ومركز إمارة بني مروان من مذحج ، وبها جمارك الحدود ، وشرطة ، ويصلها بسامطة الطريق المزفّت الذي أتيت عليه ، وهناك طريق قيد التنفيذ سيربطها بجازان ، وهو قصير مستقيم ، ومنها سينفذ إلى مَيْدي ، وسيستمر إلى الحديدة : ميناء اليمن الرئيسي ، وعلمت هنا أن هذا الطريق سيكون على نفقة المملكة العربية السعودية كهدية منها إلى شعب اليمن وخاصة حجاج البر منهم .

وداعاً جازان :

قلت هذا سنة ١٣٨٧ هـ ، ثم عدت ، وأقولها الآن ، وقد أعود ، عدت إلى جازان ، وأجريت بعض الصيانة لسيارتي ، ثم بكرت عائداً على طريقي حتى تجاوزت بلدة الشقيق فأخذت يميناً على طريق العرضِية ، مما سوف أشرحه في آخر الرحلة .

أودية جنوب المخلاف السليماني

تحدثت فيما مضى من الرحلة على الأودية الواقعة شمال جازان ، وهناك أودية تقع جنوب وادي جازان هي مدار حديثنا هذا ، وهي :

١ ـ أودية المسارحة : هي سبعة أودية تصب من الحزن ، وهي منطقة جبلية دون السراة بين واديي خُلَب وجازان ، ثم تفرغ في خبت المسرحي ، وهو أيضاً الخبت الواقع بين خلب وجازان في الساحل ، وأهله المسارحة فنسب إليهم ، وتكاد تجتمع هذه الأودية عند قرية المضايا قبل البحر بحوالي (١٧) كيلاً .

وهذه الأودية تتوزع خبت المسرحي فتسير فيه تتبارى سنناً فتجعله خصباً يزرع فيه الدخن والذرة ، وعلى جنباتها قرى المسارحة العديدة ، وهذه الأودية من الشمال إلى الجنوب ، هي[1] :

أ ـ وادي الأملح : يصب من جبل مرح جنوب شرقي أبي عريش ، ثم يصب في الخبت .

ب ـ وادي المعاين : يصب من جبل مَحرَّة ، ويباري سابقه إلى الخبت .

جـ ـ وادي مُقَاب : يصب من وسط الحزن ، ويماثل سابقيه إلى الخبت ، وفيه قرية عَيَّاش .

---

(١) المخلاف السليماني ط ١ ، ومشاهداتي سنة ١٣٨٧ هـ وفي هذه الرحلة .

د ـ وادي الكور : ويصب من جبل القمة ، ثم يدفع في الخبت .

هـ ـ وادي الرباح : مثيل سابقه تماماً .

و ـ وادي الفجا : أطول من سابقيه مدىً ، ويماثلهما في المصب .

ز ـ وادي الخمس : أطول تلك الأودية مدىً ، وأكثرها زروعاً وقرى ، ولا يبعد كثيراً شمال وادي خلب .

وهذه الأودية صغار بالنسبة إلى جازان وخلب ، وهي في وضعها ومداها تذكرنا بوادي قَرْما . . وناوان .

٢ ـ وادي خُلَب : وادٍ فحل كثير القرى والمزارع ، وقد مر بك آنفاً أنه سال ستين سيلة خلال ستة أشهر أثناء مرابطتي فيه سنة ١٣٨٧ هـ .

يسيل هذا الوادي من جبل شُدا العالي ومن السروات المجاورة له مثل جبال الحُرّث وجبال العبادل في سلا ونيس وغيرها ، ثم يدفع في البحر عند جبل في البحر يسمى جبل المعقد ، وعليه عشرات القرى ـ تقدم بعضها ـ وتصب فيه أودية كبار ، مما يجعل سيله يجري على وجه الأرض طيلة أيام السنة ، وتسكنه قبائل متعددة منها :

قبائل الحرث في صدره ، والمسارحة في وسطه ، وبنو شبيل في أسفله ، وكلها ستأتي .

ومن روافده :

أ ـ وادي سيال ووادي الدخن : يجتمعان ويصبان معاً في خلب من الشمال ، وبينهما تقوم غابات من الأشجار المتنوعة كالسدر والسَّلم والمطاط ، وغيره ، وأكبر غابة فيها تسمّى (خُميعة) .

ب ـ وادي شَرَّانة ووادي دَهْوان : يلتقيان ثم يصبان معاً في خلب شمال الجابري ـ قرية ـ

جـ ـ وادي الحارة ووادي ذَهْبان : يجتمعان ثم يصبان معاً في خلب من رأسه ، يأتيان من جوانب شدا الجنوبية .

د ـ وادي الخوبة : وادٍ كبير تأتي مساقطه من داخل الجمهورية اليمنية ، وبه بلدة الخَوْبة الشهيرة في هذه الديار ، وفيها مركز الحدود بين الدولتين من الناحية الجبلية ، وبعض مياهه من جبل شرقان الشمالية .

هـ ـ وادي شرقان : آخر الروافد الكبار من الجنوب ، يأتي من جبل شرقان ، ومن جبل الدخان ثم يصب في وادي خُلب من الجنوب .

وقد تقدمت معنا القرى التي تقع على جانبي وادي خُلب ـ معظمها ـ .

٣ ـ وادي لِيَة : بكسر اللام وفتح المثناة تحت والتخفيف :

وادٍ فحل من أودية تهامة ، كثير القرى والزرع ، تسكنه قبيلتان من سعد العشيرة هما : بنو شُبَيْل ، وبنو مروان ، ومعظمه لبني شبيل ، وفيه أفناء من الأشراف وغيرهم . يأخذ أعلى مساقط مياهه من السراة ثم ينحدر غرباً حتى يلتقي بوادي تعشر غرب مدينة سامطة وشمال غربي الحضرور ، ثم يدفعان في البحر بين وادي خلب شمالاً ووادي حرض جنوباً .

وله روافد عديدة منها :

أ ـ وادي القصب ، يسيل[١] من جبل الرميح ثم يجتمع بوادي الخوص ووادي لِيَة الصغير فتدفع جميعها في وادي لية الكبير فوق قرية أبي حجر .

ب ـ وادي الخوص : يسيل من قرن قبول ويجتمع بسابقه ، كما تقدم . وهذه الروافد مرتبة من الشمال إلى الجنوب .

جـ ـ وادي لية الصغير : نميزه بهذا لأنه يعتبر رافداً لِلِيَة الوادي الكبير ، يسيل من قرن قبول ثم يجتمع مع سابقيه .

د ـ وادي الحجارة[١] : يسيل من جبل جحفان ثم يصب في لية عند قرية أبي حجر .

هـ ـ أبو غيرة : يأتي من جبل جحفان أيضاً .

و ـ وادي المِغْيالة : وادٍ كبير من روافد وادي لية ، يأتي من سروات اليمن

---

(١) المخلاف ط ١ .

ثم يصب في وادي لية جنوب قرية أبي حجر ، وتصب فيه أشعب عديدة منها[1] : شعب أبي حشيشة ، شعب أبي النورة ، شعب القماري ، شعب ذباب .

وهذا الوادي يزاحم وادي لية في المدى والسعة ، ويلتقي به جنوب شرقي مدينة سامطة عن قرب .

٤ ـ وادي تَعْشَر :

أحد أودية جنوب المخلاف ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من سروات اليمن ومن جبل أبو منار وغيرها ، ثم ينحدر غرباً حتى يصب ـ بعد اجتماعه بوادي لية ـ في البحر بين وادي خلب ووادي حرض ، وتسكن صدره قبيلة بني حُمّد ، ووسطه بني شُبَيل وأسفله بني مروان ، وعند مصبه قرية الشنابرة ، ولا أدري أهم من الشنابرة الأشراف أم اسم على اسم .

ولوادي تعشر روافد منها[2] :

أ ـ وادي الملح : يسيل من جبل أبي منار ويصب في تعشر من الجنوب فوق قرية الخوجرة .

ب ـ وادي الغاوية : يأتي من سراة اليمن ويمر بجبل وعلان ثم يصب في تَعْشر قرب قرية وعلان . ثم يجتمع وادي تعشر بوادي لِيَة فيصيران وادياً واحداً إلى البحر .

٥ ـ وادي حَرَض : يأتي وادي حرض من سراة اليمن ، فينحدر غرباً فيمر بمدينة حرض ، وعندها يفترق منه خليج كبير يدخل الحدود السعودية ويسقي أراضي قرى عديدة منها : الموسم ، وقرية العواجية ، وقرية القيوس ، وغيرها من قرى بني مروان ، وعند مصبه تقع قرية (ميدي) اليمنية الحدودية .

أما الخليج الذي يدخل السعودية فيصب على بلدة الموسم السعودية ثم

---

(١) معجم العقيلي ص ٤١٧ .

(٢) المخلاف ط ١ .

يفرغ في البحر عند آثار مدينة الشَّرْجَة .

أهم القرى الواقعة على أودية : لية والمغيالة وتعشر :

١ ـ أبو حجر : قرية تقع على الضفة الشمالية لوادي لية .

٢ ـ الركوبة : تقع كسابقتها مما يلي السهل .

٣ ـ القُفْل : قرية للأشراف العبادلة جنوب أبي حجر .

٤ ـ عنطوطة : تقع على الجانب اليماني لوادي تعشر .

٥ ـ العكرة : تقع على الجانب الشامي لوادي تعشر .

٦ ـ الحضرور : جنوب وادي تعشر قبيل التقائه بوادي لية .

٧ ـ البيسري : قرب البحر على الجانب الشامي لوادي تعشر .

٨ ـ الطوال : على الجانب اليماني لوادي تعشر قرب الحزن .

وقرى عديدة ، خلاف مدينة سامطة التي تقع على الجانب الشامي لوادي لية أو وادي المغيالة بعدما يلتقيان ، فهناك من يقول أن اسم الوادي ـ بعد الالتقاء ـ : لِيَة ، وهناك من يقول : بل المغيالة .

وسامطة تكتب بالسين وبالصاد (صامطة) .

قبائل جنوب المخلاف السليماني

المنطقة الواقعة جنوبي وادي صبيا تقطنها قبائل كثيرة متعددة البطون ، بعضها غير واضح الملامح ولذا ذكرناه مع ما يتبع من قرى ، غير أن هناك قبائل تحتفظ بأصولها ولها دلالات واضحة ، ولذا فضلنا أن نذكرها بأنسابها الصريحة .

من هذه القبائل :

١ ـ الأشراف آل خَيْرات ، وقد يقول الحجازيون : ذوو خيرات :

وهؤلاء أبناء الشريف خيرات بن شُبَير بن بشير بن أبي نميّ الثاني[1] نزحوا إلى هذه الديار عند تفرق أبناء أبي نمي في الحجاز واليمن ، ثم أسسوا لهم دولة في هذه الناحية كانت عاصمتها مدينة أبي عريش ، وكان من أشهر ملوكهم : الشريف حمود بن محمد بن أحمد ، عاش بين (١١٧٠ ـ ١٢٣٣) هـ[2] وكوّن دولة شملت المخلاف السليماني (سابقاً) وتوغل في تهامة اليمن حتى استولى على اللُّحَيَّة والحديدة ، وانضم إلى آل سعود حتى سقطت الدرعية بأيدي المصريين فاستقل ببلاده حتى توفى بسراة بني مالك ـ مالك جنب ـ في التأريخ المذكور .

وكان يلقب (أبا سمار) .

---

(١) ذكرنا نسبه في (معجم قبائل الحجاز) .

(٢) الأعلام .

ثم انتشرت هذه القبيلة وكثرت بطونها حول أبي عريش إلى ضمد وصبيا ، فمن فروعهم اليوم :

أ ـ آل حَوْذان .	ب ـ آل حسين .	جـ ـ آل فوزات .
د ـ آل عَقِيل .	هـ ـ آل حمود .	و ـ آل حيدر .
ز ـ آل أبي طالب .	ح ـ المكارمة[1] .	ط ـ آل النشّ .
ي ـ آل علي .	ك ـ آل بشير .	ل ـ آل ناصر .
م ـ آل يحيى .	ن ـ آل مسعود .	س ـ آل ظافر .
ع ـ آل منصور .	ف ـ آل ذياب .	

وهذه الفروع نقلها الشريف بن منصور عن العقيلي في المخلاف السليماني ، ولم أهتد إليها في الطبعة الجديدة ، لأن هذه الطبعة غير مفهرسة ، وقراءة كتاب ضخم كهذا ليست سهلة .

٢ ـ قبائل خولان :

تقع ديار خولان في المنطقة الممتدة من شمال وغرب صعدة إلى ساحل البحر حول جازان وحرض، وحرض هذا سُمّي بحرض بن خولان[2] ، وكانت ماتي خلب من ديارهم[3] ، وتسمى خولان تهامة (خولان السُّفَل) أي القاطنة بأسافل الأرض . ولكن الساحل الذي يقع بين مَوْر جنوباً إلى صبيا شمالاً كانت غلبت عليه بنو حكم بن سعد العشيرة بن مذحج[2] حيث كونوا دولة هنا كما تقدم وكانت ديارهم متصلة بسراة قومهم سعد العشيرة فيما بين خولان وأبها ، وسيأتي الحديث عنهم لاحقاً .

ومن قبائل خولان السافلة أو السفل :

أ ـ قبيلة المسارحة :

قبيلة كبيرة متعددة الفروع ، وينسب إليهم (مَسْرَحِي) ولهم جل وادي

---

(١) لا صلة لهم بمكارمة نجران .

(٢) صفة جزيرة العرب ص ١٢٥ .

(٣) انظر عنهم ـ إن شئت ـ كتابي بين مكة وحضرموت .

خلب والخبت الواقع شماله المعروف بخبت المسرحي ، إلى وادي جازان عند أبي عريش ، ولهم أودية هناك مرت معنا ولهم الجبال الواقعة بين خلب وسد جازان .

وهم يدعون أنهم من (حرب الخولانية) وسواء كانوا منها أو من غيرها فهم من خولان لا شك ، وانتسابهم إلى حرب يقوي هذا الاعتقاد ، وقاعدتهم (أحد المسارحة) وفيه إمارة كما تقدم ، ويحدهم شرقاً (الحُرَّث) وجنوباً بنو شُبَيْل ، وغرباً بنو حكم .

ومن فروعهم[1] :

(١) الرَّوَاحة : وتشكل ثلثي المسارحة .

(٢) الشرفاء : وتشكل ثلث المسارحة .

وتتفرع من القسمين[1]

أ ـ الفُقَهاء .	ب ـ الحوامضة .	جـ ـ الحفاتيل .	د ـ الصفاحية .
هـ ـ الرواجحة .	و ـ المحازرة .	ز ـ الخبراية .	ح ـ السوادية .
ط ـ المناقرة .	ي ـ الطواهرة .	ك ـ البكارية .	ل ـ بنو واصل .
م ـ المعاشية .	ن ـ الضوامرة .	س ـ الطوالبة .	ع ـ بنو حوائج .
ف ـ الكُرَرَةُ (كُرَيْري) .	ص ـ العُطَيفة : (عُطَيفي)	. ق ـ الكلبة .	
ر ـ المعايدة .	ش ـ القحلة .	ت ـ المَسَامِلة .	ث ـ الخُرَم .
خ ـ الغَزَوة .	ذ ـ المجامة .	ض ـ بنو مبَارك .	

ب ـ الحُرَّث : واحدهم حارثي ، وهذا الاسم تسمى به قبائل عديدة في الجزيرة ، غير أن الحرث ـ مدار بحثنا ـ لا تنتمي إلى أي منها ، وتقع ديارها بجوار المسارحة من الشرق ، وهي من خولان السفل ، وكانت تنضم إلى المسرحي في الصيحة ، وأهم ديارها صدور أودية خلب ولِيَة ، وحاضرتهم بلدة الخوبة من معالي خُلَب .

---

(١) المخلاف ط ٢ ص ٧٤ .

وأهم فروعهم :

١ ـ بنو شراحيل ، يجاورون العبادل وينزلون (خميعة) واطرافها ، والنسبة إليهم شراحيلي .

٢ ـ الهزاهيز . ٣ ـ والِبَة .

٤ ـ الخُضُوب ، وينضمون إلى بني شراحيل خاصة .

٥ ـ الكُعُوب : وأحدهم كعبي . ٦ ـ المجارشة (مَجرشي) .

٧ ـ الغادية (غادي) . ٨ ـ العلاوين . ٩ ـ بنو دارس .

جـ ـ القبائل الخولانية المحيطة ببلدة العارضة من صدر وادي جازان وجبال سلا ، وبني حريص ، وجبال العبادل ، وغيرهم .

وأهم هذه القبائل :

١ ـ قبيلة العبادل : خولانية من حرب بن سعد بن سعد بن خولان[١] ، وتسكن الجبال المطلة على العارضة .

٢ ـ بنو ودعان : وأحدهم ودعاني : تجاور العبادل .

٣ ـ سفيان : تسكن جوار العارضة إلى الغرب والشمال .

٤ ـ سحار : وهم من سحار خولان الذي في أعلى السراة قرب رأس نجران .

٥ ـ بنو حريص . ٦ ـ بنو معين .

٧ ـ الصوفة . ٨ ـ آل النُّخَيف .

٩ ـ حرب : جالية من حرب الخولانية تسكن بلدتي البديع والقرفي قرب جازان (المدينة) بينها وبين أبي عريش يسار الصاعد من مدينة جازان[١] .

٣ ـ قبائل مذحج (سعد العشيرة خاصة) :

وتتمركز في المنطقة الممتدة من وادي مور جنوباً إلى قرب بيش شمالاً ،

---

(١) انظر تفاصيلها في (نسب حرب) .

ثم صعوداً إلى أعلى السراة قبائل من سعد العشيرة بن مَذْحج[1] ، وأهم هذه القبائل :

أ ـ بنو حكم بن سعد العشيرة : وهي أهم قبائل مذحج في هذه الناحية ، وكانت لها دولة ، وكان ملوكهم بني عبد الجَدّ ، وتتمركز هذه القبيلة اليوم وتدعى الحكامية (حكمي) حول بلدة المضايا المار ذكرها ، ومنهم أحياء جهات أبي عريش وصبيا ، ذكرت هناك ، وكانت هذه القبيلة قد انضمت الى المسارحة بعد ضعف سلطانها ، حتى أن العامة يعدونها لك من قبائل المسارحة ، وليست كذلك .

وأهم فروع بني حكم الساكنين حول المضايا :

١ ـ بنو ولي . ٢ ـ بنو حفظ الله . ٣ ـ بنو مهدي . ٤ ـ بنو سهل .
٥ ـ السوالمة . ٦ ـ بنو ابراهيم . ٧ ـ الحواسبة .
٨ ـ المغافير : وكنا ذكرناهم ضمن قبائل جازان

وعدهم العقيلي ، أي حكم بن سعد العشيرة ، في المسارحة وقال[2] : وتقدر بربع المسارحة . وحاضرتهم المضايا .

وقد ذكرهم الهمداني في عهده (القرن الرابع) فقال[3] : وعرض الخصوف مدينة حكم مثل عرض صعدة . والخصوف كانت في خلب . وقال ؛ يصف البحر الأحمر : واستطال ذلك العنق فطعن في التهائم بلاد فَرسَان وحكم . . . فجعل بلاد حكم هي ما سمي فيما بعد بالمخلاف السليماني ، وكرر ذكرها ، فقال : مَوْر عَكّيّة ، وهي مخلاف ، ثم بلد حكم وهي خمسة أيام فيه أودية من بلد همدان وخولان[4] ، وملوكه من حكم آل عبد الجَدّ ، وفيه مدن

---

(١) فصلت أخبارها في (بين مكة وحضرموت) .
(٢) المخلاف ص ٧٤ .
(٣) صفة جزيرة العرب ص ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٧٨ ، ٢٥٩ .
(٤) أي أسافل أوديتهم .

مثل : الهَجَر ، والخصوف ، والساعد والشقيقين ، والشرجة ساحله[1] ، والحَرِدَة، وعطنة، ساحلا المهجم والكدراء . وببلد حكم قرى كثيرة مثل : العداية ، والركوبة ، والمخارف والعليق ، وبها وادي حرض وحيران وخِذْلان ووادِيا عَبْس ووادي الحيد ووادي تعشر ووادي جحفان ووادي لِية ووادي خُلَب ووادي زائرة ووادي شابة وضمد وجازان وصبيا ، وملوكه من ذكرنا من الحكميين ثم من آل عبد الجَدّ .

وبمراجعة سريعة لما تقدم نجد أن ديار حكم في عهد الهمداني كانت من قرب وادي مور جنوباً إلى قرب وادي بَيْش شمالاً .

ب ـ بنو عَبْس : وتدعى اليوم : عبس بن ثواب :

وهذه القبيلة في منازلها التي ذكرها الهمداني وبنفس الاسم ، وتقع ديارها جنوب حرض ولها منطقة تسمى لواء عبس ، وهي داخل حدود الجمهورية اليمنية ، ومعلوماتنا عنها سماعية .

وذكرها الهمداني[2] وهو يعدد أودية تهامة فقال :

ثم يتلو واديا بني عبس من حكم (بين مور وحرض) ووادي حَيران وخدلان ، مآتيهما من أسافل حَجُور ، ثم حرض .

وكرر ذكر واديا عبس فيما بين مور وحرض ، وهذه عبس الحكمية ، وهناك عبسات كثيرة غيرها ، أشهرها عبس غطفان ، وعبس بني شهر ، وعبس عسير[3] ، وعبس أخرى كانت من مراد من مذحج ، وعبس جهينة ، وعبس كانت من سليم ، وغيرها .

جـ ـ بنو مروان :

قبيلة تسكن أسافل وادي تعشر ، ولها بلدة الموسم إلى الشرجة (آثارها

---

(١) آثارها اليوم غرب الموسم على سيف البحر .

(٢) صفة جزيرة العرب : ١٢٤ .

(٣) انظر معجم قبائل الحجاز .

غرب الموسم) وتدخل في حدود الجمهورية اليمنية في حرض وما صالاه إلى الجبال .

ونقل هنا عن كتاب المخلاف فروع بني مروان الواقعة في المملكة العربية السعودية ، لأنه لم يتعرض إلى تلك التابعة لدولة اليمن ، ولم تتسن لنا زيارة حرض .

١ ـ العَرَبة : وأحدهم عُرَيبي ، وقد يقولون عربي : وديارهم الموسم وما حوله ، جنوب مدينة جازان .

٢ ـ بنو العواجي : واحدهم عُواجي ، وكانت لهم إمارة ، ولعلها لقسمهم المقيم قرب صبيا .

٣ ـ المَزَابِية .   ٤ ـ القِيُوس : واحدهم قيسي .

د ـ بنو حُمَّدَ : واحدهم حُمّدي ، وهو اسم تختص به اليمن دون غيرها من العرب ، ومن فروعها :

١ ـ الجماحة : (جماحي) .

٢ ـ الشهرة : واحدهم شهاري .   ٣ ـ الطماميح .

٤ ـ بنو واصل : واصلي . ويقال لهذا القسم[1] : الشهرة .

والقسم الثاني يقال لهم بنو عيسى ، ومنهم : ١ ـ النجامية . ٢ ـ العكرة . ٣ ـ بنو مهدي : (مهداوي) . ٤ ـ القننة : كذا في المخلاف بنونين متتابعتين . ٥ ـ الطوافرة : بالطاء المهملة في المرجع المذكور . ٦ ـ بنو عيسى .

هـ ـ بنو شُبَيْل : وواحدهم شُبيلي :

وديارهم معظم وادي خلب من البحر إلى الجبل ووادي لية ، ويحدهم شرقاً الحُرَّث ، وجنوباً بنو حُمَّد ثم بنو مروان ، وشمالاً المسارحة ، وغرباً البحر ، وكانت قديماً تضم حيناً إلى صيحة المسرحي ، وحيناً تتقاتل معها ،

---

(١) المخلاف ط ٢ ص ٧٣ .

ولكن هذي حكمية وتلك خولانية .

وأهم فروع بني شبيل :

١ ـ بنو مبارك : مباركي . ٢ ـ أمشعابية (الشعابية) .
٣ ـ المداخلة : مدخلي . ٤ ـ المذاكرة . ٥ ـ الفوادة .
٦ ـ القضاة . ٧ ـ النعامية : نعمي . ٨ ـ العراشية : عريشي .
٩ ـ السهالية : سهلي . ١٠ ـ المحانشة .
١١ ـ الشنابرة : على سيف البحر ، ولا أدري هل هم من الشنابرة الأشراف أم اسم على اسم .
١٢ ـ البجادية : بجادي . ١٣ ـ العبرة . ١٤ ـ الأشراف : شريف .
١٥ ـ الصوارمة : صارمي . ١٦ ـ الصملة . ١٧ ـ الجواهرة .
١٨ ـ الجنانة . ١٩ ـ بنو الجرب (الأجرب) .
٢٠ ـ الطوالبة : طالبي . ٢١ ـ الحيادرة : حيدري .

وكنت سنة ١٣٨٧ هـ ـ كما قدمت ـ أرابط في بني شبيل بقرية الدغارير وسامطة ، فعرفت الكثير من فروعهم وشيوخهم ، وكذلك عرفت كثيرين من بني مروان وبني حمد والمسارحة والحرث وغيرهم .

و ـ فيفا : اسم قبيلة كبيرة من جنب من مذحج ، سكنوا جبلاً شاهقاً خصباً كثير القرى والمزارع والمياه ، ويقع شرق صبيا ، وهو أدنى السراة إلى الساحل ، فسمّي جبل فيفا ، كما قيل ، وادي حرض ، وحرة كنانة وجبل عسير ، الخ .

ولقبائل فيفا سحنة خاصة يعرفون بها ، ولهم لهجة تختلف عمن حولهم ولكن لا تختلف كثيراً عن لهجات قبائل جنب الأخرى ، الآتي ذكرها ، وهم من أسهل أهل اليمن عريكة وأوطأ أكنافاً يحبون الناس ويحبهم من خالطهم ، ومن فروعهم[1] :

---

(١) المخلاف ط ٢ ص ٧٧ .

١ ـ أمعمامي (العمامي) وأحدهم عَمِّيّ .
٢ ـ أمجشم (الجُشَم): وأحدهم جشمي .
٣ ـ أمداثر (الدَّاثِر): داثري. ٤ ـ أمجافي (الجافي) .
٥ ـ آل المدري . ٦ ـ بلحكم (بنو الحكم) . ٧ ـ ال متعب .
٨ ـ بنو شراحيل : هم وشراحيل الحرث من بعضهم ، كذا قالوا .
٩ ـ آل الظلمي . ١٠ ـ آل سلمان . ١١ ـ آل أمتُويع (آل التُّوَيع) .
١٢ ـ آل عمر . ١٣ ـ أمتيب (التيب) . ١٤ ـ الأبيات .
١٥ ـ الأشراف : شريف . ١٦ ـ الحرابية .

ز ـ بلغازي (بنو الغازي) .

تقع ديارهم على سفوح فيفا الغربية ممتدين إلى السهل ، لهم قرى في أعلى وادي قصي ـ مر معنا ـ وصدور أودية صبيا وما والاها ، وتجاورهم من القبائل :

فيفا : في الشرق ، وبنو مالك شمالي فيفا ، بنو حريص جنوباً وبنو قيس والحشر وهروب .

وأهم فروعهم :

١ ـ المعاملة . ٢ ـ أهل قصي : منسوبين الى الوادي . ٣ ـ آل حَمَّاد .
٤ ـ آل حياد .

ومركزهم قرية عيبان : قرية لها سوق كل خميس في السفح الغربي لجبل فيفا .

والفيافية يقولون : إن بلغازي فرع من فيفا .

ح ـ بنو مالك[1] : تسكن السراة المعترضة لأودية بيش وصبيا وضمد ، وجبل فيفا من نعوفها الغربية ، وهي (مالك) جذم قديم في مذحج وترجع هي ومعظم القبائل حولها إلى جنب بالصيحة أو بالنسب .

---

(١) انظر نسبهم في كتابي (بين مكة وحضرموت) .

وأهم فروعها :

١ ـ آل سلامة . ٢ ـ آل أحمد . ٣ ـ آل قُطَيْل . ٤ ـ حراز : ولهم جبال تسمى باسمهم . ٥ ـ آل مزعل . ٦ ـ أمعزّة (الأعَزّة). ٧ ـ آل حسين .
٨ ـ آل الرقبة . ٩ ـ آل عثـوان . ١٠ ـ آل الحجفة . ١١ ـ آل نعامة .
١٢ ـ البقاع . ١٣ ـ آل معبد . ١٤ ـ آل الشريف . ١٥ ـ آل سُنَين .
١٦ ـ آل نشمة . ١٧ ـ آل حبس . ١٨ ـ آل نعشة .

ط ـ هُرُوب : والنسبة إليهم هروبي ، وهروب اسم القبيلة سمي به البلد ، قاله شيخ هروبي كان معي سنة ١٣٩٣ هـ . وتقع ديارهم شمالي بلغازي وغرب بني مالك ، وشرق الحقو ، وجنوب الريث ؛

ومن فروعهم :

١ ـ الهرابية : واحدهم هروبي . ٢ ـ بنو قراد . ٣ ـ الجهالية : جهلي .
٤ ـ العَزِّيِّين : ولهم جبال يقال لها جبال العزيين ، تسيل منها أودية إلى الخبت منها : شَهْدان ، وغَوَّان ، وغيرهما .
٥ ـ الصُهفة : واحدهم صهيفي . ٦ ـ بنو أحمد .
٧ ـ الصهاليل : صهلولي أو صهليلي . ٨ ـ الفُغَرة .
٩ ـ آل الشيخ (الشيوخ) . ١٠ ـ حريص الحشر .

ي ـ قبيلة الريث : وهؤلاء يسكنون السراة التي تقع إلى الشمال الشرقي من جبل فيفا ، ولهم جبل ذو فرعة مستديرة يسمى (جبل الريث)، وهو جبل حصين يصعد إليه من طريق واحد ، يقع هذا الجبل إلى الجنوب من أبها ، ويتصل بسراة بني مالك[١] ، ويرتكز شرقاً على أعلى قمة في تلك السراة تسمى (قلة) الموت[٢] ، وتظهر على الخرائط باسم (جلة الموت) . ويسمى جبلهم

---

(١) مالك : بطنان من سعد العشيرة بن مذحج : مالك بن عمرو، في جعفي، ومالك بن سلمة في زُبَيْد .

(٢) القُلَّة والقُنَّة والقمَّة : واحد .

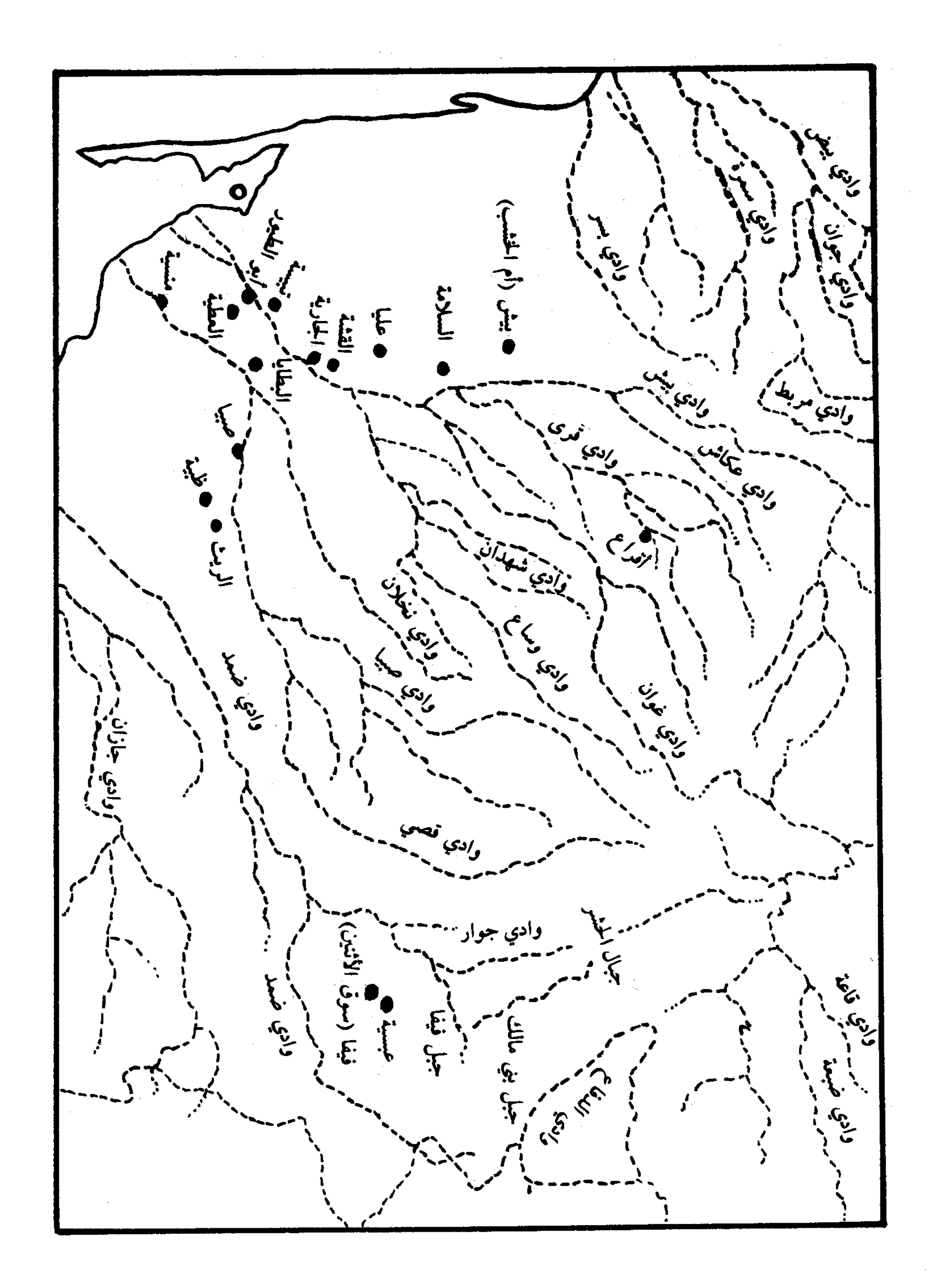
أيضاً (جبل القَهَر) .

تقع قُلَّة الموت قرب خط الطول (٤٢°) وبين خطي العرض (١٧ ، ١٨°) .

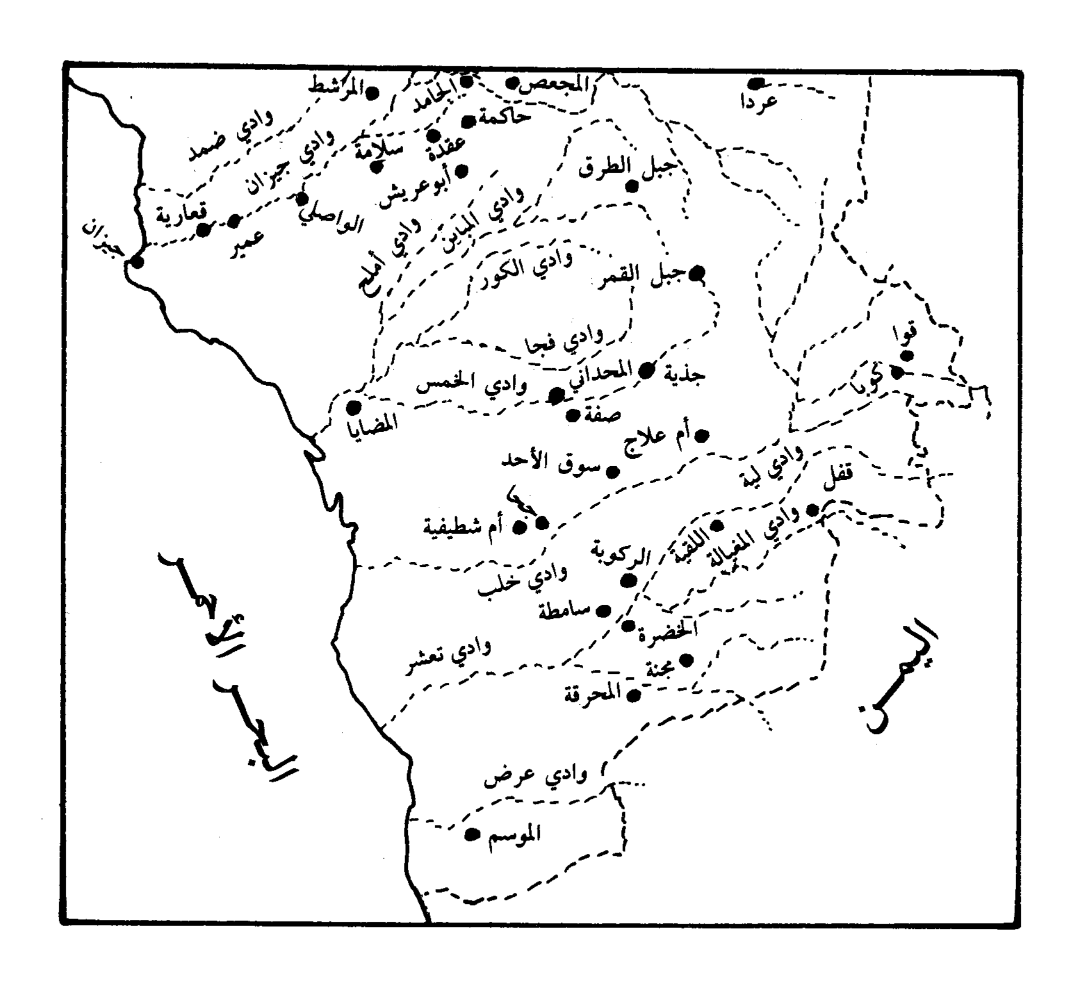
قد يقال : أهل الريث ، وهم لبعدهم ووعورة أرضهم لا يكاد يطأ أرضهم إلّا هم عدا موظفي الحكومة .

وأهم فروع الريث :

١ ـ آل أمشِحْنة (آل الشِّحنة) . ٢ ـ آل أمنجاد (آل النِّجاد) . ٣ ـ آل سَلْمَى . ٤ ـ آل مسعود . ٥ ـ آل امشيفي (آل الشيفي) . ٦ ـ آل أمصاعرة (آل الصاعرة) .



مصور يوضح أودية تهامة عسير الوسطى



مصور يوضح أودية جنوبي تهامة عسير

طريق العودة

بكّرت في اليوم السابع للرحلة ـ الموافق ٢٠ من صفر ١٤٠٣ هـ (٥ ديسمبر ١٩٨٢ م) ـ من جازان عائداً على طريقي الذي أتيت عليه ، وفي أمّ الخشب ـ ببيش ـ تناولت طعام الإفطار في ذلك المطعم الذي مررت به في مذهبي .

ثم واصلت سيري ، وكانت الأرض قد مطرت البارحة ، والسماء مدلهمة والشمس قد أخذت إجازة لتفسح لهذه السحب الدكناء حرية التجمع والتكاثف حتى أن بعضها يترجل ربانه إلى سفوح جبال تهامة ، فترى قممها تطل عليك من خلاف النجاء وكأنها تشعر بالانتصار على هذه المزون التي ظلت تعلوها دائماً ، فإذا هي اليوم تنحط ـ لثقل ما بها من الماء ـ حتى تكاد تلامس الأرض .

في هذا الجو البديع البهيج وردت وادي بيض ، فإذا ماؤه يجري صافياً رقراقاً فهبطت إليه وملأت (جالوناً) كان معي ، ثم واصلت سيري ، ويبعد وادي بيض (٩٩) كيلاً من جازان .

وليس بوادي بيض زراعة إلا قرب مصبه في البحر ، وكان بها عدد من الموالي يعيشون على صناعة السعف (سعف الدوم) كعمل البسط والمراوح والزنابيل ، وكل ما يعمل من السعف ، وقد توقفت اليوم هذه الصناعات المحلية أو كادت ، حيث توفر المستورد والمادة اللازمة للشراء .

ويبعد وادي بيض كما قدمنا (١٥) كيلاً عن وادي عتود ، والمنطقة التي

يمر فيها الطريق بين بيش وعتود : فلاة لا زراعة فيها ، تسكنها بوادي بني شعبة من كنانة ، وقد المحنا إلى مثل هذا سابقاً .

وعلى (١١٧) كيلاً كنت في أول الدرب ، ففرق إلى اليمين طريق ابها الذي يصعد عقبة (ضُلَع) ، وهو طريق مزفَّت .

وهنا حاولت الاجتماع بشيخ بني شعبة ، وذهب معي شيخ حسن البشر كث اللحية ، حسن النكتة (نسيت أسمه) فوصلنا إلى مكتب الشيخ فلم نجده ، ثم ذهبنا إلى البيت فلم نجده ، فبرز بي ذلك الشيخ ووصف لي ديار بني شعبة وعدد بعض بطونها ، وقال : إن ديارها تصل شرقاً إلى رأس وادي عتود .

والأرض التي بين عتود وبيش تشبه حَرّة مندفنة ، لأن جريان وادي بيض والأودية التي ذكرناها معه في مذهبنا إذا خدَّت الأرض أظهرت حجارة الحرّة ، أما ظهرها فحزوم سمر ، ونباتها الدوم ، وهو من نباتات الحرار .

ثم وصلت إلى الشقيق ، وقد تقدم وصفه ، وهي قرية لا زالت متأخرة ، كل مبانيها شعبية ذات طبقة واحدة ، وكثير منها صنادق ، وقد جاءني من اليمين وادي ريم الذي يصب على الشقيق ، وكان بحر الشقيق صافياً رقراقاً ، تعكس عليه هذه السحب لوناً أسود ، وتقع بلدة الشقيق على (١٤٢) كيلاً من جازان .

وعلى (١٢) كيلاً من الشقيق مررت على جسر وادي نَهْب ، الذي يصب شمال الشقيق بينه وبين وادي حمضة ، ثم لم يلبث طريق العرضية أن فرق يميناً شرقاً ، وهو الطريق الذي كان فرق عنا من المضيلف ، ثم يمر بالمخواة ، ونمرة ومحايل وبحر أبو سكينة ، ثم يعود الى طريق الساحل في هذه النقطة فيكونان طريقاً واحداً إلى جازان .

وسرت في طريق العُرضية[1] ، وكانت حرّة بني كنانة إلى يساري ،

---

(١) العرضية : الجبال التي بين السراة والساحل ، وهي ديار واسعة ذات أودية ومدن .

ووادي نَهْب إلى يميني ، وروافده الآتية من الحرّة تمرّ تحت الطريق بين حين وآخر .

وهنا برزت إشارة تنص أن (خميس البحر) يبعد من هنا (٧٠) كيلاً ، أي على (٨٢) كيلاً من الشقيق .

ثم سار الطريق بين وادي نهب والحرّة (حرة بني كنانة) في فلاة كثيرة غابات السمر والدوم وأشجار أخرى ، وليست فيها زراعة تذْكر ، وكان سيري باتجاه مطلع الشمس ، وبهذا يمكن تحديد حرّة بني كنانة بأنها من حلي شمالاً إلى وادي نهب جنوباً ، أي بطول (١٢٠) كيلاً ، وعرض من البحر إلى مسافة تقرب من (٥٠) كيلاً في الداخل ، أي أنها من كبريات حرار العرب ، إن لم تكن أكبرها على الإطلاق .

وبينما يسير المسافر بمحاذاة الحرة من الجنوب تظهر له مجامر من الحرة ترتفع عمودياً بشكل محدد ، وكلمة مجمر عند العرب تعني جبل مرتفع من نوع الحرة .

وهذا يعني أن العرب يتوارثون أن الحرار ناتجة عن البراكين ، وأن هذه المجامر البارزة آخر ما يبقى من البركان وأنها تبقى على هيئة الجمر الملتهب ، فسموها مجامر أي مواضع الجمر .

ولما اقتربت من الجبال ظهر إلى الأمام على العين اليمنى جبل شاهق بارز لا يكاد يتصل به شيء من الأعلام ، يبعد عن البحر قرابة (٤٠) كيلاً ، ولونه أبيض كالهضبة .

ثم مر الطريق على وادي نهب ، وبه غابة من الدوم وبه بقر يرعى ، وهذه أول حياة أشاهدها منذ أن فرق هذا الطريق ، فهذه الأرض خلاء مجدبة ، وصل باديتها تحضرت ، ثم ظهرت الغدر على جانبي الطريق مما يشير إلى أن سحابة مرت هنا في الليلة البارحة .

ثم دخلت الجبال ، وفي أولها وجدت رجلاً من وَلَد أَسْلَم يرعى غنماً ،

اسمه هادي بن علي الأسلمي ، وقال : إن ديار أسلم تصل إلى البحر قرب الشقيق .

ثم دخلت وادي خيم ، وفيه يقيم شيخ ولَد أَسْلَم ، فوجدت فيه نخلاً وزراعة ، وهو في المنطقة الوعرة أي التي تقرب من السراة ، وتسمى هنا العرضية .

وفي قرية على جانب الوادي مررت بقوم يبنون ، فسألت عن الشيخ أبي عُطْرة شيخ ولَد أسلم ، فتطوع الشيخ ، مهدي بن هادي بن أحمد بن هادي أمام مسجد الخليف بوادي خيم بإيصالي الى شيخ ولد أسلم ، فسرنا على طول وادي خيم حتى افترق إلى واديين : شمالي ويسمى وادي عَسَلان وجنوبي ويسمى وادي السعادة ، وكان يسمى وادي الرمادة ، وهما شعبتا وادي خُيَم ، وفيهما زراعة من الذرة البيضاء والصفراء ، وسكان خُيَم وما سال فيه قبيلة وَلَد أسْلَم ، وبينما سار الطريق المزفت على طول وادي عَسَلان ، تركناه وسرنا في وادي السعادة حيث مقر الشيخ أبي عُطرة .

وسرنا مسافة تقرب من سبعة أكيال فوصلنا إلى منزل الشيخ (محمد بن هادي أبو عطرة) شيخ شمل قبائل وَلَد أسْلَم ،وكانت الساعة الحادية عشرة صباحاً ، وكان الشيخ غائباً فاستقبلنا ابنه ، ثم لم يلبث أن حضر الشيخ ، وبعد أن أخذنا منه بعض المعلومات استأذنا في المغادرة ، فإذا به يقول : (والله غداكم ما يسوّي !) وما في لهجة أهل تهامة زائدة تسبق الفعل المضارع ، أي أن الغداء كان يُعَدّ ، فلم يسعنا إلاّ الانتظار ، فلم يلبث أن جاءنا بخبيز من البر الحجازي ، وطاستين : إحداهما مملوءة عسلاً ، والأخرى مملوءة سمناً ، كما أحضر بعض الأقراص من الذرة، وكان العسل بشمعه أي كما جني من مجناة، فتغدينا عند هذا الكريم . وغادرناه شاكرين ،وكانت الساعة الثالثة والنصف مساء .

عدنا في وادي السعادة حتى لاءمنا الطريق فأخذناه ، وعلى (٧٤) كيلاً من مفرق الشقيق وصلت إلى خميس البحر .

خميس البحر :

بلدة في باحة من أعالي روافد حلي بين جبال تحيط بها، وفيها سوق كل يوم خميس فقيل (خميس البحر) ويذكر دائماً مع قنا، فيقال (قنا والبحر) وكنت أظنه مكاناً على البحر ،حتى اكتشفت اليوم أنه يبعد عن البحر هذه المسافة آنفة الذكر ، ويسمى (بحر أبو سُكَينة) ، والبحر والبحرة ـ في لهجة أهل الجزيرة على اختلاف ـ هي الأرض المتسعة بين الجبال ، وقد يسمى الباحة أو الدوار أو الجو ، وغيرها .

وتبعد بلدة قنا عن خميس البحر قرابة ثلاثين كيلاً شمالاً شرقياً ، يميناً عن طريقنا هذا ، وطريقها وعرة ترابية فتركتها .

وخميس البحر : بلدة متقدمة نسبياً ، حيث توجد فيها بيوت من ثلاث طبقات ، وشوارعها نظيفة ، وفيها بلدية ، وإمارة ومدارس ، وعدد من المؤسسات الحكومية ، وبنيانها الحديث بالإسمنت المسلح ، والقديم بالحجر .

وبه زراعة الذرة وأشجار السدر وغيرها .

قبائل وَلَد أَسْلَم

في كتابي (بين مكة وحضرموت) تحدثت عن قبائل عسير ، وعن رجال ألمع[1] . إلاّ أن راويتنا (عن ألمع) أسقط قبائل وجدتها في هذه الرحلة ، وذلك أن أهل هذه الديار تركوا علم الأنساب ، ولم يعد كثير منهم يفرق بين القرية والقبيلة ، بالإضافة إلى أن بطوناً عديدة من كنانة انضمت إلى ألمع وعسير وغيرهما ، فنجد بعض أهل المعرفة يسقطون بعضها لعلمهم أنها داخلة في هذه القبائل . وكانت لكنانة ـ كما تقدم ـ صولة ومجد في تهامة ، فلما ضعفت التجأت كل قبيلة إلى من يجاورها من القبائل القوية ، كما فعلت قبائل منجحة ومخلوطة وشديدة وغيرها .

---

(١) ص ٣٦ .

غير أن ولد أسلم ثابت نسبها في الأزد فهم بنو أسلم بن أحجن بن مالك بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، كما هو مستفيض في كتب النسب ، وتنتسب اليوم إلى قيس ألمع ، وتنضم الجميع إلى عسير في الصيحة .

ديار وَلَد أَسْلَم :

تمتد شمالاً إلى قنا وبحر أبي سُكَينة ، إلى ديار قبائل منجحة في الشمال الغربي ، وتصل غرباً إلى البحر بين الشقيق ووادي حمضة ، وجنوباً شرقياً قبائل هَلَّتين ، وجنوباً قبائل مخلوطة .

فروعها :

تنقسم ولد أسلم إلى ثلاثة فروع رئيسية :

١ ـ أهل الماخَرَيْن ، ومن فروعها :

أ ـ آل رائق . ب ـ آل يزيد . جـ ـ الدعاجنة . د ـ آل المعافَى .

٢ ـ آل وديعة ، ومن فروعها :

أ ـ آل شِعْلَة . ب ـ آل ناشب . جـ ـ آل المجدوع . د ـ آل غيث .

٣ ـ الثُّلُث ، ومنهم :

أ ـ آل عَيْلة . ب ـ آل بريد . جـ ـ قُرَيْش . د ـ آل عافية .

قبيلة هَلَّتَيْن

قبيلة تجاور ولد أسلم من الشرق ، وتتحد معها في النسب ، وكانتا قبيلة واحدة تسمى (أسلم وهَلَّتين) وشيخهما واحد وبيرقهما واحد ، ثم عُيِّن لهلّتين شيخ فاستقلت ، وأهم فروعها :

١ ـ آل مَصْمَاد .

٢ ـ المَغْبَرة .

٣ ـ آل سعد ، وفيها من الفروع : آل فروان ، والشهارية .

وشيخ القبيلة اليوم : مفرح بن محمد ، وشهرته (ابن العجماء) وبيرق

اسلم وهلتين واحد وهو بيرق قيس من ألمع ، وألمع على ٨ بيارق تذكر فيما بعد .

قبيلة المخلوطة

هذه القبيلة ـ فيما يبدو ـ من بقايا كنانة ، ثم انضمت إلى ألمع في بني شديدة ، وتقع ديارهم إلى الجنوب من ديار هلتين بين أعالي وادي تهب ووادي ريم ، ثم تنحدر إلى البحر ، وساحلها شمال الشقيق بيسير ، وآخر قراهم على الساحل ، (قرية الحريضة) على طرف حرة بني كنانة بعد أن يفترق طريق العرضية عن طريق الساحل ، يجاورون في هذا الساحل الضيق كل من ولد أسلم وهَلَّتين .

وأهم فرعين لمخلوطة ، هما :

١ ـ الدعاجنة : ولها فروع وقرى ، لم نتمكن من زيارتها .

٢ ـ العالي : وهذه أيضاً ذات قرى وفروع ، ولم نتمكن من زيارتها .

بيارق ألمع

كانت قبيلة عسير في عهود ماضية لها سلطان وصولة في هذه الديار ، وكونت إمارات متتابعة ، آخرها إمارة آل عايض .

ونظراً لقوتها وسلطانها وجاهها فقد انضوت إليها قبائل من تهامة ، بعضها من الأزد وبعضها من كنانة ، ومن أهم القبائل التي انضمت إلى عسير قبيلة (أَلْمع) الأزدية ، ولذا فإذا قالوا لك (عسير تهامة) فهم يعنون في الدرجة الأولى ألمع أو رجال ألمع كما تسمى اليوم .

قال شيخ ولد أسلم عسير تهامة على تسعة بيارق ، فلما عددها فإذا ثمانية منها لألمع ، وهي :

١ ـ بيرق بني ظالم : وهم من أَلْمَع ، وسكناهم جنوب شرقي محايِل[١] .
٢ ـ بيرق بني قطبة : وقطبة وظالم فرعان من قبيلة تدعى (الرُّفَقَة) .
٣ ـ بيرق قيس بن مسعود، ويتبعه ولد أسلم وهلتين ، وهؤلاء (قيس) كانوا رؤساء ألمع قاطبة .

٤ ـ بيرق بني جُونة بن مسعود: أخوة قيس المتقدمة ، وديار القبيلتَيْن بين نواشغ حلي ونواشغ عتود قرب السراة .
٥ ـ بيرق بني زيد : وهم فرع من بكر .
٦ ـ بيرق قبيلة بني عَبْد : وديارهم من نواشغ عتود الشمالية .
٧ ـ بيرق قبيلة صَلَب : غربي حسوة ومياه ديارهم في عتود ، وبعضها في ريم .
٨ ـ بيرق شَدِيدة : ومنهم مخلوطة .
٩ ـ والبيرق التاسع ليس لألمع إنما لآل موسى أهل محايل ، وسيأتي ذكرهم .

أما قبائل عسير تهامة فلهم بيارق أخرى منها: بيرق منجحة، وبيرق آل خُتَارش ، وبيرق أهل قنا ، بيرق كان يضم : آل مسهر وبني هلال أهل البرك وآل ختارش[٢] . بيرق آل الريش ، وبيرق آل مَشْول ، وغيرها . والبيرق : العَلَم الذي تحمله القبيلة في الحرب .

قبائل قَنَا[٣]

تقدم معنا تحديد موقع قنا ، وهي البلدة المشهورة التي تذكر دائماً باسم

---

(١) انظر كتابي (بين مكة وحضرموت) ص ٣٨ .

(٢) وهذا يؤخذ منه أن آل مسهر وآل ختارش كانتا كنانيتين متحدتين مع بني هلال ، ثم جاء عهد الأمن والاستقرار فاستغنى كل عن حلفائه بحماية الدولة له .

(٣) هم يقولون لكل قبيلة قبائل ، ومن أمثالنا (كبِّر الجمل بقوله : هَتّ) ذلك أن كلمة (هَتّ) لا تقال إلا للجمل الفحل .

(قَنَا والبحر) . وتسكن حول هذه البلدة قبائل يقال لها : قبائل قنا ، وكانوا وقت الحرب ينضوون تحت بيرق واحد ثم ينضمون إلى بيارق عسير ، ويتبعون المَتحَمِي خاصة .

ومن هذه البطون .

١ ـ بنو حَوْشرة .
٢ ـ بنو زيد .
٣ ـ أهل الحقو : وهو حقو غير حقو جازان .
٤ ـ أهل الرفود .

قبائل غربي محايل إلى بحر أبي سُكينة :

١ ـ آل خُتارش : وكانت هي وآل مُسْهِر وبنو هلال في بيروق واحد ، ثم افترقت ، كما قدمنا .

٢ ـ آل مُسْهِر : تجاور آل ختارش حول بحر أبي سكينة ، وحكمها كحكم آل ختارش .

٣ ـ مَنْجحة : فروع عديدة منها على هذا الطريق بين خيم ومحايل ، وقد تقدمت معنا .

بين بحر أبي سُكَينة ومحايل

خرجت من بلدة البحر (بحر أبو سُكَيْنَة) متجهاً صوب محايل ، وهنا برزت لوحة تقول : محايل (٣٥) كيلاً، ثم سار الطريق في سهل كالفج بين الجبال يمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي مسافة تقرب من عشرة أكيال ، فيه مزارع حسنة وأشجار خضراء ، وقرى منتشرة جلها لآل خُتَارش ، وهذا هو المعني بقولهم : بحر ابو سُكَيْنَة. وعلى تسعة أكيال فرق إلى اليمين مشرقاً طريق قنا ، وتبعد من هنا (١٩) كيلاً على طريق وعرة بين الجبال ، وهنا يصب واديها في بحر أبي سكينة ، وكانت إمارة قنا والبحر واحدة ، وكان مقرها (قنا) فلما زُفّت هذا الطريق ، رؤ ي تأسيس إمارة في البحر ، بينما بقيت إمارة قنا على ما هي عليه .

وبعد مفرق قنا بقليل كانت (قُريَّة) صغيرة إلى اليسار ، وفيها منزل الشيخ أبي علامة شيخ آل ختارش ، فمررت بها وسألت عن الشيخ فلم أجده فواصلت سيري .

وعلى قرابة خمسة وعشرين كيلاً مررت بوادي حلي ، وهو اسم يطلق على هذا الفرع من فروع حلي ، وهو من أكبرها ، ولذا فإذا حددوا حلياً قالوا : حلي : من حلي إلى شري ، أو من شري إلى حلي ، وشري آخر سواعد حلي الشامية ، وسيأتي معنا .

ثم ظهرت أعلام مدينة محايل ، وهنا ظهر الطود عالياً ممتداً من الشمال إلى الجنوب مشرفاً على محايل من مطلع الشمس ، ذو ظهر مستوٍ كطرف المسطرة .

مَحَايل

مدينة عامرة ، تقع على أحد روافد حلي بسمى وادي تيّة ، وهو وادٍ يأتي من السراة كثير المزارع والقرى ، وتخرج من رأسه عقبتان إلى السراة ، إحداهما تسمى عقبة تَيَّة ، والأخرى عقبة شُعَار ، وكان العمل جارياً في عقبة شُعَار لفتحها للسيارات وتدريجها وتزفيتها ، وقد أحدثت فيها أنفاقاً عظيمة يؤدي بعضها الى بعض حتى تطلع وراء شعوف السراة ، وبهذا صارت مريحة واقتصرت فيها المسافة على أقل من النصف .

وتقع المدينة بطرف هذا الوادي من الشمال ، وتبعد عن البحر (١٢٠) كيلاً على الطريق الذي أتيت عليه ، ولا شك أن المسافة الرأسية بينها وبين البحر أقرب بكثير ، وأقرب ساحل على سمتها ساحل حلي ، وواديهما واحد . وبيوت محايل من طبقتين وثلاث ، وفيها إمارة تتبع أبها . وعندما دخلت المدينة سقطت في الخط على رجل يسوق جيباً مصندقاً فوقف بأدب وأشار لي بالمرور ، وعندما تجاوزته رأيت شرطياً فوقفت وسألته عن مكان الإمارة ، فقال : (الأمير هذا اللِّي أنت سقطت عليه !) .

فتابعته وحاولت اللحاق به فضاع في وسط الزحام .

وفي المدينة إدارة تعليم تتبعها مدارس ثانوية ومتوسطة وابتدائية عديدة ، ومندوبية لتعليم البنات ، وشرطة ومرور ومحكمة شرعية ، وفرع للضمان الاجتماعي ، وجميع مرافق الدولة، وفرع للبنك الأهلي .

ويشرف على المدينة ـ ويكاد البنيان يحيط به ـ جبل عليه قلعة كانت ـ لا شك ـ لحماية المدينة .

ثم سألت عن شيخ قبائل آل موسى ، وهي غير آل موسى بن علي ، فالأولى ترجع في داعية عسير ، والأخيرة بارقية ، وبارق كانت تضم إلى عسير بالداعية رغم أنها أزدية .

آل موسى

قال الشيخ : ترجع في داعية عسير ، ولها بيرق مستقل ، وتقع ديارها من شرقي محايل شرقاً إلى قرب البحر غرباً ، وقد مررنا ببعض فروعها بين كياد وعمق في وادي شفقة ، وهي فروع كنانية انضمت إلى جمهرة عسير المتعددة الأصول ، وكانت قبائل السراة تحاول كل قبيلة أن يكون لها ساحلٌ على البحر بالامتلاك أو بضم أهله إليها ، وساحل آل موسى بين حلي وعَمِق ، ولهم هناك وادي شَفْقة ووادي الجُوَيِّف (بين كياد وشفقة) .

فروع آل موسى

تنقسم آل موسى الى الفروع التالية :

١ ـ الصوالحة : وهم سكان الساحل ، في الشفقة والجُويّف ، ومن فروعهم .

أ ـ الدواحشة ، ونائبهم : أحمد بن يحيى (أبو حميد) .

ب ـ آل يحيى : وشيخهم : زائد بن حسن (ابن زائد) .

جـ ـ آل عجاجة .

د ـ العطارية ، وشيخ آل عجاجة والعطارية : محمد عبده .

٢ ـ بنو ذيب (الذيبة) : وهم فرع صغير في الساحل ، ولهم وادي وغا :

صدر وادي الجُوَيّف . ونائبهم : أحمد بن علي بن صالح .

والصوالحة والذيبة يظهر أنهم بقايا كنانة ، انضمت إلى آل موسى عندما قويت قبائل عسير ، وصار لها سلطان يجتذب القبائل إليها .

٣ ـ الطحاحين : ويقال أنهم أهل محايل القدماء وكانوا يمتهنون عمل طحن الحبوب على الرحى ، ثم تكاثروا فخرجوا حول المدينة ، فضموا بعض بطون كنانة وأحلاف أُخر تحت اسم آل موسى .

ومن فروع الطحاحين :

أ ـ الماسدة : ويسكنون المليحة : شعبة تصب في وغا .
ب ـ المَشْعَبة : ويسكنون وادي حبط وقنا من روافد حلي .
جـ ـ البُطحة : ويسكنون أعلى وادي حلي جنوب محايل .
د ـ آل بَوْحة : ويسكنون جبل مَرَس ووادي غرغرة من روافد حلي من أعلاه .
هـ ـ آل سعيد : ويسكنون أسفل وادي بَقْرة .
و ـ آل طالع : جيران آل سعيد في بَقْرة .
ز ـ المعابصة : يسكنون وادي زعيان : أحد روافد حلي من الجنوب .
حـ : آل حسنة : يسكنون جبل جِيْدة على الطرف الجنوبي من حلي .
طـ ـ آل فَيَّة : يسكنون الروحاء .
ي ـ آل مَوْهِبة : يجاورون قبيلة بارق على فروع حلي .
ك ـ آل خُلَيْف : يسكنون وادي المعمل ، الذي يصب في حلي .

هذه الفروع البدوية ، أما أهل القرى ، فمنهم :

١ ـ آل دارس : يسكنون المَعْصبية وتَيَّة ، والحقو .
٢ ـ آل النصب : يسكنون قرية النصب .
٣ ـ آل فَهْمَة : يسكنون جوزان : وادٍ يصب في الرَّيْش ، والرَّيْش يصب

في حلي .

٤ ـ آل المَعَشّ : ويسكنون قرية المَعَشّ .

٥ ـ آل محصن : ويسكنون الحصن والبرود .

٦ ـ آل عيسى : ويسكنون تَيَّة في حلي .

٧ ـ الجَحْف : ويسكنون الجحف : وادٍ يصب في حلي .

٨ ـ آل عقيل .

٩ ـ آل عامر .

١٠ ـ الزُّعَبة .

١١ ـ آل قائد .

ويسكن في محايل أهل بيت يقال لهم : الفلاقية ، واحدهم فَلْقي . يقال : إنهم سادة حسينيون جاؤوا من بحر أبي سُكينة ، ولهم تجارة ووجاهة في محايل .

آل دُرَيْب

قبيلة صغيرة تقع ديارها إلى الشمال من محايل وإلى غرب الريش ، وتنضم إلى عسير تهامة ، وهي رأس لا تنضم إلى قبيلة أخرى غير عسير .

وتحدد ديارهم بوادي الحضين شرقاً حيث قبيلة الريش ، إلى مساكن الطحاحين من آل موسى غرباً ، وشمالاً إلى وادي بَقْرة ، وجنوباً إلى باشان ؛ شمال محايل بسبعة أميال .

ويمر طريق العرضية وسط ديارهم ، وكل مياه أرضهم في حلي ، وهم في باحة متسعة من وسط روافد حلي ، ولهم زراعة وقرى .

وينقسمون إلى الفروع التالية :

١ ـ المصبَّح ، ومن فروعهم :

أ ـ فليتة : سادة حسينيون من سادة فليتة بمكة (كذا قيل) .

ب ـ آل منامس   جـ ـ المكابثة . د ـ المَفْصَمة . هـ ـ المغاربة . و ـ آل العتيبي .

٢ ـ أهل العَيْن (قرية) ، وينقسمون إلى :

أ ـ آل حسن . ب ـ آل هيزع . جـ ـ آل عوض . د ـ الغُوَلَة .

٣ ـ تَرْقُش ، ويقال : أهل ترقش ، منهم :

أ ـ آل جابر . ب ـ آل منامس : قسم من منامس المتقدم .

وترقش هذه قرية كبيرة ، بها متوسطة بنين وابتدائي ، ومدرسة بنات ابتدائية ، ومستوصف .

ويخالط آل دُرَيْب بطنان من بني شهر ، هما : المعربة ، والمحشّكة .

قبائل الريش

تقع ديارها إلى الشمال الشرقي من مدينة محايل ، ويشرف عليهم من الشرق (جبل هادا) جبل أبيض منيف تراه من على الطريق ، وهو لقبائل بللَّسمر ، ويحدهم غرباً آل دُريب ، وجنوباً آل موسى ، وجنوباً شرقياً آل مَشْول .

ومن قراهم : قرن الماء ، والحضن ، والكدس ، وحقو شِعْبَين وكلها في أودية تصب في حلي ، ومن فروعهم :

١ ـ الشَّعْثَاء : اسم القرية والقبيلة : وبها شيخ الشمل ، الشيخ : أحمد بن محمد (ابن الزين) شيخ شمل الريش .

٢ ـ الكدس : واحدهما كُدْسي . ولهم قرية بهذا الاسم .

٣ ـ السادة : ولهم قرية باسمهم .

٤ ـ المشاييخ : ولهم قرية باسمهم .

٥ ـ العُشْر : ولهم قرية باسمهم .

٦ ـ آل مَشمُول : يسكنون عدة قرى .

وقبائل الريش تتبع داعية عسير ، وتتبع محايل إدارياً .

آل مَشْول :

قبيلة من عسير تهامة ، تقع ديارها شرق محايل رأي العين ، بينها وبين الطور ، ويشرف عليها من الغرب والجنوب (جبل عَرْمَز) العالي ، ويفصل بينها وبين آل موسى ، وبين بني ثوعة ، فآل موسى غربه ، وآل مَشْول شرقه ، وبنو ثُوعَة جنوبه وجنوبه الشرقي .

ولم تصل الرحلة إلى ديارهم .

ولهم بلدة كبيرة ، فيها مستوصف ومدرسة بنين ومدرسة بنات ، وشبكة مياه للشرب ، كبقية القرى الكبيرة .

ويتبعون محايل إدارياً .

بنو ثُوعَة :

من قبائل عسير الصغيرة مثل آل مَشْول ، تقع ديارها جنوب شرقي محايل ، وشرق خميس البحر (بحر أبي سكينة) ، وتقرب من قنا من الشمال الشرقي ، وتتصل شرقاً ببلاد بالأحمر ، وشمالاً آل مشول من عسير .

ولها قرى عديدة وزراعة جلّها عثرية ، وتتبع محايل إدارياً .

ومن فروعها :

١ ـ آل قُبَيْعل .　　٢ ـ آل غَنيَّة .　　٣ ـ آل فُضَيْلة .

بين محايل وساحل

وساحل هذا ليس ساحل البحر ، إنما هي قرية كبيرة تتوسط فروع وادي حلي ، وهي قاعدة قبيلة بارق .

خرجت من محايل ، والشمس تتأهب للمغيب ، فأخذ الطريق شمالاً ، فما أن خرجت من محايل حتى انداحت الجبال يميناً وشمالاً ، فصار السهل واسعاً كأنه بحر بين السلاسل الجبلية ، وكل هذا السهل بأوديته يصب في وادي حلي ، أكبر أودية تهامة على الإطلاق[1] ، مما يجعل سيله جارفاً ، وغيله يجري طيلة أيام السنة ، وعلى سبعة أكيال من محايل شمالاً تقريباً ظهر إلى اليمين (جبل هادا) جبل أبيض جميل شامخ كثير القرى والمزارع ، وهو أول تهامة بالأسمر[2]، ويجاوره من الشمال جبل ضرم وبينهما وادي المخاضة الذي يصب في وادي الريش ، وأسفل (الريش) وادي مصبّح ، ثم يصب الجميع في حلي .

إرشادات باللغة الانجليزية :

والغريب إن الذين يتولون الإرشاد في الطرق كثيراً ما يكتبون أرقامها باللاتينية ، وموضوع الأرقام قد يفهمه كثيرون ، غير أن لوحة أمامي الآن كتب عليها :

Parking earia 520 m

---

(١) نقصد هذه الناحية من تهامة .

(٢) انظر عنهم كتابي (بين مكة وحضرموت) .

ولا أدري هل يمر كثيرون هنا يفهمون هذه اللغة أم أنها تبقى مجرد لوحة .

ثم مررت بديار البطنين اللذين ذكرتهما مع آل دريب ، وهذه ديار آل دريب ، وفرق إلى اليمين طريق تَرْقُش، ثم الى اليسار طريق العين ، وكلاهما تقدم في آل دريب .

ثم صليت المغرب في قرية لآل دريب تبعد قرابة (٢٥) كيلاً عن محايل ، واجتمعت بعدد من الرجال الشباب يطلقون لحاهم السود في بهاء ووجاهة ، ثم غادرتهم في طريقي إلى ديار بارق ، وكانت القرى منتشرة عن اليمين وعن الشمال وكلها مضاءة بالكهرباء ، وبعضها ما عرفت الكهرباء إلّا قبل شهور ، وبعضها جارٍ العمل في إنارتها .

ثم وصلت إلى قرية النُّعَيريَّة : قرية مضاءة بالكهرباء وبها محطات للوقود ، وتبعد عن محايل (٣٧) كيلاً .

وعلى (٤٨) كيلاً من محايل مررت بمجموعة من القرى المتناثرة كثيرة يطلقون عليها اسم (بارق) وبارق اسم القبيلة .

وأهم هذه القرى قرية (ساحل) وهي أمّ قرى بارق وقاعدتها الإدارية ، وهي بين جبال وأكام ، والطود يشرف عليها من مطلع الشمس ، ويمر بالقرب منها (وادي بَقْرة) أكبر روافد حلي ، وفيها مدارس وإمارة ومحكمة ، ومعظم القرى التي تتبعها بكل قرية مدرسة .

وبت في ساحل حتى الصباح ونمت في سيارتي .

سُهُول

بكرت من قرية ساحل (بكور الغربان) وكانت الشمس لم تشرق بعد ، فمررت على جسر أقيم على وادي (شري) وهو آخر فروع حلي الشمالية ، وقد سبق معنا القول بأن أهل هذه الديار إذا أرادوا تحديد حلياً ـ هنا ـ قالوا : حلي : من شري الى حلي ، ويقصدون بحلي الأخير : ذلك الوادي الذي مررنا به وراء محايل .

ووادي شري هذا واد زراعي كثير القرى وفيه نخل ، وهو هنا في ديار بارق . وما أن خرجت من وادي شري حتى أصبحت في جو واسع بين الجبال، فإذا على يميني قرية كبيرة بلحف جبل على طرف هذا السهل من المشرق، هذه القرية تسمى (الخَوْش) وسكانها المهاملة من بارق ، وتجاورها من الجنوب قرية (الرّس) ، للمهاملة أيضاً ، ويشرف عليها من الشرق جبل هُتمان ، وترى جبل ثَرْبان غرباً شامخاً ، وهو من تهامة بني شهر ، وهذا السهل يمتد غرباً إلى أن يختلط بالمكان المسمى سهول ، وقال شيخٌ هناك : إن هذا السهل كله كان يشمله اسم (سُهُول) غير أن الاسم قد اختص به مكان هو غربينا الآن على مسافة أبعد من مد البصر .

والقرية بعضها مبني بالحجر ، والحديث مبني بالإسمنت .

وهنا عرفت أن الوادي الذي كان إلى يميني بين بقرة وشري هو وادي

الخانق ، وهو ديار آل موسى بن علي من بارق ، وهم غير آل موسى أهل محايل ، ولكنهم جيران ، وكانت هذه القبيلة قد اشتركت في محاربة الحسين بن علي عند حملته على عسير، وكان شيخهم هيازع، الذي ذكره صاحب الرحلة اليمانية ، والشيخ اليوم ابنه عبد الله بن هيازع آل موسى بن علي .



معركة سُهُول

عندما وصل الشريف الحسين بن علي إلى قوز بلعير متجهاً لفك حصار أبها ، كان طريقه الصحيح أن يأخذ وادي حلي قبلاً إلى محايل ، ثم يصعد عقبة تَيّة إلى أبها ، هذا أقرب الطرق وأسهلها ، ولكن الإدريسي كان قد تمكن من أهل حلي وقبائل عسير ومن انضم إليها ، وكانت للحسين خؤولة في بني شهر ، فجدته صالحة ، وتكنى أم علي ، كانت بنت غُرْم العَسْبَلي : شيخ مشايخ بني شهر ، فدعته بنو شهر تهامة إلى المرور في أرضهم ، والصعود من عقبتهم (ساقين) ففعل .

ويقص علينا الشريف شرف البركاتي قصة تلك المعركة ، فيقول[1] :

«وفي صباح الخميس الخامس والعشرين منه (من جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩ هـ) سرنا إلى الساعة الحادية عشر ، وفيما نحن سائرون وسط الوادي والجبال الشاهقة[2] ، تحفنا من الجانبين ، ونحن في مضايق عسرة المسالك ، إذ حضر العيون الذين في المقدمة[3] لكشف مكان العدو ، وأخبروا دولة الأمير : أن القوم عندما انهزموا في القتال الأول جمعوا أنفسهم وكمنوا لنا في

(١) الرحلة اليمانية ص ٥٢ .

(٢) هذه جبال ثربان ، وهي من اشمخ الجبال في تلك الناحية ، ويقال جبل ثربان .

(٣) يسميها العسكريون : دورية استكشاف .

مكان يقال له . (سُهُول) وهو من أعسر المضايق ، وعددهم يزيد عن سبعة آلاف مقاتل ، والقائد لهم : السيد ابن عرار ، نائب الإدريسي بتلك الجهة .

فرتب دولة الأمير الترتيبات اللازمة ، ولما أقبلنا على مكامن القوم بادرناهم ـ من بُعْد ـ بضرب المدافع ، ولما كشفنا المضايق الكامنين فيها وجدنا الطريق يمر وسطها ولا يـوجد لنا طريق خلافه ، فهنالك أيقنا بالهلاك ، وتعاهد الجيش بأجمعه على اقتحام هذا الطريق الذي لا يوجد غيره للوصول الى أبها التي نريد فك حصارها ، إذ لو سقطت في أيديهم لا يمكن ردها إلّا بعد تضحية آلاف من الأنفس .

لذلك صار دولة الأمير يشجع القوم على القتال ، وقد استمر تسع ساعات ، والمدافع الجبلية و(المكسيم) و(المترليوز) تقذف عليهم نيرانها ، والأشراف والعرب تهجم عليهم من كل جانب ، حتى انجلوا عن مكانهم ، وانكسروا من كافة مضايق سُهُول ؛ وذهبوا إلى وادٍ فسيح اسمه (بارق)[1] » . إلى أن يقول :

«وبعد استقرار الجيش في هذا المكان بساعة حضر الشيخ هيازع شيخ قبيلة آل موسى (بن علي) ، ووقف بين يدي دولة الأمر نادماً على طاعته مع قومه للإدريسي ، وخروجهم على أمير المؤمنين ، وقال : إن سبب طاعتنا له هو إني عند مقابلتي له مع كافة شيوخ تهامة والحجاز أكد لنا أنه هو المهدي المنتظر .

---

(١) هي قبيلة بارق .

قبائل من بارق حَوْل قرية الخَوْش

ويسكن هذا السهل المترامي الأطراف قبائل من بارق ، من أهمها :

١ ـ **المهاملة** : وهم سكان قرية الخوش وما حولها ـ وأهم فروعهم :

أ ـ المراشدة . ب ـ آل الوسخة . جـ ـ آل نشبة . د ـ آل جِبْشان .
هـ ـ آل مُرَّة . و ـ السُّحَبَة .

٢ ـ آل حجري : ولهم الخبت الممتد من الخوش إلى وادي خاط ، وأهم فروعهم :

أ ـ آل بليلة . ب ـ آل جدي . جـ ـ آل حسن بن سالم .

٣ ـ آل العَرَام : ويسكنون وادي شري على جانبيه عندما يمر جنوب الخوش ، وأهم فروعهم :

أ ـ آل حَمَادِي . ب ـ آل هيازع ؛ وليس هو هيازع شيخ آل موسى بن علي .

فإذا تجاوزت الخوش واقتربت من وادي خاط ، كان على يمينك أول ديار بني شهر التهم ، ومن هنا ترى عقبة ساقين ، في ديار بني شهر أيضاً ، وإلى يسارك جبل ثُرْبان الشامخ ، وهو لبني شهر أيضاً .

وتبعد قرية الخوش عن محايل قرابة (٦٦) كيلاً شمالاً ، وبهذا تعرف أن

فرعة حلي التي تنتشر فيها فروعه تبلغ أزيد من (١٠٠) كيل عرضاً من الشمال إلى الجنوب . وبعد قرية الخوش يمتد خبت آل حجري ، وعلى بضعة أكيال من الخوش كان الحد بين وادي حلي ووادي يبة في نقطة تقسم ماءها إلى : جنوبي في شري ثم في حلي ، وشمالي في خاط ثم في يَبَة .

وعلى قرابة أربعة أكيال من قرية الخوش عبر الطريق فوق جسر وادي خاط ، أول روافد يَبَة من الجنوب ، وبعد كيلين تقريباً افترق إلى اليسار طريق قوز بلعير ، وهو طريق مزّفت ينحدر على طول وادي يبة ، ويبعد القوز من هنا (٨٤) كيلاً ، أما المخواة فأمامنا على (١١٨) كيلاً .

وعلى (١٤) كيلاً من الخوش مررت بقرية صغيرة تسمى الفرشة ، تشرف على وادي يبة ـ رأسه ـ ، وفيها مدرسة ومقاهٍ، وفي الوادي نخل وزروع وقرى منتشرة ، وتسكن هذا الوادي قبائل من بلقرن التهم ، وستأتي .

ثم أخذ الطريق على طول وادي يبة قبلاً بين قرى قبائل بلقرن ، بينما إلى يسارنا كانت ديار حرب وقسم من بني شهر، والقبائل في هذه الناحية تختلط في مواقع كثيرة ، وتجد ديار بعضها منقطع عن ديار القبيلة الأمّ ، ولهذا الوضع دلالات ، منها :

١ ـ إن القبيلة قد تتزحزح عن ديارها نتيجة الحرب ، بينما تتشبث بعض الفروع بأرضها فتبقى فيها ، وهذا مُشاهد كثيراً في الجزيرة .

٢ ـ إن بعض الفروع تنضم إلى قبائل قويّة مع بقائها في أرضها ، وعلى تلك القوية حمايتها ، وهذا حدث كثيراً في القبائل التي شاخت ككنانة ومذحج وهوازن وغيرها .

ومن الفرشة أخذ الطريق إلى الشمال الشرقي فصار يقترب من السراة ، وترى ظهرها من هنا واضحاً ، ويسمونها هنا (الشَّعَف) جمع شعفة، وهي القمم.

وعلى (٦٦) كيلاً من قرية الخوش مررت بقرية لفرع يسمى (هُذَيل) وهم فخذ من بلقرن ، ثم قرن قريش : قرية على أكمة ، وقريش وهذيل هنا

متجاوران ، وتكثر في يبة النخيل حتى تصير كالغابات .

قبائل بارق

ألّف الأستاذ عمر بن غرامة العمري[1] كتيباً سماه (بلاد بارق) أتى فيه بما يفيد عن هذه البلاد ، وفيه قال ،[2] وهذا ملخص قوله عن قبائل بارق :

تنقسم قبائل بارق الى قسمين :

١ ـ آل أَعْلَى .
٢ ـ آل حُمَيْضَة .

وتنقسم آل أعْلَى إلى :

أ ـ آل جَبْلِي ، وأهم فروعها :

(١) آل صَعْبان ، ولهم احدى وعشرون قرية ، وكل قراهم وأدويتهم تصب في وادي بَقْرة .

(٢) المِيغَا : ولهم اثنتان وعشرون قرية ، وهي كذلك تصب في وادي بقرة ثم في حلي .

ب ـ آل سُبَاعِي : ولها سبع وعشرون قرية ، على أودية : الركس ، والردة ، وشُهار ، وكلها تصب في وادي شري ـ المتقدم ـ وقاعدتهم بلدة سَاحِل ، وهي قاعدة كل بارق ، كما قدمنا ، وتسمى (سَاحِل) بدون ألف ولام ، غير أن بعض الموظفين يلحقون بها ال التعريف .

جـ ـ آل موسى بن علي : ولها ثلاث وثلاثون قرية ، منها : آل بِلَال ، وحَبَّاب ، والرهوة ، والفَرْعة ، وجبال ، وكل مياهها تسيل إلى وادي بقرة ثم حلي ، ولهم وادٍ يدعى حانق ، بين بقرة وشري ، وكان لشيخ هذه القبيلة

---

(١) هو يكتب العمروي ، على خلاف القاعدة .
(٢) ص ٤٩ .

(هياز ع) دور في محاربة جيش الحسين حين مروره من هنا ، وقدمنا الحديث عنه في (سهول) .

وتقع بلاد آل موسى بن علي في الجنوب الشرقي لبلاد بارق ، وشمال محايل على قرابة (٤٥) كيلاً ، ويحادون قبيلتي : نُعْص وبَقْرَة من بني شهر .

وتنقسم قبيلة آل حُميضة ، إلى :

أ ـ آل حجري ، ولها ثمان وعشرون قرية ، في الحَقْبة ، والرَّدَّة ، وشري ، ولها خبت شمال الخوش مرّ معنا ، وقد تحدثنا عن أهم فروعها عند بحث سهول .

ب ـ قبيلة آل سالم : ولها إحدى وعشرون قرية ، في أودية : شهار ، وتَعِيب ، ووادي شري .

جـ ـ آل عَرَام : ولها ست وعشـرون قرية ، في وادي شري ، وقاعدتها قرية الغيور . وسبق الحديث عنها في بحث سهول .

د ـ آل فَصِيل : ولها فرعان : آل فَصِيل ـ كالأول ـ وقُضْرَيْمة .

ولآل فَصيل ثمان وثلاثون قرية على جنبات وادي خاط ، ويحدها من الشرق بنو عمرو تهامة ، ومملح من بني شهر تهامة أيضاً ، وقاعدتهم (الشَّقْرة) .

أما قُضْريمة فلها ثلاث وعشرون قرية ، على جوانب وادي خاط أيضاً ، ووادي جُريَّة ، وقاعدتهم قرية (المَخَاضة) .

هـ ـ المَهَامِلَةِ : ولها ثمانِ عشرة قرية ، على جوانب وادي تُعَيِّـب ووادي شري والردَّة ، وقاعدتهم قرية العَجَمَة . كذا قال العمري ، وعندما مررت بهم قالوا : إن قرية (الخوش) هي قاعدتهم ، وقد ذكرت فروعهم عند ذكر الخوش في بحث سهول ، آنفاً .

بين يَبَة والمَخْوَاة

ما زلت أسير في وادي يبة قبلاً باتجاه الشمال الشرقي ، حيث صار الطريق يقترب من عرف السراة ، والقرى والمزارع تحف بالطريق من جانبيه ، والنخل يزين مناظر الطريق ، وقد عمرت الأرض هنا فظهرت البقالات الحديثة ومحطات المحروقات .

وعلى (٩٦) كيلاً من محايل فرق إلى اليسار طريق سوق الثلوث (الثلاثاء) ثلوث بني عمارة من بلقرن ، ومن هنا دخل الطريق بلاد بلحارث من بلقرن ، وخلفنا بلاد بني عمارة خلفنا ، ثم وصلت إلى قرية (خيريّة) لبلحارث ، وعلى كيلين ـ فقط ـ من مفرق سوق الثلوث مررت على جسرٍ طويل يعبر على وادي الجَوْف : أحد روافد وادي يبة الكبار ، وسكانه بلحارث من بلقرن ، ثم مررت بقرية الكو ديس بعد هذا الجسر مباشرة ، وهي لبلحارث أيضاً ، وأرضها خصبة زراعية بها من الأطيان ما يدل على قدمها ، وعلى خمسة أكيال من جسر وادي الجوف مررت على قرية مبنية بالحجر بناء محكماً ، ويشرف عليها حصن حجري بني على قرن لحماية هذه القرية ، ورأيت هذه البيوت ودقة بنائها فإذا هي أفضل كثيراً مما يبنى اليوم بالطوب الإسمنتي ، وهذا الحصن هو أول حصن أشاهده في تهامة بعد قلعة محايل ، فالذين يشتهرون ببناء الحصون هم أهل السراة ، حيث تجد لكل قرية حصناً يحميها ، وقد استغني عنها اليوم بالأمن السائد ، وتركت خراباً ، ثم استمر منظر الحصون على طول بلاد بلقرن وبعض من يجاورهم حتى وصلت الى المخواة .

وتتميز قبيلة بلقرن[1] بنشاط ملحوظ حيث وجدتهم يعملون في المحطات والبقالات بأنفسهم ، وإن كان يعاونهم بعض المستخدمين ؛ بخلاف بقية الديار حيث يغيب ابن الوطن عن أي مرفق تجاري مكتفياً بمن استقدمهم للعمل ، وهو أمر يكلف البلاد ثروات تستنزف بوجه وبغير وجه .

ثم مررت بقرية (القَضْية) قرية بها أبنية حجرية ، ويشرف عليها من الشرق جبل نخال ، ودونه ترى وادي نخال أيضاً وهي على ثمانية أكيال من وادي الجوف ، وأهلها بنو رزق من بلقرن ، وهذه القرى قريبة من الطود ، فهو يشرف عليها مباشرة ، ويقدرون المسافة بينها وبين البحر بمائة وخمسين كيلاً .

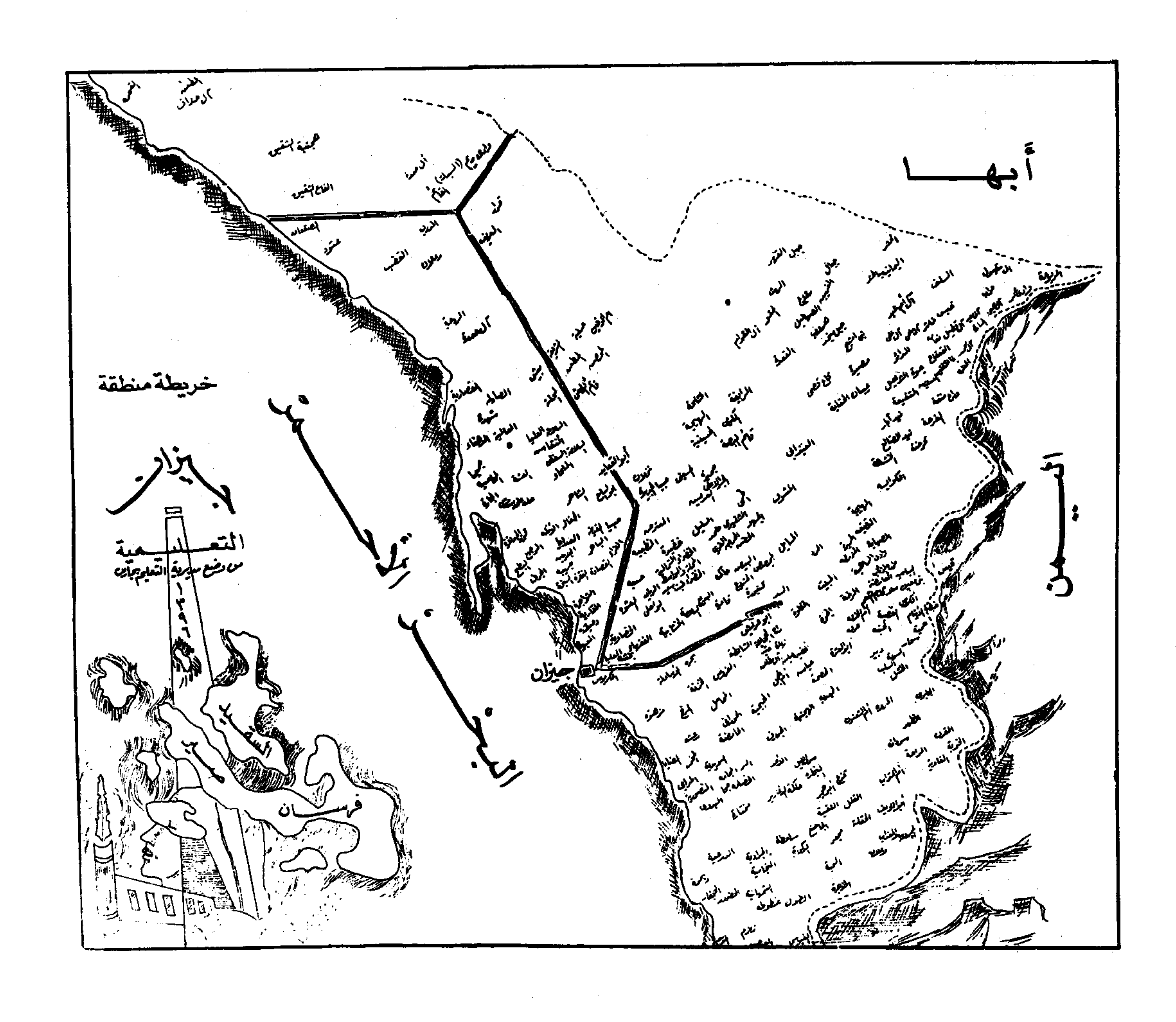
وبعد (القَضْية) بثلاثة أكيال مررت بقرية البراق لبني رزق أيضاً ، وعلى (١١٤) كيلاً أشرفنا على أول فروع وادي جَفْن ، وفارقني رفيقي القرني الذي ركب معي من الفرشة .

وهنا آخر قرية لبلقرن من الشمال على هذا الطريق ، أما من أسفله فلهم ديار من صدر قنونى (ستأتي في الرحلة الثانية بعد هذه) وهذه القرية تسمى مخشوشة ، قرية لبني رزق ، ومن هنا تبدأ ديار خثعم ، وهذه ديار بني المنتشر منهم ، وتمتد ديار خثعم من هذه النقطة إلى أواسط وادي بيشة ، وإلى ما وراء خميس مشيط بدون انقطاع ، ولكن (أكلب) في بيشة ، وشهـران بين بيشة والخميس لا تكادان تعترفان أنهما من خثعم (وسيأتي بحث خثعم) .

وغير بعيد من مخشوشة مررت بقرية تدعى (ثُرَيبان) فرق طريقها إلى اليـمين ، وترى من الطريق ، ثم مررت بقرية تدعى (الحوراء) وتبعد عن مخشوشة حوالي ثلاثة أكيال ، وكلها لبني المنتشر ، وواديها وادي جفن : أحد روافد وادي يَبة ، والحوراء : أول ديار شمران من خثعم . وعلى (١٣٠) كيلاً من محايل هبطنا أول فروع قنونا ، وأول هذه الروافد وادي بيان ، وهنا مررنا في ديار بلحارث من بلقرن ، حيث أن ديار بلقرن تأخذ مغرّبة عن هذا الطريق ثم

---

(١) سيأتي بحثها .


خريطة منطقة
جيزان
التعليمية
من وضع مديرية التعليم بجيزان
١٣٩٦
أبهـــا
اليمن
البحر الأحمر
جيزان
فرسان

تعود إليه في صدر وادي قنونا ، ووادي بَيَان أحد ثلاثة فروع رئيسية تجتمع ثم تكوّن وادي قنونا ، وهي : وادي بيان هذا ، ووادي الحفياء أو الحفيان ، ووادي الخيطان ، ثم أخذ الطريق في الانحدار مع وادي بيان ، وعلى جانبي الطريق قرى عديدة لبني سُهيم من بلقرن، وعلى (١٤٩) كيلاً من محايل عبر الطريق على جسر وادي بيان، ثم خرج الطريق من بيان في ديار خثعم مرة ثانية، ذلك أن الطريق يتعرج بتعرج الأودية ، فحيناً يميل إلى ديار هذه القبيلة وحيناً إلى أخرى ، وهذه رحبة واسعة تلتقي فيها شعب قنونا الثلاث ، وفيها قرى عديدة وغابات من شجر السمر ، والسمر والسدر من نباتات تهامة ، والسراة ليست بعيدة من هذه المنطقة ، وتُرى رأي العين ، ثم مرّ الطريق قرب مدفع وادي الحفيان ، وعند مصبه قرية (المُعَقَّص) في وساعٍ من الأرض حيث تجتمع الشعب الثلاث المشار إليها .

وبعد سبعة أكيال من وادي بيان وصلت إلى قرية نمرة على الطرف الأقصى لوادي الخَيْطان (سيأتي الحديث عنها في الرحلة الثانية في هذا الكتاب) ، وما أن خرج الطريق من نمرة ، حتى انحدر في أول فروع وادي الأحسبة .

ومنذ أن خرجت من الساحل قرب الشقيق لم أر من الإبل شيئاً ، وما رأيته من البقر والحمير ونحوه قليل ، وحتى الأغنام قيل لي أن كثيراً من أهلها قد تخلوا عنها لقلة من يرعاها .

وعلى (١٨) كيلاً من نمرة وصلت إلى أرض (زناد البطاط) وهذه تهامة غامد، وتسمى هذه القبيلة غامد الزناد ، ومن هنا ظهر أمامي جبل شُدَا اليماني منتصباً أبيض جميلاً ، وهو الذي تقدم وصفه عند مرورنا بالمضيلف ، وسار الطريق منحدراً مع وادي بطاط : أحد شعبتي وادي الأحسبة ، إذا أن وادي الأحسبة ينشعب قرب المخواة إلى شعبتين : جنوبية ، وتسمى وادي بطاط ، وشمالية وتسمى وادي (ذي عين) أو وادي راش ، وكل روافده الأخرى تصب في هذين الواديين ، إلّا ما كان أسفلهما ، وتلك أشعب صغار لا تحسب .

وبوادي بطاط إمارة تتبع المخواة ، وبطاط وما سال فيه معظمه في بلاد

غامد ، وتقع تهامة زهران بجواره من الشمال ثم تمتد إلى عُليب ، وعلى (٤٢) كيلاً من نمرة عبر الطريق على جسر ضخم على وادي بطاط ، ومنه خرج في حزم بين وادي بطاط ووادي ذي عين ، وهنا إفترق الطريق إلى شعبتين ؛ يُسرى انحدرت مع وادي الأحسبة ، ويُمنى إلى بلدة المخواة .

المخواة

وبعد قرابة (٤٥) كيلاً من نمرة و (١٩٥) كيلاً من محايل وصلت إلى بلدة المخواة ، وهي يمين طريقي هذا إلى الداخل بثلاثة أكيال فقط ، وهي بلدة صغيرة بين الجبال ، بها إمارة هذه الناحية ، وأهلها زهران ، وبني عُمَر منهم خاصة ، وتتبع إدارياً إمارة الباحة ، وبها مدارس وإدارة تعليم تتبعها مدارس كثيرة ، وبها شرطة ، ومسجدان أو ثلاثة ، وتبعد عن بلدة المضيلف (٥٥) كيلاً شرقاً ، وبها محكمة شرعية ، وبعض بيوتها من طبقتين ، وبعضها مبني بالإسمنت المسلح ، وهي قاعدة غامد وزهران في دائرة فروع وادي الأحسبة ، وبعدها بقرابة (٤) أكيال يلتقي وادي بطاط بوادي ذي عين فيسمى الوادي وادي الأحسبة فيندفع مغرّباً إلى البحر ، ويشرف عليها عن قرب من الجهة الغربية جبل شُدا الأسفل ، وترى شمالاً منها : جبل شُدا الأعلى ، ووجدت عند أحدهم كمية قليلة من البن الشدوي ، فقال : إن ثمن الكيلو جرام خمسون ريالاً والكمية لا تزيد عن كيلوين ، فلما استغربت هذا ، قال : (بس بس ، ما هو للبيع) ! وتعرف الفرق إذا عرفت أن ثمن البن الهروي يُباع في مكة (٢٢) ريالاً ، ولكن بن شُدا يعتبر أندر من الذهب ، وقلما يباع .

ومن المخواة ترى طود السراة مشرفاً عليها مباشرة ، ويوجد في المخواة بيوت حجرية لا زالت صالحة للسكنى ، وهذه البلدة كانت ذات حركة تجارية نشطة ، حيث كانت تستقبل البضائع من موانىء البحر الأحمر مثل : القنفذة

ودوقة ، ثم تصدرها إلى سروات غامد وزهران ، ولكن فتح الطريق بين تلك السروات ومدن الحجاز كالطائف ومكة وجدة قلّم أظافر المخواة ، وحتى الطريق بين مكة واليمن لم يمر بها ، فطريق الساحل يبعد عنها (٥٥) كيلاً ، وطريق العرضية يمر على بعد ثلاثة أكيال منها جاعلاً إياها في زاوية منحرفة لا يمر بها إلاَّ من يقصدها فعلاً .

بين المخواة والمضيلف

تجولت في المخواة ، ثم عدت على نفس الطريق ، فلما التقى الطريقان جنوب غربي المخواة بثلاثة أكيال ـ كما حددناه آنفاً ـ عاد إلى مغيب الشمس ، وهنا تكوّن وادي الأحسبة فصار وادياً عميقاً كثير أشجار السمر والأراك ، وكان جبل شدا يساير الطريق من اليمين ، وآخر هذا الجبل من الغرب حاد شامخ ، وعلى قرابة عشرة أكيال وصلت إلى محطة للوقود ، عندها مسجد ومقهى ، وبالقرب منها آثار مبان موغلة في القدم ، ولا زالت هذه في ديار زهران ، ثم قيل لي أن تهامة زهران لا تبعد غرب هذا المكان ، وعلى قرابة (٢٣) كيلاً خرج الطريق من وادي الأحسبة يميناً في حزوم وبروث ، ثم انحدر في أعلى وادي ناوان ، ووادي الأحسبة في هذه الناحية كثير المياه والزروع .

ثم خرج الطريق من وادي الأحسبة في ثنايا وبروث من طرف الساحل الشرقي ، فهبط في صدر وادي ناوان ، وهذه أول ديار زبيد من حرب من الجهة الشرقية ، ووادي ناوان كجاره قرماء لا يصل إلى الطور ، إنما ينشب في جبال تهامة ، وفيه تسيل بعض مياه شدا اليماني الغربية .

وعلى (١٩) كيلاً شرقي المضيلف فاض الطريق في السهل الساحلي ، تاركاً جبال تهامة خلفه، فسار بين مزارع الحبحب، وترى الحبحب يميناً وشمالاً وبعضه يعرضه أهله على جانبي الطريق ، وهو هنا رخيص ، قد تباع الحبحبة

التي تثقل الرجل بمبلغ لا يزيد عن خمسة ريالات ، بينما يصل ثمن مثيلتها في مكة ثلاثون ريالاً .

وكان الطريق يسير على الحافة اليمنى لوادي ناوان ، وهنا تنتشر القرى ، وترى الإبل وكأنها تغطي هذا الخبت، والأرض مما فيها من العشب كأنها فرشت ببساط أخضر ، ثم وصلت إلى المضيلف الذي خرجت منه أثناء الذهاب إلى القنفذة ، فهو مفترق طرق ومجمعها .



الرحلة الثانية

١٨ ربيع الثاني سنة ١٤٠٣ هـ . الموافق (١ شباط/ فبراير ١٩٨٣ م)

بعد مراجعة معلومات تلك الرحلة الطويلة التي بدأت من مكة وانتهت عند حدود اليمن ، وجدت فيها فجوة عن مكان حساس في هذه الرحلة ، وقبائل مهمة لا يمكن إغفالها .

أما المكان فهو وادي قنونى الذي اشتهر بوقوع سوق حُبَاشة فيه ، أما القبائل فهي قبائل تسكن حول هذا الوادي ، ومنها : قبيلة حرب وبني عيسى ، وقبيلة بلقرن في تهامة ، وقبائل خثعم التهامية أيضاً .

لذا فقد رأيت لزاماً عِلي القيام برحلة إلى تلك الديار وتقصّي المعلومات هناك ، وخاصة عن موقع سوق حُباشة .

فتوجهت من مكة يوم الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ١٤٠٣ هـ . في الساعة السادسة مساءً .

وسرت على نفس طريق الرحلة الأولى ، ونمت في المضيلف ، وكانت ليلة شاتية كثر برقها ورعدها ، ولم ينقطع سقوط المطر طيلة تلك الليلة ، وفي الصباح استيقظت ، وتناولت طعام الإفطار في ذلك المطعم الذي ذكرته في الرحلة الأولى ، ثم يممت المشرق على طريق العرضية .

نَمِرَة

سرت من المضيلف على طول وادي ناوان ، ثم هبط الطريق وادي الأحسبة ، وعلى (٥٥) كيلاً من المضيلف كنت في المخواة ، ولم أطل المكوث فوصلت إلى نمرة في الساعة العاشرة صباحاً على (٩٠) كيلاً من المضيلف .

وهي قرية كبيرة في ساحة واسعة على الضفة اليمنى لوادي الخيطان : أحد روافد قنوني الكبار ، وفيها يمر الطريق بين المخواة ومحايل ، وتتبعها مساحات واسعة من منطقة العرضية ، تضم كل روافد قنونى الكبار ، وتصل إلى الطور ، وإلى منتصف وادي قنونى غرباً .

وتخطيطها حسن وطرقها واسعة ، وبعضها مزدوج ، ولازالت منازلها بسيطة ، ولكن بها مخططاً حديثاً سيبنى بالإسمنت المسلح .

وبها من المدارس ، مدرسة ثانوية ومتوسطة وابتدائية ومعهد معلمين ، كلها للبنين ، ومتوسطة وابتدائية للبنات .

وبها مستوصف صحي ، ومكتب للضمان الاجتماعي .

وأميرها : (بَيْه بن حسين بن علي الحربي) .

وجدته في مكتب الإمارة ، ووجدت عنده جمعاً من شيوخ القبائل مما سهّل مهمتي ، قال بَيْه : تسمى هذه الإمارة إمارة العرضية الشمالية ، ويحدها

من الشمال غامد الزناد في أعلى وادي بطاط ، ومن الجنوب أعلى وادي بيان وشِعْبَين ، ومن الغرب غامد الزِّناد في فرعة ، والحازمين[1] من قنونى ، ومن الشرق جبال السراة ، (العوامر وحوالة وبنو ميمون ، كلها من خثعم) .

وتتكون الإمارة بشرياً من بلقرن تهامة ، وخثعم تهامة أيضاً ، وجغرافياً من صدر وادي قنونى وشُعبه الثلاث : بيان ، والحفيان ، والخيطان ، وما سال فيها ، وتتبعها عشرات القرى ومشيخات القبائل .

(١) الحازمان : مضيق من قنونى بين جبلين ، على قرابة (٥٠) كيلاً من نمرة غرباً .

القبائل التابعة لإمارة العرضية الشمالية

خَثْعم :

في كتابي (بين مكة وحضرموت) تحدثت عن خثعم أنسابها وفروعها وتأريخها ، غير أن الحديث عن فروع خثعم التهامية كان ناقصاً أو موجزاً ، ولذا قمت بهذه الرحْلة لمحاولة تفصيل هذه الفروع ، فمنها :

١ ـ العوامر والنسبة إليهم عامري ، وديارهم : في وجه السراة الغربي على نواشغ وادي قَنَوْنى ، مثل وادي الخيطان ووادي الحفياء (الحفيان)[١] :

ومن فروعهم :

أ ـ آل حذيفة ، ومن آل حذيفة : آل حسن ، وآل سَيلة ، وآل طالع ، وآل عِمِر ـ كذا ينطقونه بكسرتين ـ وشيخهم حسن بن عبد الله العامري ، ومن آل حسن : آل إبراهيم ، وآل أحمد ، وآل صقر .

ب ـ آل جبل ، ومنهم : آل علقمة ، وآل الزريفي ، وآل نعيمة ، والمشاييخ ، وآل مِحمّدن ـ كذا ينطقونه ، بكسر الميم وزيادة النون ، وأصلها التنوين ـ أي آل (مُحمَّدٍ) ، وآل شباب ، وآل محزوم ، وآل محفوظ .

جـ ـ آل حازمن (حازم) ، ومنهم : آل الراضي .

د ـ آل غَنِيَّة ، ومنهم : آل مسرع ، وآل ظافر ، وآل سَلِيلة ، وآل مُرِيعة ،

---

(١) يقال : الحفياء ـ بالمد ـ والحفيان ، أخره نون ، وكلا الاسمين مستعمل .

وآل حاسن (ويقال لهم آل قُرَيد)[1] .

هـ ـ آل النَّقَف .

و ـ آل ثُرَيبان ، ومنهم : آل سَعْدان ، وآل خُضران ، وآل عبد الخالق ، وآل هزاع ، والبَرَكَة .

ز ـ آل غَلِيلة .

حـ ـ حَوَالة . وهؤلاء بأعلى السراة .   ط ـ آل حَجّاج .

ي ـ آل حَبَّة : وهم بالسراة أيضاً ، ويقولون : بالحجاز ، وهو جبل السراة .

ك ـ السَّنَد : على طرف وادي الخيطان من الشرق .

ل ـ آل فُهَيد ، ومنهم : آل ابن هادية ، وآل عايشة ، وهم بادية .

٢ ـ العِلْيَان ، وينقسمون إلى فرعين كبيرين ، هما : بنو المنتشر ، وآل كثير[2] .

وينقسم بنو المنتشر إلى :

أ ـ آل أبو عالي : سكان وادي بيان ، ومنهم : آل منطور ، وآل دربين ، وآل أم عاضة ، وآل زُغبان ، والجردة ، والجرادي .

ب ـ آل سُلَيمن (سُليم) ، ومنهم : آل محمود ، والمقاطعة ، وآل مفتاح ، وآل سالمن (سالم) .

جـ ـ آل هيثمة ، ومنهم : آل عَيَّاش (في بيان) ، والمكالفة ، وآل حميد ، وآل يعلى ، وآل هتشان ، وآل ثامِر[3] .

ومن المكالفة : آل مُحيّل ، وآل موسى ، وآل درويش .

---

(١) إملاء : ابراهيم بن علي بن فهد العامري .

(٢) هذا في تهامة ، وفي آخر البحث ذكرنا فروع العليان في السراة .

(٣) صحح بعض الرواية : أحمد بن عبد الرحمن المنتشري .

٤ ـ بنو شيب ، ومنهم : المطاويع ، وآل حسان ، وآل تمّام ، وآل وضاح . .

أما آل كثير فسكناهم أعالي وادي جَفْن من روافد يبة، وأعالي وادي الحفياء ، من روافد قنونى ، حين يتعانقان في وجه السراة الغربي ، وتخرج من أرضهم عقبة (نصاب) من وادي جفن إلى سراة خثعم بين أُدَمة (قاعدة خثعم السراة) وسبت العلاية (قاعدة بلقرن السراة أيضاً)[١] .

ومن فروع آل كثير :

جمعان ، وآل شهوان ، وآل شدنة ، وآل مَرْعة (سكان الأصادعة) ، وآل حِبْشان ، وآل جِذْعان .

وسكان قرية الزبيري : آل مَشْول ، وآل حسن ، وآل عدوان ، وآل عيسى .

وأهل قرية المرابي : آل حنيش، وآل عساف ، وآل أحمد ، وآل عيسى ، قسم ممن سبق .

وأهل قرن الغراب: آل بعسوس، وآل عبد المطلب، وآل مشول (ممن سبق) ، وآل سُعيِّد ، وآل مسمار ، والمطاويع ، وآل مُحْشي ، وآل بن محفوظة .

وأهل قرية العَتَمة : آل عبد الواحد ، وآل حَيّان ، وآل بوشمال ، وآل صَحْفان ، وآل غرامة .

وآل طارق : آل سليم ، وآل خلف ، وآل محمد ، وآل عطية ، وآل مُدِيس ، وآل عِشّان .

والبخرة : آل بُهَيكل ، وآل مُشنِّي ، وآل سِهْوي ، وآل شاقي .

وأهل قرية الذَّنَبة : آل لِمْلِم ، وآل طحطوح ، وآل عساف ، وآل بن شمسة .

وشيخ آل كثير : محمد بن أحمد (بن رِدْفان) .

---

(١) عن تلك السروات وسكانها ، انظر كتابي (بين مكة وحضرموت) .

ومن العليان من خثعم في غير تهامة :

آ ـ آل يزيد : في يَدَمة أو آدمة (قاعدة خثعم السراة) .

ب ـ بنو واس : في السراة ويتبعون يدمة .

جـ ـ آل السَّقِيفة : في السراة أيضاً ويتبعون أدمة .

د ـ المِلِك : في السراة أيضاً ، ويتبعون أدمة .

٣ ـ شُمْران : فرع كبير من خثعم ، وقد اشتهر هذا الفرع حتى فاقت شهرته كل القبيلة ، وكأنه يريد اللحاق بشهران التي لا يعرف اليوم الكثيرون أنها من خثعم ، وتنقسم شُمْران إلى سراة وتهامة ، فديار التهاميين منهم : في صدور قنونى ، وبعض روافد ية الشمالية ، ويحدهم شمالاً آل كثير المقدمين ـ وجنوباً بعض بلقرن ، ثم تمتد غرباً إلى الساحل ، وشيخهم :

جوفان بن عوض (بن جوفان) ، وبعض فروع شمران السراة لها أقسام في تهامة ، والعكس كذلك .

وأهم فروع هذه القبيلة :

أ ـ سحاب : ومنهم سراة وغور ب ـ عبس أو العبوس : ولهم قرى كثيرة في تهامة ، وبعض السراة .

جـ ـ آل مبارك : ولهم قرى على طريق العرضية .

٤ ـ بَلْعَريان : إحدى قبائل خثعم الرئيسية ، تضرب ديارهم شبه دائرة حول قرية نمرة ، ولهم معظم وادي الخيطان أحد كبار روافد قنونى[١] ، وأهم فروعهم :

أ ـ المجدع ، ومنهم الردم والبارق .

ب ـ الصوافية ، واحدهم : صوفي .

جـ ـ المبني ، ومن فروعهم : العسابلة ، واحدهم عَسْبلي (من عسابلة بني شهر أصلاً وفيهم شيخة بلعريان اليوم) .

د ـ آل محمود : سكان نَمِرة . هـ ـ آل محدب .

---

(١) الشيخ علي بن جاري العَسْبلي .

و ـ آل حسن : سكان الخيطان .

ز ـ آل صالح : (ولهم قرية غارضة) .

حـ ـ آل مصلح : ويسكنون قرية قرفاجة جنوب نمرة .

ط ـ آل علي : ويسكنوا قرية قرفاجة مع آل مصلح .

بَلْقَرن

إحدى قبائل الأزد الكبيرة ، يسكن قسم منها في السراة ، والقسم الآخر في تهامة ، وفي كتابي (بين مكة وحضرموت) تحدثت عن أنساب الأزد وتأريخها، وذكرت فروع بلقرن ، ولكن ظهر لي أن فروعاً عديدة تسكن تهامة لم تذكر هناك ، ولذا كان من أهم أسباب رحلتي هذه تقصي فروع تهامة بلقرن ، ولكن يبدو أن الأمر كان يحتاج إلى وقت أطول ، ولذا فقد اكتفيت من بعضهم بالإيجاز، كما سترى.

وتقع ديار بلقرن تهامة على وادي خاط جنوباً ـ أحد روافد يَـبَـة ـ وتمتد شمالاً إلى قنونى ثم إلى أول فروع وادي الأحسبة ، ولهم معظم صدر قنونى وبعض روافده ، ويمر طريق العرضية في ديارهم ، وقد تصل ديارهم غرباً إلى قرب الساحل ، ويتداخل معهم هناك فريق من بني شهر ، حيث لهم جبل ثربان غرب الطريق ، ويحدهم من القبائل : شمالاً وشرقاً خثعم ، وجنوباً بارق ، وغرباً حرب وبنو عيسى وبنو شهر ، وأهم فروع بلقرن تهامة :

١ ـ عِمَارة : إحدى فروع بلقرن التهامية المهمة ، وتمتد ديارها في وادي خاط ـ أحد روافد يبة ـ إلى وادي بيان (أحد روافد قنونى) وتتداخل معها بنو شهر التهامية هناك ، وأهم فروع عِمَارة :

أ ـ آل مِخيط . ب ـ الرشدة . جـ ـ الشيبة .
د ـ الحنفاء . هـ ـ آل سالم . و ـ آل خايت .
ز ـ آل رِياح . ح ـ المحادبة .

٢ ـ بنو سُهيم : ويسكنون أعلى وادي بطاط ـ أحد فروع الأحسبة ـ وغرب قرية نمرة ، ومن فروعهم :

أ ـ آل عمير ، ومنهم : آل ظُهير ، وآل هادي ، وآل حسن ، وآل راضي ، والمعمارية ، وآل مَشْرف .

ب ـ السُّطَة . جـ ـ آل عباس . د ـ آل الأسود .
هـ ـ آل يزيد ، وآل أسيمر (تاسعة واحدة) .
و ـ آل جابر ، (تاسعة) .

ذلك أنهم يقولون ، بنو سُهيم تسعة تواسع ، أي تقسم في الغرم إلى تسعة أسهم ، ومعظم قبائل تهامة تقسم على هذا النحو ، ولكن رواية بني سهيم[1] لم تذكر غير ستة تواسع كما ترى أعلاه .

٣ ـ بنو بُحَيْر : وهؤلاء سكان صدر قنونى ، منذ أن تلتقي شعبه الثلاث إلى الحازمين ، أي أن لهم من قنونى قرابة (٥٠) كيلاً ، ولهم فيه مزراع وقرى وغابات من النخيل ، يسقى معظمها بغيل قنونى الذي يسيل كالنهر طيلة أيام السنة .

وتنقسم بنو بُحَير إلى فرعين :

أ ـ العبادلة : وهؤلاء على شيخ مستقل ، ومن فروعهم :

(١) آل عطاء (٢) آل دُغْمان . (٣) آل بن سعيد .

ب ـ الوهوب : وشيخهم أصر على أن نكتب الاسم (بني بحير الوهوب) ، ومن فروعهم :

١ ـ آل حَمْدي . ٢ ـ البشارية . ٣ ـ آل سعد .
٤ ـ آل حسن . ٥ ـ آل عاطف . ٦ ـ آل فريّة .

---

(١) عطية بن سعد بن بركات السُّهَيْمي .

٧ ـ آل محسون .	٨ ـ آل سعيدة .	٩ ـ آل جَرْون .
١٠ ـ السواهرة .	١١ ـ آل شايقة .	١٢ ـ آل يسلم .
١٣ ـ آل خليفة .	١٤ ـ آل مريّع .	١٥ ـ آل مهاوش .
١٦ ـ آل قيف .		

٤ ـ بنو رزق : وهم على شيخين : ابن وَهّاس ، وابن عَمّار .

٥ ـ بلحارث : وديارهم صدر وادي خاط ، وقد مرت معك في الرحلة الأولى بعض قراهم وبعض فروعهم .

٦ ـ آل سليمان : وديارهم تجاور ديار بلحارث .

٧ ـ أهل الجوف : ويُنسبون إلى قراهم ، ووواديهم من أعظم روافد وادي يبة ، وقد تقدم عند بحث وادي يبة .

بنو شهر تهامة

في كتابي بين (مكة وحضرموت) تحدثت عن قبائل الأزد : أنسابها وفروعها وديارها ، ولم أر ديار بني شهر تهامة .

وهنا لمحة موجزة عن هذه الفروع التهامية .

تميل ديار بني شهر على فروع حلي الشمالية كوادي بَقْرة ، وما جاوره ، ولها عقبة ساقين المتقدم ذكرها ثم تأخذ على وادي خاط فلها جانب من وادي يبة في العرضية ، ولها جبل ثَرْبان الشهير بين يبة وقنونا .

وأهم الفروع الشهرية التهامية[1] :

١ ـ أُثْرُب . ٢ ـ بَقْرة . ٣ ـ بالأجدع .

٤ ـ بنو حسين . ٥ ـ بنو زُهَير . ٦ ـ بنو مُلِيح

٧ ـ ثَرْبان ، ولهم جبل ثَرْبان المتقدم .

٨ ـ آل شُغَيب ـ بالغين المعجمة . ٩ ـ آل صُميد .

١٠ ـ عَبْس . ١١ ـ آل كُميْت . ١٢ ـ المجاردة .

١٣ ـ مَمْلح . ١٤ ـ نُعْص .

وتنقسم أُثْرُب إلى[2] :

---

(١) كتاب بلاد رجال الحجر ، لعمر العمري .

(٢) نفس المرجع ص : ١٠٩

أ ـ آل بَقْرة .   ب ـ سُفْيان .   جـ ـ آل عاصم .   د ـ آل محجوبة .
هـ ـ آل الأعلى . و ـ آل مَحَبَّة . ز ـ آل يحمد .   ح ـ آل يمني .
ط ـ آل وحيش .

وتنقسم بالأجدع إلى :

أ ـ آل حسن أو آل صِيوي (اسمان لمسمىً واحد) .
ب ـ آل خارج : مُغلَّف ، وشَعْناء .   جـ ـ آل فارس .
وتنقسم بنو حسين إلى :
أ ـ آل مفلح .   ب ـ آل مُليح .   جـ ـ آل ناجية .   د ـ آل يحمد .
ولا أدري أهم من آل يحمد الأثربيين أم اسم على اسم .
وتنقسم بنو زُهَيْر إلى :
أ ـ آل جرادة .   ب ـ آل جودة .   جـ ـ آل حُقَيْن .   د ـ آل خميس .
هـ ـ آل فلاح .   و ـ آل مُلَيْح .
وتنقسم ثرْبان (أهل جبل ثربان) إلى :
أ ـ آل قُرَيْع .   ب ـ مُشِيعة .
وتنقسم آل شغيب في السكنى إلى قسمين : آل شُغَيب الضُّمُو ، وآل شغيب أهل خاط .
وتنقسم عَبْس إلى :
أ ـ الحُصَنة .   ب ـ الحيد (أهل حيد عَبْس) .   جـ ـ آل عبيد .
د ـ آل عَمَّار .

وتنقسم آل كُمْيت إلى : آل كميت ، وآل صَعْب .
وتنقسم قبيلة نُعْص إلى :
أ ـ آل أحمد بن دهيب.   ب ـ آل بركات .   جـ ـ آل الجرب .
د ـ آل سليمان .   هـ ـ آل طفافة .

في ضيافة بن رِدْفان

بعد تناول القهوة العربية والشاي عند الشيخ بيه بن حسين الحربي ، والاجتماع بعدد من شيوخ خثعم وبلقرن ، قال الشيخ بيه : إنّا مدعوون عند الشيخ : محمد بن أحمد (بن رِدْفان) شيخ قبيلة بني كثير بوادي جفن .

فخرجنا في الساعة الثانية عشرة والنصف ، فأخذنا في الطريق المزفّت جنوباً بمحاذاة وادي الخيطان ، حتى اجتمع بوادي الحفيان على قرابة خمسة أكيال جنوب نمرة، وعند قرية المعقّص فرق إلى اليسار طريق ترابي أخذ وادي الحفياء قبلاً ،[1] وهو وادٍ ريّان يسيل غيله على وجه الأرض ، وهو أحد الأودية الثلاثة الكبار التي يتكون منها وادي قنونى ، وهي : وادي بيان ، ووادي الحفيان ، ووادي الخيطان ، فإذا اجتمعت سُمّي الوادي قنونى الى البحر ، وبيان هو ساعده الجنوبي ، والخيطان ساعده الشمالي ، والحفيان وسطه ، وعند التقاء هذه الأودية تتكوّن باحة واسعة تتوسطها قرية المعقّص المنتشرة هنا ، وهنا كان قد أقيم مكانٌ لسوق حُبَاشة ، فمن أراد البحث عنه فليتحراه هنا[2] .

سرنا في وادي الحفيان ثم صعدنا عقبة أطلعتنا من الوادي على وادي جفن

---

(١) يختلف أهل هذه المنطقة في نطق اسمه ، فمنهم من يقول : الحفياء ، بالمد ، ومنهم من يقول : الحفيان .

(٢) انظر بحث سوق حباشة فيما تقدم .

من يبة ، وعلى (٢٤) كيلاً من نمرة وصلنا الى قرية مضيّفنا على الضفة اليمنى لوادي جفن ، وتدعى الأصادعة ، وهي في لحف السراة ، ومنها ترى الشُّعَف بشموخها ، وكان النجاء يهبط تحت هذه الشعف حتى ترى القمم من فوقه ، وكان يوماً غائماً بهيجاً ، زاده بهجة ترحيب المضيّف الكريم وبشاشة وجوه قومه ، وقدم ابن ردفان القَرْيَ الذي فوق حاجتنا ، ولكنه الكرم العربي .

مواصلة الرحلة في قنونا

عدنا إلى نمرة ثم أرسل الأمير معي علي بن إبراهيم الزُّبَيدي ، من أهل ريعان ، فخرجنا باتجاه الجنوب ، ولم تلبث أن انحدرنا في وادي قنونا ، بين النخيل والزروع ، والمياه الجارية ، وعلى حوالي (٢٠) كيلاً وصلنا إلى قرية الفائجة ، مقر الشيخ موسى بن مبارك بن حمود القرني : شيخ قبيلة الوهوب من بني بحير ، والفائجة : قرية كبيرة ذات شوارع وأزقة ، ولكبرها يصرّ الشيخ موسى على تسميتها مدينة ، وهي على الجانب الشمالي من صدر قنونى ، تشرف عليها الجبال حتى تكاد تحجب عنها الهواء ، بها مدارس من بناء الدولة بالإسمنت المسلح للبنين والبنات ، ويشكو أهلها عدم وضوح الإرسال المرئي لإشراف الجبال عليها .

إلى سبت الجارة

وبإيعاز من أمير نمرة (وتسمى إمارة العرضية الشمالية) أرسل الشيخ موسى معي دليلاً الى سبت الجارة بأسفل قنونا ، وطلب منه أن يوصلني إلى شيخ قبيلة بني عيسى من حرب ، فسرنا مع انحدار الوادي بين غابات من النخل ، وغيل الوادي يجري ، فحيناً نضعه يميننا وحيناً نضعه شمالنا ، وفي منتصف المسافة تقريباً من المفائجة وسبت الجارة ظهرت صيران من شجر الدوم ، وأشجار تدل على قرب الساحل ، وقرب ديار حرب ظهرت غابات من المرخ والطرفاء وشجر السمر والعشر ، كل ذلك والمزارع على جانبي الوادي والنهر يجري على وجه الأرض ، وظهور مثل هذه الأشجار يوحي بأنا قربنا من الساحل ، وقبل أن يودع قنونا الجبال ويندفع في السهل فزق إلى اليسار طريق خميس حرب . وعلى (٦٥) كيلاً من نمرة وصلنا إلى منزل الشيخ عبده بن محمد بن موسى العيسي : شيخ قبيلة بني عيسى من حرب وهو في نزلة تتكون من بويتات له ولأبنائه فقط بطرف سوق سبت الجارة من مطلع الشمس ، ذلك أن ربعه بني عيسى بادية ليست لهم قرى عدا نزل هنا وهناك كهذه .

كان الشيخ عبده غير موجود كما قيل لنا، فقادنا طفل إلى بناء بعيد عن منزل الأهل ففارقني رفيقي فاتخذت مفرشاً أمام ذلك البناء لعدم وجود ضوء فيه ، وهطل المطر مما جعلني أنام في سيارتي إلى الصباح .

إلى خميس حرب

بكّرت صباحاً من مبيتي بعد أن جاءني الشيخ عبده فوصف لي الطريق واعتذر ، فشكرته وعدت في قنونا قبلاً قرابة خمسة أكيال ، ثم فرق طريق خميس حرب إلى اليمين ثم هبطنا وادي (شِسْعٍ) من أسفله ، وهو وادٍ يتوسط ديار حرب ويصب في قنونا من الجنوب ، وسار الطريق فيه قبلاً ، وعلى (١٩) كيلاً من سبت الجارة (من منزل الشيخ عبده) جنوباً شرقياً وصلنا إلى خميس حرب ، وهي قرية صغيرة في فرعة وادي شِسْعٍ ، تتوسط بين قنونى ويبة ، وأرضها تشبه القَرَى تنداح عنها الجبال يميناً وشمالاً ، ومنها تنظر جبل ثربان جنوباً وهو لبني شهر ، وحرب تصل إلى سفحه[1] ، ومزارع حرب هنا أكثرها عثرية ، وهم بَوَادٍ رحّل إلا القليل منهم ، وهذه القرية سميت بسوقها الأسبوعي الذي يقام كل خميس ، ونظراً لوجود أسواقَ أسبوعية أخرى تقام كل خميس فقد خصّص سوقها بخميس حرب .

سألت عن شَيخ حرب فقال سالم بن محمد الحربي الدغماني إنه غير موجود ، ودعانا سالم إلى داره وأكرمنا بالقهوة العربية والشاي ثم غادرت الخميس في جو غائم بديع .

---

(١) انظر تحديد ديارهم فيما سبق .

أسواق قنونى :

كان قنونى يضم سوق حُبَاشة كمَا مَرَّ معك في بحثه ، وهي سوق سنوية ، أما اليوم فإنه يضم عدداً من الأسواق الأسبوعية ، هي :

١ ـ أحد بني زيد : ويقع في الخبت قرب الجبل على ضفة قنونى .

٢ ـ سبت الجارة : على ضفة قنونى الشمالية على مصب وادٍ بهذا الاسم .

٣ ـ خميس حرب : وهو الذي تحدثنا عنه آنفاً ، ولكنه قد أضمحل فقد زرته يوم الخميس فلم أجد به أية حركة ، فالأسواق الخميسية في هذه المنطقة توقف بعضها وضعف البعض الآخر لسببين :

أ ـ وجود السيارات وحلولها محل حيوانات النقل القديمة مما جعل أكثر الناس يحصل على حاجاته من المدن ، وخاصة يوم الخميس وهو يوم عطلة ، فيذهبون إلى مكة وجدة ، مثلاً .

ب ـ تطور خميس قوز بلعير وقربه من هنا فصار الناس يتسوقونه على السيارات .

٤ ـ رَبُوع الفائجة (أربعاء) : وقد تحدثنا عنها فيما سبق .

٥ ـ خميس آخر قرب نمرة في الطرف الشرقي الشمالي من المعقص .

سبت الجَارة :

خرجت من عند الشيخ سالم الدُّغْماني على نفس الطريق الذي أتيت عليه ، وفي سبت الجارة توقفت في مقهىً تناولت فيه الشاي ، وسألت عن طريق المضيلف فدلني شيخ عليه .

وسبت الجارة : سوق ـ كما تقدم ـ قامت حوله قرية واسعة في ديار بني عيسى من حرب ، تقع على الضفة الشمالية لوادي قنونا ، في فسيح من الأرض على مصب وادٍ يدعى وادي الجارة ، وهو أحد روافد قنونى ، وتشرف عليها من معظم الاتجاهات آكام سمر ليست شواهق ، وترى البُرْق غربيها بما ينبىء بقربها

من الساحل ، وإذا تجاوزها قنونى ووصل إلى حِداب الخيل دفع في الساحل في أرض بني زيد .

وفي سبت الجارة مدارس ابتدائية ، ومركز إمارة يتبع القنفذة ، وتبعد عن المضيلف (٦٧) كيلاً جنوباً شرقياً ، وعن نمرة (٥٩) كيلاً غرباً .

عَمْرات :

خرج الطريق من سبت الجارة مغرّباً فسار بنا في ريعة وحزوم ، ثم مررنا بِحدَاب الخَيْل ، وهي حداب متقاودة حوز السحل من الجبل ، ثم عاد إلينا من الجنوب وادي قنونى ، فهبطه الطريق بين غابات من الأراك والسلم والسمر والمرخ ، وعلى (٢٥) كيلاً من سبت الجَارة وصلنا إلى قرية (عَمْرات) : قرية متسعة بنيانها حسن وحديث ، وبها مدرسة كبيرة تبنى ، ومسجد كبير يبنى أيضاً ، وسوق ومقاهٍ ، وتقع شمال وادي قنونى قرب المنتصف بين الجبال والبحر ، ويمر شمالها خبت رَيْعان ثم وادي لُومة ، وكلها من ديار زُبَيد من حرب ، والقرية في ديار بني زيد من كنانة .

وعلى (٤١) كيلاً من سبت الجَارَة لاءمت الخط المزفت بين لُومة وقنونى ، وعلى (٦٧) كيلاً من السبت نفسه وصلت الى المضيلف ، فعدت إلى مكة .

الطرق المهمة في تهامة

ظلت تهامة منذ الأزل ممراً بين اليمن الغربي ومكة ، فهناك طرق من عدن ، ومن زبيد ومن صنعاء نفسها ومن الجَنَد ، ثم من دون ذلك ما بين الحُدَيْدة إلى مكة ، وحتى السراة كان بعض أهلها يفضل الطرق التهامية ، خاصة أثناء الشتاء .

ومن أهم الطرق القديمة :

ذلك الطريق الذي ذكره الكُتَّاب اليمنيون ، فقال عمارة اليمني[١] ، وهو يعدد طرق اليمن :

«وأما طريق تهامة فهي تفترق أيضاً إلى طريقين: فواحدة ساحلية على البحر ، وواحدة ـ وهي الجادة السلطانية ـ متوسطة ، منها إلى البحر يوم أو دونه ، ومنها إلى الجبل يوم أو دونه ، بحسب انضمام البحر والجبل وافتراقهما عن تهامة ، وفي كل مرحلة من الطريقين الساحلية والوسطى جامع عظيم ، فمن الساحلية : المخنق[٢] وهي من عدن على ليلة ، وبها بئر طولها ثلاثون باعاً ، وأنا وردتها مراراً ، وجامع متهدم ، ثم العارة ، ثم عبرة[٣] ، ثم السقيا ، جامع

(١) المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، ص ٧٦ .

(٢) لا زال معروفاً .

(٣) علق الأكوع على هذا بقوله : العارة : آهلة بالسكان ، جنوب (المخا) على يومين وكسر .

وبئر طولها أربعون باعاً ، ثم الباب : باب المندب ، ثم المخاء[٤] ، ثم الخوهة[٥] ، ثم الأهواب ، ثم غلافقة ، ثم نبعة ، ثم الجردة ، ثم الزرعة ، ثم الشَّرْجة[٦] ، ثم المفجر ، ثم القنديرة ، ثم عثر[٧] ، وهي مقر ملك قديم ، ثم بَيْض ، ثم الدويمة[٨] ، ثم حمضة[٩] ، ثم ذهبان ، ثم حلي ، ثم السِّرّيْن[١٠] ، ثم جدة[١] ، فهذه جوامع السواحل ما منها إلاّ ورأيته إما عامراً وإما خراباً ، وأما الوسطى[١٢] :

فذات الخيف ،وقوْز ع[١٣]، والجدون ، وحيس ، وزَبِيد[١٤]، وفَشَال[١٥]، والصجاع ، والقَحْمة[١٦] ، ثم الكدرا[١٧] ، وهي مقره (مقر الحسين بن سلامة أحد ولاة اليمن) ،! ثم الجثة ، وعرق النشم ، والمَهْجم[١٨] ، ومَوْر ،

---

(٤) كذا في المتن وتعليق الأكوع ، وقال : وقد عادت إليه الحياة من جديد . فهو إذاً غير (المخا) المدينة الساحلية المشهورة ، وباب المندب : نهاية البحر الأحمر الجنوبية ، وشهرته تغني عن تعريفه .

(٥) الخوهة ، وقال الأكوع . تدعى اليوم الخوخة .

(٦) هي اليوم أطلال داخل الحدود السعودية بجانب الموسّم مما يلي البحر .

(٧) كان بلداً من ساحل بيش ، وقد تحدثنا عنه في هذا الكتاب .

(٨) لعلها ما يعرف اليوم باسم الدرب .

(٩) لا بد أن يكون بين بيض وحمضة أكثر من محطة ، ولعله أسقط الشقيق (أسفل ريم) سهواً .

(١٠) بين حلي والسرين محطات كثيرة ، لا تقل عن ثلاث .

(١١) بين السرين وجدة مسافة تزيد عنْ مائتي كيل ، وهذا يقتضي وجود أربع محطات على الأقل ، من أهمها كان الليث .

(١٢) الطريق الوسطى .

(١٣) لعلها موزع .

(١٤) من مدن اليمن العامرة اشتهرت بتخريج فيض من العلماء .

(١٥) وادٍ قرب زبيد .

(١٦) هذه ليست القحمة التي مرت في الرحلة ، إنما هي بليدة باليمن قرب زبيد .

(١٧) لا زالت معروفة من تهامة اليمن قرب مدينة الزيدية .

(١٨) المهجم : من الأماكن الشهيرة في تهامة اليمن شمال زبيد، ومور : أعظم أودية تهامة على الاطلاق ، ويسمّى ميزاب تهامة .

والواديان ، وجيزان ، والساعد ، وتعشر[١٩] ، والمبى ، ورياح (كذا ، وصوابه وادي الرباح ، بالموحدة ، وقد تقدم) والهجر[٢٠] .

ثم تلتقي طريق الجادة بالساحلية ، ثم يفترقان من السّرّين[٢١] ، وبينها وبين مكة خمسة أيام ، فأول ما يلقى الحاج من عمارته (أي حسين بن سلامة) بئر الرياضة ثم سبخة الغراب[٢٢] ، ثم الخبت ، ثم يرد الناس وادي يلملم، وهو ميقات أهل اليمن (من جاء على التهامية) وبه بئر من عمارته (بئره اليوم تسمى السعدية ، وهي منسوبة إلى الشريف سعد أحد ولاة مكة) ، ثم يردون بئراً من عمارته يقال لها إدام[٢٣] وهي بئر روية طولها عشرة أبواع ، وعرضها خمسة أو ستة أبواع (لعلها أذرع) ، ثم يفترق الناس ، فمن أراد مكة ورد من عمارته بئر البيضاء ثم القرين ثم مكة .

ومن أراد عرفات ورد من عمارته بئر بوادي (الرحم)[٢٤] ثم نعمان ثم عرفات » .

أما الهمداني فقد ذكر هذا الطريق باختلاف بعضه يسير ، وبعضه غير ذلك ، فقال : محجّة صنعاء إلى مكة ، طريق تهامة :

«من صنعاء صِلِّيت (شمال غربي صنعاء، وهي اليوم خراب)، من البون ثم الموبد ثم أسفل العرقة وأخرف ثم الصرجة ، ثم رأس الشقيقة (وادٍ) ثم حرض (مدينة تقدمت ووادٍ) ثم الخُصُوف من بلد حكم (كانت قرب سامطة)

---

(١٩) جيزان : أراه حيران ، لأنه أورده هنا قبل تعشر مما يلي اليمن ، وجيزان : يقع بعد تعشر من الشمال ، أما تعشر فقد مر معنا في هذا الكتاب .

(٢٠) كانت قاعدة ضمد .

(٢١) بالمشاهدة يثبت أن الافتراق لا يكون إلاّ من بئر الرياضة أو بعدها من بطن الليث ، والغالب أن يكون من الغالّة : بعد الليث بيسير .

(٢٢) الرياضة اليوم : قرية بطرف الليث من الجنوب .

(٢٣) بئر إدام أقدم من ذلك ، وانظر معجم معالم الحجاز .

(٢٤) وادي الرحم لا يعرف ، والمكان الذي حدده هنا هو وادي ملكان .

ثم الهجر ـ تقدمت ـ ثم عثر ثم بيض ، ثم زنيف[1] ثم ضنكان[2] ثم المعقد[3] ثم حلي ثم الجو[4] ثم الجوينية من قنونا وتسمى القنا ، ثم دوقة[5] وهي للعبديين من بقايا جرهم ثم إلى السِّرَّين (تقدمت) ثم المفجر (من أسفل وادي أعيار) ثم الخيال ثم يلملم ثم ملكان[6] ثم مكة .

هذه طريق الساحل ، والمحجة القديمة ترتفع إلى حلي العليا[7] وتسمى حلية وإليها تنسب أُسُود حلية ، وهي التي يعني الشَّنْفَرى بقوله[8] :

بريحانة من بطن حلية نَوَّرت لها أَرَجٌ من حولها غير مسنت

ثم إلى عشم (أي من حلي إلى عشم) ثم الليث (أي صدر الليث)[9] ومركوب إلى يلملم » .

(صفة جزيرة العرب ص **٣٤١** ط **٢**) .

محجة عدن : من عدن إلى المخنق ثم الحجاز ، ثم المسيل ، ثم عَبْرة ثم كُهَالة ، بئر ذي يزن ، ثم الماجلية ، ثم المقعدين ثم زَبِيد ، ثم المعقر ثم الكدراء ، ثم المهجم ثم وادي سهام ، ثم بلحة من وادي مور ثم الحسارة ثم العباية ثم الشرجة (تقدمت) .

ثم يلتقي هذا الطريق بالذي ذكرناه عن عمارة سابقاً .

---

(١) زنيف هذه ذكرها صاحب المفيد باسم الدويمة ، أو أنهما متقاربان وعمارة متقدم الهمداني بحوالي (**٢٣٥**) سنة فقد تتغير المحطات ويندثر بعضها خلال هذه المدة .

(٢) ضنكان ليس على الطريق ولكنه يصب في ذهبان الذي ذكره عمارة بأنه محطة ، وأسقط الهمداني هنا (حمضة) وذكرها عمارة .

(٣) لعله عمق ـ اليوم ـ أو جواره .

(٤) هذا من يَبَة ، ولعله قوز بلعير أو قربه .

(٥) لا بد أن تكون محطة بين قنونا ودوقة .

(٦) بين يلملم وملكان محطة إدام ، وملكان هذا دعاه عمارة محطة القُرين ،وهي أكمة في ملكان وبئره اليوم مهجورة مرئية .

(٧) هذه ما يسمى طريق العرضية ، وقد زفّتت اليوم ، وستأتي .

(٨) الشنفرى يقصد حلية الوادي المشهور الذي تقدم في أول الرحلة الأولى في هذا الكتاب .

(٩) وبين حلي وعشم لا بد من وجود محطات كثيرة ، ومن عشم إلى الليث كذلك .

الطرق الحديثة في تهامة

أما الطرق الحديثة في تهامة أي المزفّتة ، فأهمها اليوم :

١ ـ ذلك الطريق القديم الحديث ، والذي سيظل ـ حتى يرث الله الأرض ومن عليها ـ طريقاً مطروقاً ، ونعني به الطريق الساحلي الممتد من مكة إلى ما وراء مدينة مخا . وهذا الطريق يخرج من مسفلة مكة ثم يمر شرق العكيشية ثم يجزع وادي عُرَنة ثم يأخذ في وادي (الحَوْصِ) ، واد صغير ، ثم في فج ملكان ثم يجزع فج ملكان عند مصب دفاق ، وهناك بئر القُرين التي ذكرها صاحب المفيد ، ثم يجزع وادي البيضاء عند بئر البيضاء ، وهي المرحلة الأولى من مكة ، ثم يجزع وادي إدام عند بئر إدام كما ذكر سابقاً ، ثم يجزع وادي يلملم عند السعدية (الميقات) ثم يجزع سعيا ثم ينزل بئر خضراء ، في وادي مركوب وكانت المحطة الثالثة ، والثانية السعدية ، ثم يخرج من وادي مركوب إلى وادٍ صغير يقال له مَرَخ ، ثم إلى الليث مستمراً إلى أقاصي تهامة اليمن .

أما المزفّت فقد انحرف عند خروجه من المسفلة فجعل العكيشية على يسار فسار غرباً ، حتى اندفع هووواديعرنة في الخبت معاً فجزعه واستقام ميمناً فمر بمدفع ملكان ثم بجانب جبل سطاع من الغرب ثم جزع أسفل وادي الأبيار (أعلاه وادي البيضاء) ثم مدفع إدام في الخبت ثم يجعل طفيلاً على يمينه وعلى (١٢٠) كيلاً يجزع وادي يلملم ، وكان يجزعه على (١٠٠) كيل ، غير أن انحراف المزفّت إلى الغرب أطال الطريق فزاد فيه عشرين كيلاً ، وبذا فبدلاً من أن كان الميقات على

مائة كيل من مكة أصبح على (١٢٠) كيلاً . ثم يمر الطريق بسعيا من أسفلها وهنا يقترب من مجراه الأول فيمر بأسفل مركوب وأنت تنظر إلى بئر خضراء ، رأي العين شرقيك ثم يجتمع بالقديم قبيل مَرَخ ، ثم يمر بالغالّة ثم يهبط وادي الليث ومدينة الليث ، وهذه الأماكن سجلت بالكيل في أول هذا الكتاب ، ثم يجزع وادي أعيار ثم يصعد في البزواء (ويسمى ظهرها اليوم الوسقة وقد تقدم) ثم يجزع وادي حلية ثم وادي عليب ، ثم دوقة ثم قرماء ثم بلدة المضيلف ، ومنها يفترق إلى طريقين : طريق العرضية يأخذ يساراً ، وسيأتي ، وطريق الساحل ، يجزع وادي ناوان ثم وادي الأجسبة ثم وادي لُومة ثم يدخل القنفذة في وادي قنونى ، ثم إلى القوز ومنه طريق الى العرضية، ثم يجزع يَبَة ثم يجزع حلياً ثم وادي شفقة ثم عَمِق ثم البرك ثم ذهبان ثم القحمة ثم وادي حمضة ثم الشقيق في وادي ريم (مصبه) ثم الدرب في وادي عتود ثم بيض ثم أمّ الخشب في بَيْش ثم يجزع وادي نخلان ثم يدخل مدينة صبيا ثم يجزع وادي صبيا ثم يأخذ في الانحراف نحو الغرب فيجزع وادي ضمد ثم وادي جازان ثم يدخل مدينة جازان ، ومن مدينة جازان يخرج باتجاه المـوسَّم ، ولكنه لم يكمل ، وقيل لي هناك : إنه سيزفت ماراً بالموسم ثم ميدي ثم يجزع وادي حَيْران ـ أسفله ـ ثم اللُّحيَّة ثم الزَّيْدية ثم الحديدة .

فإذا أستمر ميمناً خرج من الحُديدة مفترقاً إلى طريقين : طريق تمر بالساحل ، فتأخذ على غلافقة ثم الفازة ثم الخوخة ثم مَوْزع ثم المخا ، وبين كل التي ذكرنا من مسميات قَرى عديدة .

والثاني يأخذ على قرب الجبال فيأخذ من الحُديدة على بيت الفَقيـه ثم زَبيد (زَبِيد العلم) كما يسميها اليمنيون ولا زَبِيد هناك غيرها ، ثم على حَيْس فإلى تعزّ داخل الجبال .

والطريقان الأخيران غير مزفتين ، وكل منهما يستمر ويتشعب على طول بلاد اليمن إلى أقاصي حضرموت .

ومن الحديدة طريق مزفتة تربطها بصنعاء عاصمة اليمن ، وهي تخرج من

الحُدَيدة على المراوغة ثم يأجل ثم حجلة ثم العتارة ثم مناخة ثم زيلة من حضور ثم صنعاء .

ومن مَيْدي طريق تشرق فتأخذ على حرض ثم تسند في الجبال إلى صعدة ،ومن صعدة طريق إلى أبها على ظهر الطور ، يخرج من صعدة على الفرع ـ أحد روافد نجران ـ ثم وادي العرض ـ أحدها أيضاً ـ ثم ظهران اليمن ثم صلحة فالأشراف فحرجا فالفيض فجام فعمران فالربة فخميس مُشيط فأبها .

ومن جازان طريق إلى أبي عريش فالسد سد جازان ، ومنه طريق يفترق من السابق قرب جازان فيأخذ على المضايا ثم أحد المسارحة ثم سامطة فالحضرور فالموسّم ، وطريق من صبيا إلى ضمد ثم أبي عريش ، وكلها مزفتة وقد وصفت في الرحلة .

أما أهم طرق تهامة بعد الطريق الساحلي فهي :

٢ ـ طريق العرضية : يخرج من المضيلف مشرقاً في خبت بين ناوان وقرماء ثم يجزع ناوان من رأسه ثم يهبط وادي الأحسبة فيأخذ فيه فيمر قرب المخواة ثم يأخذ في وادي بطاط (من روافد الأحسبة) ثم يخرج على نمرة من قنونا ثم يقطع شعب قنونا الثلاث على التوالي : الخيطان والحفيان وبيان ثم يهبط وادي يبة ويسير فيه ثم يخرج على حلي فيمر بقرية الخوش ويقطع وادي شَرْي ثم قرية ساحل ثم يقطع وادي بَقْرة ثم يرد مدينة محايل ثم يخرج منها فيجزع وادي حلي ثم يمر ببحر أبي سُكَينة ثم يميل على وادي خيم فيسير فيه إلى الخبت ثم يجتمع بطريق الساحل قرب الشقيق .

٣ ـ طريق عقبة ضُلَع : هذا الطريق يشبه إلى حد ما طريق جبل كرا ـ بين مكة والطائف ـ وهو يخرج من الدرب (درب بني شعبة) ثم يأخذ في وادي عتود في جبال شواهق وعقبات وتعرجات حتى يصل إلى أبها .

٤ ـ طريق عقبة شُعَار : يخرج من محايل إلى أبها في أنفاق مهولة ، وعقبات صعبة ، وقد كاد العمل فيه ينتهي .

٥ ـ طريق عقبة تَيَّة : تية وشعار متجاورتان فاستغني بعقبة شعار عن عقبة تية .

٦ ـ عقبة ساقين : تخرج من قرب قرية الخوش ومن وادي خاط ثم تفضي إلى سراة بني شهر ، ولا تسلكها السيارات اليوم .

٧ ـ طريق عليب : يخرج من الطريق الساحْلي في عُلَيب ويشرق إلى قلوة وما حولها ، وهو يزفّت الآن .

٨ ـ طريق أضم : يخرج الآن من شمالي حلية ، وربما أخذ له من طريق عليب مفرق يغني عن هذا .

٩ ـ طريق جَدَم : يزفّت الآن طريق يخرج من الليث مشرقاً على طول الوادي فيمر بجذم ويطلع إلى رأس يلملم .

١٠ ـ طريق القوز : هذا الطريق يخرج من قوز بلعير مشرقاً على طول وادي يَبَة حتى يتصل بطريق العرضية قرب جبل ثربان .

١١ ـ الطريق من جدة إلى الليث : هذا الطريق كانت تأخذه السيارات المتجهة من جدة إلى اليمن ، ولكنها هجرته عندما زفت طريق مكة إلى اليمن .

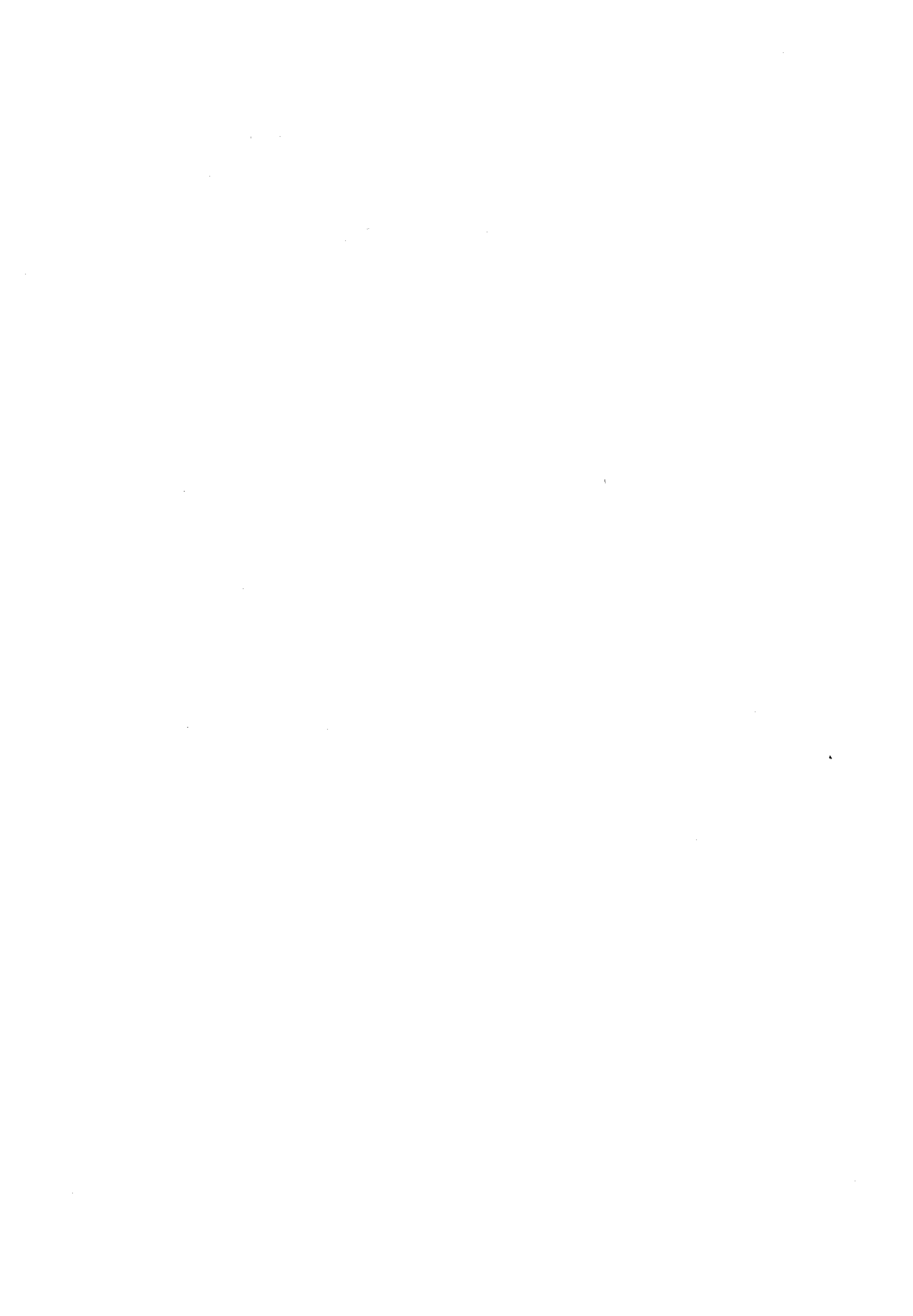
١٢ ـ طريق الشعيبة : هذا الطريق يخرج من طريق اليمن قرب سطاع ثم يغرب في الساحل إلى سيف البحر حيث موقع الشعيبة القديم ، وقد فصل في موضعه .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ رياض الصالحين (حديث)
٣ ـ العقد الثمين للفاسي .
٤ ـ شفاء الغرام ، للفاسي أيضاً .
٥ ـ سمط النجوم الغوالي ، للعصامي .
٦ ـ تأريخ مكة ، للسباعي .
٧ ـ بين التأريخ والأثار ، للأنصاري .
٨ ـ موسوعة تأريخ جدة ، للأنصاري أيضاً .
٩ ـ تأريخ المخلاف السليماني ، للعقيلي .
١٠ ـ عسير ، لمحمود شاكر .
١١ ـ أخبار مكة ، للأزرقي .
١٢ ـ السيرة النبوية ، لأبن هشام .
١٣ ـ الأغاني ، للاصفهاني .
١٤ ـ تأريخ المستبصر .
١٥ ـ المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، لعمارة اليمن .
١٦ ـ اليمن الخضراء ، للأكوع .
١٧ ـ أجزاء من الأكليل ، للهمداني .
١٨ ـ صفة جزيرة العرب ، للهمداني أيضاً .

١٩ ـ بلاد بارق ، للعمري .
٢٠ ـ بين مكة وحضرموت ، للمؤلف .
٢١ ـ عمدة الطالب ، ـ .
٢٢ ـ درر الفوائد ، للجزيري .
٢٣ ـ الضوء اللامع ، للسخاوي .
٢٤ ـ سبائك الذهب ، للسويدي .
٢٥ ـ الاشتقاق ، لأبن دريد .
٢٦ ـ نهاية الأرب في معرفة انساب العرب .
٢٧ ـ معجم قبائل العرب ، لكحالة .
٢٨ ـ معجم قبائل الحجاز ، للمؤلف .
٢٩ ـ كنز الأنساب ، للحقيل .
٣٠ ـ قبائل الطائف ، لأبن منصور .
٣١ ـ معجم معالم الحجاز ، للمؤلف .
٣٢ ـ معجم البلدان ، لياقوت .
٣٣ ـ معجم ما استعجم ، للبكري .
٣٤ ـ لسان العرب ، لأبن منظور .
٣٥ ـ الصحاح للجوهري .
٣٦ ـ معجم المخلاف السليماني ، للعقيلي .
٣٧ ـ الرحلة اليمانية ، للبركاتي .
٣٨ ـ مذكرات الملك عبد الله .
٣٩ ـ رحلة ابن بطوطة .
٤٠ ـ ديوان ابن هتيمل .
٤١ ـ ديوان كثير عزة .
٤٢ ـ معجم غامد وزهران ، للزهراني .
٤٣ ـ جمهرة انساب العرب لابن حزم .
٤٤ ـ الاعلام ، للزركلي .

٤٥ ـ المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، للمؤلف .
٤٦ ـ نسب حرب ، للمؤلف .
٤٧ ـ القاموس المحيط ، للفيروز أبادي .
٤٨ ـ الطبقات لابن سعد ،
٤٩ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر .
٥٠ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير .
٥١ ـ معالم مكة التأريخية والأثرية للمؤلف .
٥٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، لمحمد فؤاد .
٥٣ ـ أنساب الأشراف ، للبلاذري .



الدليل العام

للأعلام والمواضع والقبائل والأمم

حرف الهمزة (الألف)

حرف الباء

حرف التاء

حرف « الثاء »

حرف « الجيم »

حرف « الحاء »

حرف « الخاء »

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف « الزاين »

حرف « السين »

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

دليل الموضوعات العامة